

السعي إلى السلام



مدخل إلى ترشيد الخلاف

عباس عروة



CORDOBA PEACE INSTITUTE  
GENEVA

معهد قرطبة للسلام

# **السعي إلى السلام**

**مدخل إلى ترشيح الخلاف**

عباس عروة

السعي إلى السلام: مدخل إلى ترشييد الخلاف

تأليف عباس عروة

الطبعة الثانية

© 2023 معهد قرطبة للسلام بجنيف

ردمك ISBN 978-2-940130-35-1

English Version:

Aroua, Abbas. The Quest of Peace in the Islamic Tradition.

Foreword by Prof. Johan Galtung. Oslo: Kolofon (2013).

Available online at: [http://www.cpi-](http://www.cpi-geneva.org/images/pdf/Books/Q4P.pdf)

[geneva.org/images/pdf/Books/Q4P.pdf](http://www.cpi-geneva.org/images/pdf/Books/Q4P.pdf)

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال، 1)  
"ألا أدلكم على أفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟ قالوا بلى يا رسول الله؛  
قال: إصلاح ذات البين" (رواه أحمد والترمذي وابن حبان)

## مدخل إلى ترشييد الخلاف

## المحتويات

تصدير النسخة الإنجليزية، 7

مقدمة، 11

### القسم الأول: مقدمة تاريخية ومفاهيمية

1. تطوّر دراسات الخلاف والسلم في الغرب، 15
2. ترشيده الخلاف وبناء السلم في الإسلام، 33
3. ثلاثية الخلاف والعنف والسلم، 51

### القسم الثاني: عملية ترشيده الخلاف

4. تحليل الخلاف، 69
5. آليات الإنذار المبكر والاستجابة السريعة، 89
6. مقاربات ترشيده الخلاف، 97
7. عمليات التفاوض والوساطة، 109
8. مسار المصالحة، 141

### القسم الثالث: التعامل مع الخلاف السياسي

9. عملية الانتقال الديمقراطي، 155
10. التجاذب الأيديولوجي والتماسك المجتمعي، 167
11. اللاعنف في العالم العربي والإسلامي، 197

مدخل إلى ترشيده الخلاف

### القسم الرابع: الوقاية من الغلو والعنف المتطرف

12. ثلاثية الراديكالية والتطرف والإرهاب، 215

13. التمييز بين الكيانات ذات الخلفية الدينية، 233

14. عملية التطرف وسبل إزالته، 243

### القسم الخامس: التعامل مع التوترات ذات البعد الديني

15. التوترات الإسلامية-الغربية، 267

16. علاقة الدين بالخلاف وبناء السلم، 287

مراجع مختارة، 305

الإحالات، 329

---

---

## تصدير النسخة الانجليزية

---

---

هذا الكتاب المهمّ هو نتاج قلبٍ دافئٍ وعقلٍ مستنيرٍ يدًا في اليد. فعباس عروة متجنّدٌ بعمقٍ في كلّ من الثقافة الإسلامية والعربية، وهو أيضًا على دراية تامة بالغرب حيث يعيش في سويسرا. وفي الوقت نفسه، كما سيكتشف القارئ، لديه عقل علمي ومنهجي، يستكشف جميع تركيبات الإمكانيات العديدة. وسيكتشف القارئ أيضًا أنّ الكثير من منطقته يأتي من فلسفة القرآن نفسه، وليس فقط من حياته المهنية في العلوم الصحية.

يتناول الكتاب سعي المؤلف وسعي مؤسسة قرطبة بجنيف [الاسم السابق للمعهد قرطبة للسلام بجنيف] التي أنشأها، من أجل السلام في العالم الإسلامي، "إحدى أفقر مناطق العالم من حيث موارد ترشيد الخلاف النظرية والعملية"، كما يشير إليه المؤلف في صدر المقدمة. ومع ذلك، فهناك الكثير مما يمكن البناء عليه في تعاليم الإسلام، ومن هنا السعي إلى ما تعرضه الفصول السبعة من الكتاب.

يتناول الفصل الأوّل الإسلام بشكل عام؛ والثاني السلم والحرب في الإسلام؛ والثالث الخلاف في التقاليد العربية الإسلامية؛ والرابع واجب ترشيد الخلاف والقيام بشيء ما حياله؛ والخامس مكانة العمل المركزية في الإسلام؛ والسادس عمل الخير. كما يتناول الفصل السابع ما سيفكر فيه كثيرٌ من القراء: العلاقات بين الإسلام والغرب.

سينتعلّم غير المسلمين الكثير من المفاهيم الإسلامية الأساسية العشرة المطروحة؛ ويمثّل الجهاد والشريعة اثنان فقط منها كثيرًا ما يُساء فهمها. لقد تحمستُ بشكل خاص لمفهوم الإحسان، وهو مفهوم جامع للصدق والخير والحقّ والجمال التي تطرّق إليها الإغريق وتعاملوا معها كعولم منفصلة للوجود. هذا الجوهر المشترك يوجّه علاقتنا مع



## مدخل إلى ترشيده الخلاف

أنفسنا، ومع الآخرين، ومع الخالق - الله الذي هو ليس إلهاً خاصاً بالعرب، إنّها المقابل باللغة العربية للإله كما يشير إليه عروة - والذي له 99 اسماً، وبعث بالآلاف الأنبياء والمرسلين، ذُكر منهم 25 فقط في القرآن، وبالعديد من النصوص المقدّسة.

إنّ هذه الفلسفة عالية المستوى هي المادة الخام لنظرية وممارسة السلم والخلاف وترشيده الخلاف في الإسلام.

السلم له الأسبقية. لقد مضى زمن الحرب. ولا توجد حرب مقدّسة. لا للعدوان. المسموح به هو فقط العنف الدفاعي ضد العدوان وضد الاضطهاد الديني. الحرب الحديثة الرقمية التي تُدار عن بعد، لا مكان لها البتّة، ويجب حظرها.

لكن، كما يشير إليه عروة، فاللاعنف أفضل بكثير من العنف الدفاعي، كما أكّد مراراً وتكراراً النبي محمد. فالمسلمون ليسوا بحاجة إلى غاندي ولا إلى الغربيين ليعلموهم اللاعنف المتأصل في الإسلام، أكثر منه في المسيحية، وأكثر بكثير منه في اليهودية. ويضيف القرآن إلى ذلك حلقة السلم الفاضلة: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (الأنفال، 61)

يُنظر إلى الخلاف على أنه طبيعي ويُعرّف على أنه تباين يقترب من عدم التوافق. وكما هو الحال في الغرب، يحمل المفهوم أيضاً في طبيّاته دلالات مربكة للعنف، تعمل على تطبيع حلقة مفرغة من الخلاف-العنف-المزيد من الخلاف. إنّ الخلافات طبيعية، ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات، 13)، لكن من الواجب حلّها.

يعجيني مصطلح إصلاح ذات البين وترميم العلاقات. لكنني لا أجد في العالم العربي الإسلامي اليوم تحركاً نحو واقع جديد، باستخدام الخلافات، لدفعنا إلى الأمام وإلى مستويات أعلى، وليس فقط للتسوية لتجنب الفتنة. إنّ الاقسام السني-الشييعي منذ بداية الإسلام لم يلتئم إلى اليوم بعد 1400 سنة.

كان الإسلام نفسه تجاوزًا كبيرًا من عهد قديم إلى واقع جديد. لكن التغيير يتطلب جهود الفرد والجماعة فهو لا ينزل من السماء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد، 11)، للاقتراب من صفات الله التي تُعبّر عنها أسأؤه الـ 99.

هل ذلك مشابه لمقاربة الخلاف الأنجلو-أمريكية: "راج-راج" تعني القبول المتبادل، وليس استحداث واقع جديد؟ ويرتبط ذلك بالفكرة السائدة عن خالق لا يمكن تحسين خلقه، لكن يمكن فهمه والتكيف معه فقط؟ هل ينطبق ذلك أيضًا على النهج المحافظ الإسرائيلي؟

لديّ مشكلة مع مقاربة الصلح. أرى فيها النهاية المشتركة للصراع والعنف، لكن لا أرى فيها أولوية حلّ الخلاف الأساسي. قد يصبح الصلح المشهور بحق تهدئة فقط، لا يعالج إرث الماضي ولا يبني المستقبل؛ أفضل من لا شيء على الإطلاق، ومن ترك العنف يتصاعد. لكن، كما يشير إليه المؤلف في الفصل 5.4، فإن ثمة أمران لهما نفس أهمية الصلح (تسوية الخلاف وإنهاء العنف)، وهما الإصلاح (حلّ الخلاف) والتعامل مع الأسباب الجذرية للخلاف)، والمصالحة (التعامل مع الآثار النفسية والاجتماعية للخلاف). نحن بحاجة إلى كل ذلك في واقع اليوم.

يشعر عروة بقلق عميق إزاء عدم قدرة منظمة التعاون الإسلامي وجامعة الدول العربية على التوسّط بشكل فعال داخل العالم الإسلامي ومعه وبينه وبين بقية العالم. إنّ الفشل في القيام بذلك ولّد "فراغًا يملأه مجلس الأمن للأمم المتحدة ومنظمة حلف شمال الأطلسي". مجلس الأمن، أي أنجلو-أمريكا، وحلف شمال الأطلسي، أي أيضًا أنجلو-أمريكا.

هناك قوّة كامنة في الإسلام ينبغي أن تتحرّر، والفصلان 5 و 6 مكرّسان لمسألة جوهرية في الإسلام: كرامة العمل وعمل الكرامة، عمل الخير. كرامة العمل على جميع المستويات في المجتمع، واحترام الجميع، والحق في العمل، والمنفعة الاجتماعية للجميع، وواجب القيام بذلك بشكل جيّد ومن أجل الخير. يتضمّن هذا المفهوم العدل

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

الاجتماعي في صلبه، على عكس العنف الهيكلية الأوسع نطاقاً. ويأخذ الخير أيضاً شكل المشاركة مع أولئك الذين يعانون البؤس، ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (البقرة، 148؛ المائدة، 48)، لكن مع مراعاة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (البقرة، 264)، ويسرد عروة 21 مبدأً ملهمًا للغاية لعمل الخير.

الفصل الأخير عن العلاقات مع الغرب. يجب على الإسلام أن يتعلم كيف يظهر جانبه الإيجابي كردّ على الأذى، والضرر، والشتائم، وعدم الاحترام، الصادر عن الغرب، وليس بالعنف والإفشاء به. يمكن أن يقال عن الإسلام أنه ممارسة السلام مها كانت درجة الاستفزاز.

أحد الأمثلة على ذلك هو القيام بما تم اقتراحه في وساطة مؤسسة قرطبة، في شهر فبراير 2006، بين شخصيات ديمقراطية رفيعة المستوى ورجال دين مسلمين: بانتهاج مقارنة "كلاهما-معاً"، حرية التعبير وحرية عدم التعرّض للإهانة، وليس فقط أحدهما أو الآخر، مع تحديد الخط الرمادي أو المنطقة الرمادية بينهما. دعت الدنمارك المسلمين لحوارات، لكنها رفضت هذه الفكرة. فكرة ربما حان وقتها، مستوحاة من هذا العمل الرائد.

يوهان غالتونغ  
كيوتو، 8 أبريل 2013

---

---

## مقدّمة

---

---

يُعتبر العالم العربي والإسلامي من أعلى أقاليم العالم كثافة للخلافات بين الدول وداخلها التي غالبًا ما تؤوّل إلى العنف. ومع ذلك فهو واحد من أفقرها من حيث موارد ترشيد الخلاف النظرية والعملية. وقد تأزّم الوضع أكثر في السنوات الأخيرة، حيث أظهر مسار التغيرات السياسية في عدد من الدول العربية أنّ مرحلة الانتقال فترة حرجة محفوفة بالمخاطر، تكون فيها الدولة في وضع هشّ، مهدّدة بالعديد من الخلافات التي تندلع وتتأجج على شكل تجاذبات سياسية وأيديولوجية وتوترات عرقية ولغوية وقبلية واحتقانات دينية ومذهبية.

وتتطلّب معالجة التوترات التي تعصف بالمنطقة وتعرقل جهود التنمية البشرية فيها، تكوين نخبة واسعة من المتخصصين في تحليل وترشيد الخلافات، لهم دراية بالتقاليد العربية الإسلامية في هذا المجال وخبرة بالتقنيات التي طوّرت في الغرب، وقدرة على تكييفها وإنزالها على المجتمعات العربية والإسلامية مع الأخذ بالاعتبار النسق التاريخي والواقع الاجتماعي والخصوصيات الثقافية لهذه المجتمعات.

وفي حين انتشرت في العالم الغربي العشرات من مراكز وبرامج الدراسات والبحث للتعاطي العلمي مع ظاهرة الخلاف وطرق فضه وترشيده وتحويله إلى قوة فاعلة وآلية إيجابية لتطوير المجتمع، فإنّ العالم العربي والإسلامي يكاد يخلو من مثل هذه المراكز والبرامج. وفي أحسن الأحوال يلجأ القائمون على مسائل الخلاف والسلام إلى الاستعانة بخبرات غربية (منظمات ومراكز) تقوم بتطبيق وصفات أعدت في فضاء ثقافي مغاير للتقاليد العربية والإسلامية.

من الضروري فهم الأسباب التي تجعل العالم الإسلامي غائبًا عن الإسهام في هذا

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

المجال المعرفي الحيوي، مع أنه يوجد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وسير العلماء والصالحين من الأمة من القيم والمبادئ والتوجيهات والأمثلة العملية ما يمكن من تطوير نظرية متكاملة وقابلة للتطبيق في مجال الوقاية من العنف وحسن إدارة الخلاف وتعزيز السلام. ولعل الأحداث التاريخية التي مرّ بها المسلمون، خاصة الصراعات السياسية الكبرى في العقود الأولى من التاريخ الإسلامي حالت دون ظهور مقارنة صحيحة للخلاف وإسهام نظري معتبر في هذا المجال.

ثمّة اليوم وعيٌ متزايد بالحاجة في العالم الإسلامي لإتقان أدوات تحليل الخلاف وآليات ترشيده. ويمكن قياس ذلك من خلال العدد المتزايد من الشباب المسلمين الذين تدربون على الوساطة أو يتابعون مناهج أكاديمية في ترشيده الخلاف في الجامعات ومراكز التدريب الغربية.

وقد أنشئ معهد قرطبة للسلام بجنيف في 2002 (مؤسسة قرطبة بجنيف سابقاً) كمحاولة للمساهمة في سدّ الفجوة بين الكمّ الهائل من الخلافات التي تعصف بالعالم العربي والإسلامي ونقص القدرات والموارد في مجال ترشيده الخلاف والوقاية من العنف وبناء السلم. وتمّ تحديد الأهداف الآتية للمعهد: (1) إحياء موارد السلم داخل المجتمعات المسلمة؛ (2) تمكين الفاعلين في مجال السلم في المجتمعات المسلمة؛ (3) تمكين مجموعة من الممارسين لترشيده الخلاف لتكون نشطة وفعالة؛ (4) الدفع نحو مجتمعات مسلمة تكون جامعة لإقصائية في المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية؛ (5) المساهمة في التفاعل السلمي بين المسلمين وغير المسلمين. وأدار المعهد خلال العقدين الماضيين برامج ومشاريع تجمع بين (1) البحث التطبيقي الموجه نحو إطلاق مبادرات إصلاح ذات البين، و (2) التدريب (باللغات العربية والانجليزية والفرنسية إلى جانب لغات أفريقية أخرى) المكثف مع السياق المحلي ونوعية واهتمامات المشاركين، و (3) الممارسة في مجال ترشيده الخلاف والوساطة بأنواعها، شملت عشرين دولة في العديد من المناطق الجغرافية: غرب آسيا، وشمال أفريقيا، والساحل وجنوب الصحراء، وشرق أفريقيا، وغرب القارة السمراء.

إنّ الهدف من هذه المساهمة هو تزويد العاملين في مجال بناء السلم وطلبة الدراسات العليا المهتمين بهذا المجال، الناطقين باللغة العربية، ببعض الأدوات والمقاربات التي يمكن استخدامها عند معالجة الخلافات في السياقات العربية الإسلامية، مع الحرص قدر الإمكان على التعبير عن المفاهيم التي تمّ تطويرها في النظرية الحديثة للخلاف والسلم بلغة مفهومة في تلك السياقات مع استخدام موارد من داخل الثقافة الإسلامية، وذلك لتكون أكثر فعالية في عملية ترشيد الخلافات.

لقد تمّ تطوير فصول هذا الكتاب منذ أن بدأ معهد قرطبة للسلم بجنيف برامجه التدريبية سنة 2004 في سياقات عربية إسلامية. ونُشرت النسخة الإنجليزية<sup>1</sup> سنة 2013. وقد تمّ تحديث المساهمة وإعادة ترتيب موادها. كما حُذفت منها ثلاثة فصول: فصل "عشرة مفاهيم أساسية في الإسلام" كان الغرض منه تعريف القارئ الغربي بمفاهيم الدين والإسلام والإيمان والإحسان والرحمة والحقّ والكرامة والعدل والجهاد والشريعة، منها ما يُساء فهمه واستعماله في الغرب، وفصلاً "العمل والكرامة" و"عمل الخير كمقاربة شاملة للأمن البشري"، الذي أفردت له مساهمة موسّعة باللغة العربية<sup>2</sup>. وأضيف إلى هذه النسخة العربية عدّة فصول ضرورية في التدريب على تحليل الخلافات وترشيدها، والتعامل مع الغلوّ والعنف المتطرّف، وتعزيز التماسك المجتمعي. كما أثريت هذه النسخة بأمثلة توضيحية عن تصميم فضاءات الوساطة المحميّة ومنهجية الوقاية من الغلوّ والعنف المتطرّف نابعة من نشاط معهد قرطبة بجنيف في السنوات القليلة الماضية.

يتألّف الكتاب من خمسة أقسام وستة عشر فصلاً موجزاً يمثّل كلّ فصل مادّة تدريبية شبه مستقلة. القسم الأول عبارة عن مقدّمة تاريخية ومفاهيمية تعرض تطوّر دراسات الخلاف والسلم في الغرب وتبرز أهمية ترشيد الخلاف وبناء السلم في الإسلام وتعرّف مصطلحات الخلاف والعنف والسلم. أما القسم الثاني فهو مخصّص لعملية ترشيد الخلاف تُعرض فيه أدوات تحليل الخلاف ومقاربات ترشيده، وآليات الإنذار المبكر والاستجابة السريعة للوقاية من العنف وعمليات التفاوض والوساطة

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

والمصالحة. ويتناول القسم الثالث التعامل مع الخلاف السياسي ويناقش مسائل الانتقال الديمقراطي والحوار الوطني والتاسك المجتمعي واللاعنف الاستراتيجي. أما القسم الرابع فيركّز على الوقاية من الغلو والعنف المتطرف بدءًا بتعريف مصطلحات الراديكالية والتطرف والإرهاب، ومحاولة التمييز بين الكيانات ذات الخلفية الدينية ومناقشة عملية التطرف وسبل إزالته. في الأخير يتطرق القسم الخامس إلى التوترات ذات البعد الديني ويناقش علاقة الدين بالخلاف وبناء السلم، ودواعي التوترات الإسلامية-العربية والبحث عن الطرق المناسبة للتعامل معها. يُختم الكتاب بقائمة من أكثر من 200 مرجع في مجال بناء السلم.

اعتمدت هذه المساهمة على المادة التعليمية لطلبة الماجستير في مجال ترشيده الخلاف (جامعة بازل السويسرية ابتداءً من 2010، وجامعة هاجاتيبي التركية ابتداءً من 2013) وعلى العديد من موادّ التدريب الموجهة للعاملين في مجال بناء السلم في سياقات عربية وأفريقية ودولية، والأوراق البحثية والمداخلات في الندوات والافتتاحيات المنشورة<sup>3</sup> منذ تأسيس معهد قرطبة للسلام بجنيف في 2002، وقد استفادت من نقاشات وملاحظات الزملاء في المعهد والطلبة والمتدربين الذين أدين لهم بالعرفان وأقدم لهم أسمي عبارات الشكر. كما أعبر عن امتناني لصديقين عزيزين شجعاني على إنجاز هذا العمل وهما البروفيسور دييتريش فيشر الذي فقدناه سنة 2015 والبروفيسور يوهان غالتونغ الذي تكرم بتصديره الجميل للنسخة الإنجليزية من هذا العمل. وفي الأخير لا يفوتني شكر الفرع السويسري لمؤسسة تمبلتون وقطاع "الدين-السياسة-الخلاف" بوزارة الخارجية السويسرية ومديره الدكتور جون-نيكولا بيتز على دعمهم الذي ساعد في إنجاز هذا العمل الذي أسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

عباس عروة

جنيف، ديسمبر 2021

---

---

# الفصل الأول

## تطور دراسات الخلاف والسلم في الغرب

---

---

### المحتويات

1. مقّمة ..... 16
2. روافد وتفرّعات مجال الخلاف والسلم ..... 16
3. بعض المعالم التاريخية ..... 19
4. ارتباط التنظير بالممارسة ..... 24
5. مجال السلم في قطاع التربية والتعليم ..... 26
6. دور الجماعات الدينية في تطوير المجال ..... 29
7. خلاصة ..... 30



1. مقدمة

ليس الخلاف والعنف بين الأفراد وبين المجموعات البشرية ظاهرتين حديثتين، فتاريخهما هو تاريخ البشرية، والشاهد على ذلك هو ما جاء من نباى آدم، حيث فسدت العلاقة بينهما إلى حدّ لجوء أحدهما إلى العنف القاتل، بينما كان ردّ الثاني: ﴿لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾<sup>1</sup> إني أخاف الله رب العالمين. وقد طوّرت المجتمعات البشرية في كافة أرجاء المعمورة وعبر القرون آليات للتعامل مع الخلاف والعنف تنسجم مع سياقاتها الثقافية وبيئتها الدينية. وساهمت الرسائل السبوية والمنظومات القانونية والأعراف الاجتماعية في تطوّر هذه الآليات على مرّ العصور، ممّا جعل لكلّ أمة طرقها الخاصة في التعامل مع الخلافات التي تنشأ بداخلها وفضها لكي لا تؤوّل إلى العنف. غير أنّ القرن الماضي عرف تطوّرًا معتبرًا في التعامل الأكاديمي مع ظاهرتي الخلاف والعنف وبروز مجال معرفي أصبح اليوم قائمًا بذاته في الغرب، ألا وهو دراسات الخلاف والسلم أو علم الخلاف والسلم الذي يندرج في إطار العلوم الاجتماعية. ويهدف هذا الفصل إلى تتبّع مراحل ومعلم تطوّر هذا المجال.

2. روافد وتفرّعات مجال الخلاف والسلم

استفاد هذا المجال المعرفي أثناء تطوّره من العديد من العلوم كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم السياسة وعلم الإنسان والعلوم الطبية والعلاقات الدولية والقانون والرياضيات، إلخ. وساعدت مختلف هذه المجالات في الفهم المعمق لظاهرة الخلاف وسياقاته ومسبباته، وطرق تحليله تحليلًا موضوعيًا، ومقاربات ترشيده، وآليات الوقاية من العنف والتعافي من تداعياته، ومناهج بناء السلم المستديم.

<sup>1</sup> ثمة العديد من التسميات لهذا المجال باللغة الإنجليزية منها: Peace Studies، Paxology، Ireology، Conflict Studies، Conflictology، Polemology.

## تطور دراسات الخلاف والسلام في الغرب

وقد نضج هذا المجال في العقود الأخيرة إلى درجة جعلت العديد من الفروع تتمحّص عنه لتشمل كافة مناحي الحياة، انطلاقاً من الوعي بأنه لا يحلّ السلم في مجتمع ما إلا إذا سادت فيه ثقافة السلام وعمت مختلف جوانبه. فالسياسة والاقتصاد والفن والأدب والفكر والعلم وكتابة التاريخ والخطاب الديني والأيدولوجي، كل ذلك يمكن أن يكون داعماً للسلم، كما قد يكون محرّضاً على العنف. الموسيقى مثلاً يمكنها أن تدقّ طبول الحرب كما يمكنها أن تعزف أنشودة السلام، والرياضة يمكن أن توظّف لترقية السلم، وذلك هو الأصل، أو تُستغلّ لزرع الفتن.

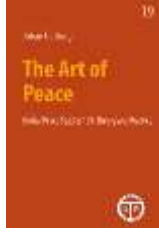
فعلى سبيل المثال يهدف "إعلام السلم" إلى تجنّب التحريض الإعلامي على العنف ويصبو إلى ترشيد طرق الإخبار عن الخلافات العنيفة والحروب بشكل يساعد على معالجتها، بحيث لا يكتفي الصحفي بنقل الأخبار عن أعراض العنف، إنما يتجاوز ذلك إلى مساعدة المتلقي على فهم السياقات ومعرفة مسببات العنف ويخبر عن مساعي فض الخلاف الجارية وينبئ بما يمكن القيام به من مبادرات بناءً على استشارة ذوي الخبرة<sup>ب</sup>.

---

<sup>أ</sup> قرّرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 23 أغسطس 2013، خلال دورتها السابعة والستين، إعلان يوم 6 أبريل يوماً دولياً للرياضة من أجل التنمية والسلام.

<sup>ب</sup> يخلص يوهان غالتونغ وجاك لينش في كتاب "التغطية الإعلامية للنزاعات: التوجهات الجديدة لإعلام السلم" (النسخة العربية من إصدار معهد قرطبة للسلم بجنيف، 2010) إلى أنّ "إعلام السلم" لا بدّ أن يفي أربعة شروط وهي: 1. تجاوز أعراض الخلاف المتمتّعة في أعمال العنف ومظاهره المختلفة، وكشف أسباب الخلاف السطحية والعميقة وأطرافه الظاهرة والخفية؛ 2. عدم التركيز على النخب والاهتمام بالجمهور، خاصة التي تعاني بشدّة من مختلف أشكال العنف المرئي والهيكلي والثقافي؛ 3. عرض وجهات نظر كلّ الأطراف وإتاحة الفرصة أمامها لإبداء مواقفها وللتعبير عن مصالحها واحتياجاتها، خاصة الضرورات الأساسية التي لا مجال للتفاوض بشأنها والتي تشمل ليس فقط المأمّن والمأكل والمشرب والملبس والملجأ، والتعليم والعناية الصحية وإنما تضم أيضاً الحق في الحرية وفي احترام الهوية بمكوناتها الأساسية؛ 4. طرح رؤى لفض الخلاف، وليس المقصود هنا أن يتحوّل الصحفي إلى مناضل للسلم، بل تكمن مهمّته في فتح آفاق جديدة تُخرج المجتمع من منطلق العنف وتهيئ الرأي العام لمطلق بديل، وتساعد العاملين على ترشيد الخلافات في مهمّتهم. والدال

## مدخل إلى ترشيد الخلاف



من مؤلفات البروفيسور يوهان غالتونغ

ويهدف "تاريخ السلم" إلى إعادة قراءة الخلافات المرتبطة بأحداث تاريخية تتسبب في خلافات بين مجموعات بشرية تؤول أحياناً إلى العنف بهدف صياغة سرديات توافقية مقبولة لدى الأطراف تساهم في التخفيف من وطأة الخلاف. ومن الأمثلة عن ذلك الخلاف الستّي-الشيوعي الذي تعود أسبابه إلى أكثر من 14 قرناً، أو الخلاف التركي-الأرمني الذي تعود أسبابه إلى أكثر من قرن.

وتهدف "رياضيات السلم" إلى "جعل مصطلحات هذا العلم من أعداد ومجموعات واحتمالات ومنطق وعلاقات ومصنوفات ورسوم بيانية وألعاب وحسابات ونظريات الشواش والكوارث تساهم في نظرية وممارسة السلم"<sup>2</sup> فتفتح المفاهيم والأدوات الرياضية آفاقاً واسعة لتحليل الخلافات والانتباه إلى إمكانياتٍ نظريةٍ قد لا تسهل ملاحظتها، فالرياضيات، كما يُقال، بقوتها التجريدية، تجعل المخيّ مريئاً، فهي على سبيل المثال تحمي العامل في مجال السلم من فتح الدايكوتوميا التي تنظر إلى الواقع

---

على الخير كفاعله. نلاحظ أنّ الشرط الأوّل يضمن المساهمة في استقصاء الحقيقة واجلائها، وأنّ الشرطين الثاني والثالث يساهمان في تحقيق العدل، وأنّ الشرط الرابع يفتح باباً من أهم أبواب الخير وهو المساهمة في إصلاح ذات البين. وإذا أضفنا إلى هذه الشروط البعد الجمالي، لأنّ الأسلوب الجميل الممتع هو سرّ وضمان نجاح أيّ رسالة إعلامية، فإننا نكون حينئذ قد أحطنا بالفضائل الأساسية الأربعة التي يقوم عليها الإحسان. فالإحسان ليس إلا مزيجاً من الحقّ والعدل والخير والجمال. ولا يمكن للإحسان في مجال الإعلام أن يتحقق إلا إذا توفّر شرط الحرية لدى الإعلامي، أيّ التحرّر من تعسف المحيط الخارجي، السياسي والإداري والاقتصادي والمالي، وأيضاً التحرّر من استبداد هوى النفس. فالصحفي الجيد إذن هو الإنسان الحرّ الباحث عن الحقيقة، الساعي إلى الخير، المحبّ للعدل، المتمسك بالجمال، وهو الذي يتعامل مع الأحداث ومع الجمهور "بالتي هي أحسن"، شعاره دائماً "وقولوا للناس حسناً".

## تطوّر دراسات الخلاف والسلام في الغرب

عبر ثنائيات.

ويمكن أيضًا الحديث عن "اقتصاديات السلم" و"فنون السلم"، وهلمّ جرّاء، فالغرض هو تسخير مجموع المعارف الإنسانية لتحقيق الأمن البشري وبناء السلم الذي هو حاجة ضرورية وحق أساسي من حقوق الإنسان<sup>أ</sup>.

### 3. بعض المعالم التاريخية

يمكن التأريخ لانطلاق دراسات السلم على المستوى الأكاديمي بنهاية الأربعينيات والخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، أي العقدين اللذين أعقبا نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث أنشئت أولى المراكز البحثية والجمعيات الأكاديمية وأطلقت أولى الدوريات المتخصصة في هذا المجال<sup>ب</sup>. غير أنّ هذه المرحلة التأسيسية سبقتها مرحلة

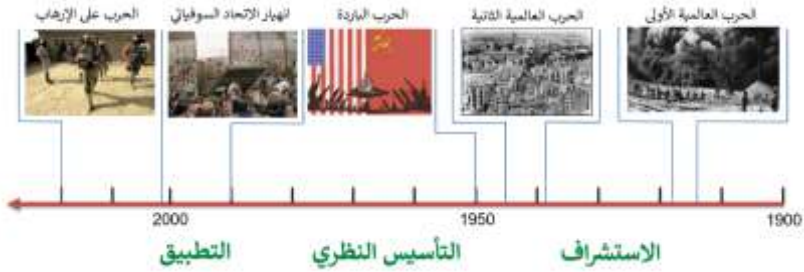
---

<sup>أ</sup> أنظر الإعلان الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في 1984 بشأن حق الشعوب في السلم، معتبرةً فيه أنّ "شعوب كوكبنا لها حق مقدّس في السلم". الإعلان متوفّر على الرابط <https://bit.ly/3rbR6Um>.

<sup>ب</sup> في ما يتعلّق بالمراكز والجمعيات المتخصصة التي أنشئت يمكن ذكر مخبر الأبحاث في مجال السلم (Peace Research Laboratory) في مدينة سانت لويس الأمريكية (1945)، و"مركز الأبحاث في مجال فض الخلاف" (Center for Research on Conflict Resolution) في جامعة ميشيغان الأمريكية (1959) و"معهد دراسات الخلاف" (Polemological Institute) بمدينة خرونينغن الهولندية (1962)، و"المركز الدولي للأبحاث في مجال السلم" بمدينة أوسلو النرويجية (International Peace Research Institute)، و"معهد ستوكهولم الدولي للأبحاث في مجال السلم" (Stockholm International Peace Research Institute) في السويد (1966)، و"معهد ريشاردسون للأبحاث في مجال السلم والخلاف" (Richardson Institute for Peace and Conflict Research) في بريطانيا (1969)، و"معهد تامبيرى للأبحاث في مجال السلم" (Tampere Peace Research Institute) في فنلندا (1969). أمّا بخصوص الجمعيات فتجدر الإشارة إلى جمعية الأبحاث في مجال الخلاف (Conflict Research Society) في لندن (1962)، والجمعية الدولية للأبحاث في مجال السلم (International Peace Research Association) التي أطلقت في 1965. وأطلقت في هذه المرحلة التأسيسية أيضًا دورية أكاديمية بعنوان "مجلة فض الخلافات" (Journal of Conflict Resolution) بجامعة ميشيغان

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

استشرافية لا تقل أهمية منها وهي الفترة الممتدة من الحرب العالمية الأولى إلى الحرب العالمية الثانية، أي ثلاثة عقود عكف خلالها عدد من الأكاديميين على عمل ريادي في دراسة أسباب الحروب والخلافات العنيفة وطرق تفاديها. وكان سبب هذا الاهتمام ما نجم عن هاتين الحربين من دمار لحق بالبشرية. وكان لكتابات بعض الفلاسفة والأدباء والمدافعين عن الكرامة والحقوق البشرية المبشرين بفضائل اللاعنفي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تأثيراً على تفكير المستشرقين والمؤسسين لدراسات الخلاف والسلام.



ثم جاءت، بعد مرحلة التأسيس ومرحلة التطوير التي امتدت إلى سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، مرحلة التطبيق التي تزامنت مع انتهاء الحرب الباردة وبرز

الأمريكية (1957). لمزيد من التفاصيل عن الهيئات المتخصصة في مجال الخلاف والسلام أنظر مساهمة قسم دراسات السلم بجامعة برادفرد البريطانية.

[www.bradford.ac.uk/acad/confres/dislearn/unit1.html](http://www.bradford.ac.uk/acad/confres/dislearn/unit1.html)

أُنشئت في هذه الفترة العديد من الكليات والبرامج الأكاديمية في الجامعات الأوروبية والأمريكية مثل "قسم دراسات السلم" (Department of Peace Studies) بجامعة برادفرد البريطانية (1973)، و"مركز دراسات الخلاف" (Centre for the Study of Conflict) بجامعة أولستر في أيرلندا الشمالية (1979)، و"برنامج التفاوض" (Program on Negotiation) بكلية الحقوق في جامعة هارفرد الأمريكية (1986)، ومعهد جون كروك للدراسات الدولية في مجال السلم (Jean B. Kroc Institute for International Peace Studies) بجامعة نورثام الأمريكية (1986)، و"معهد تحليل وفض الخلافات" (Institute for Conflict Resolution and Analysis) بجامعة جورج مايسن الأمريكية (1988)، و"الجامعة

## تطور دراسات الخلاف والسلام في الغرب

العديد من الخلافات العنيفة المرتبطة بالهويات القومية، خاصة مع تصدع ثم انهيار الاتحاد السوفياتي، أو المتعلقة برغبة الشعوب في الانعتاق من الأنظمة التسلطية. في هذه الفترة تم تطبيق واختبار الفرضيات النظرية التي صيغت من قبل. ومع بداية الألفية الثالثة واندلاع "الحرب العالمية على الإرهاب" إثر ضربات 11 سبتمبر 2001، وتداعيات هذه الحرب الكارثية على الإنسانية من هضم للحقوق وتقييد للحريات، توسعت دائرة دراسات السلم والخلاف لتشمل مواضيع الغلو والعنف المتطرف والخلافات ذات الخلفية الدينية أو المرتبطة بتباين الرؤى الكونية<sup>1</sup>.

إن تطور مجال الخلاف والسلام يعود إلى العمل المتفاني لمجموعة رائدة من المفكرين والباحثين والممارسين الذين ساهموا في إثراء هذا المجال والذين يمكن تقسيمهم إلى عدة فئات: المهتمون والمستشرفون والمؤسسون والمطورون. وتجدر الإشارة إلى الأسماء الآتية من ذوي الفضل في الدفع بهذا المجال.

### ألف) المهتمون



موهانداس غاندي



ليو تولستوي



هنري ثورو

— الكاتب والشاعر والفيلسوف الأمريكي هنري ثورو (Thoreau Henry)

الأوروبية للسلام" (European Peace University) بمدينة شتاتشلاينينغ النمساوية (1988).

<sup>1</sup> من بين المؤسسات التي وسعت برامجها لتعالج هذه المواضيع يمكن ذكر "المعهد الدولي للسلام" بنيويورك (International Peace Institute) الذي تأسس في 1970، و"معهد الولايات المتحدة للسلام" بواشنطن (United States Institute of Peace) الذي تأسس في 1984، و"معهد قرطبة للسلام بجنيف" (Cordoba Peace Institute – Geneva) الذي تأسس في 2002، و"المعهد الأوروبي للسلام" بروكسل (European Institute of Peace) الذي تأسس في 2014.

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

— (1862-1817) المولود في ماساتشوستس بالولايات المتحدة الأمريكية، والذي ناهض الاسترقاق ونظر للعصيان المدني.

— الأديب الروسي ليو تولستوي (Leo Tolstoy — 1910-1828) المولود في مقاطعة تولا جنوب موسكو بروسيا، والذي عارض الكنيسة الأرثوذكسية وكان من دعاة المقاومة السلمية.

— رجل القانون والسياسة الهندي موهانداس غاندي (Gandhi Mohandas — 1948-1869) المولود في ولاية غوجارات بالهند، والمنظر للساتياغراها أي التمسك بالحق.

## باء) المستشرفون



كوينسي رايت



بيتيريم سوروكين



لويس ريتشاردسون



ماري فوليت

— الفيلسوفة الأمريكية ماري فوليت العاملة بالخدمة الاجتماعية (Follett Mary — 1933-1868) المولودة في ماساتشوستس بالولايات المتحدة الأمريكية، الرائدة في مجالات السلوك التنظيمي وتسوية الخلافات والمنظرة للتفاوض التكاملي (Integrative bargaining).

— عالم الرياضيات والفيزيائي والنفساني البريطاني لويس ريتشاردسون (Lewis Richardson — 1953-1881) المولود في نيوكاسل أبون تاين ببريطانيا، من الكويكرز، درس أسباب الحروب.

— عالم الاجتماع الأمريكي من أصل روسي بيتيريم سوروكين (Sorokin Pitirim — 1968-1889) المولود في مقاطعة فولوغدا بروسيا، والذي اختلف مع لينين

## تطوّر دراسات الخلاف والسلام في الغرب

وهاجر إلى أمريكا في 1922 وأسس قسم علم الاجتماع في جامعة هارفرد في 1930. — عالم السياسة والمؤرخ الأمريكي كوينسي رايت (Quincy Wright) — 1890-1970) المولود في ميدفورد بالولايات المتحدة، المتخصص في العلاقات الدولية والذي درس أسباب الحروب وطرق تفاديها.

### جيم) المؤسسون



جون وير بيرتون



يوهان غالتونغ



كينيث باولدينغ

— كينيث باولدينغ بريطاني أمريكي من الكويكرز (Kenneth Boulding — 1910-1993) مولود في ليفربول بإنجلترا.

— عالم الاجتماع والرياضيات النرويجي يوهان غالتونغ (Johan Galtung — 1930-) المولود في أوسلو بالنرويج، والذي يُعتبر لدى الكثير من أهل الاختصاص المؤسس الرئيسي لدراسات السلم.

— جون وير بيرتون، استرالي أبوه قس من الكنيسة المنهجية (John Wear Burton — 1915-2000) المولود في ملبورن بأستراليا.

### دال) المطوّرون



جون بول لادبراخ



ويليام أوري



هربرت كيلمان



روجر فيشر



إيليز باولدينغ



آدم كورل



## مدخل إلى ترشيد الخلاف

— آدم كورل، بريطاني من الكويكرز (Adam Curle — 1916-2006)، المولود في ليزل آدم بفرنسا.

— إيليز بولدينغ، نرويجية أمريكية من الكويكرز (Elise Boulding — 1920-2010)، المولودة في أوصلو بالنرويج.

— أستاذ القانون الأمريكي روجر فيشر (Roger Fisher — 1922-2012) المولود في وينتكا بالولايات المتحدة الأمريكية، والمتخصص في التفاوض وإدارة الخلاف في جامعة هارفرد.

— عالم النفس الأمريكي هربرت كيلمان (Herbert Kelman — 1927-) المولود في فيينا بالنمسا والذي اشتغل على الملف الفلسطيني الإسرائيلي.

— عالم الاثنوبولوجيا الأمريكي وليام أوري (William Ury — 1953-) المولود في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية، والمتخصص في التفاوض والوساطة بجامعة هارفرد.

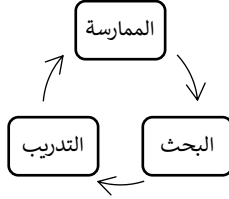
— جون بول لاديراخ، أمريكي مينوناتا (John Paul Lederach — 1955-)، المولود في إنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية.

### 4. ارتباط التنظير بالممارسة

كما لا يمكن للمرء أن يتخيل في مستشفى جامعي غياب إحدى الركائز الثلاثة للأداء الجيد للمؤسسة الصحية: الممارسة والتدريب والبحث في مجال الطب والعلوم الصحية، وينطبق ذلك على العديد من المجالات الأخرى للنشاط البشري لتحسين تراكم المعرفة وإدارتها وتقاسمها وتطبيقها العملي، فإنّ مجال الوقاية من العنف وترشيد الخلاف وبناء السلم، وهو يماثل الطب في مجال "الصحة الاجتماعية"، قد استفاد خلال تطوّره، إلى حدّ كبير، من ثلاثية "الممارسة-التدريب-البحث" لتحسين مناهجه وأدواته وليكون أكثر فعالية وتأثيراً.

## تطور دراسات الخلاف والسلام في الغرب

فالممارسة تفتح سبلاً جديدة للبحث وتزوّد الباحثين بأفكار ومواضيع جديدة لاستكشافها بالإضافة إلى مادة خام ثمينة من الميدان قابلة للاستغلال. ويجول ذلك دون الطواف في دائرة مفرغة واستطلاع ما تمّ سبره من قبل.



وللبحث وظائف مختلفة، فعندما يكون موجّهاً نحو الممارسة وقابلاً للتنفيذ يساهم في ترشيد الممارسة، إذ يساعد على تحليل الخلاف وفهم السياق ووضع أفضل استراتيجية للتدخل، وتصميم عملية بناء سلم أكثر فعالية. وعندما يكون موجّهاً نحو التنظير فإنه يساعد في وضع النظريات واستخلاص الدروس من الممارسة لتوسيع القاعدة المعرفية لمجال بناء السلم. وعندما يكون موجّهاً نحو التأثير على السياسات العمومية فإنه يساعد في تطوير رسائل فعّالة لتعزيز السلم موجّهة لصناع القرار وغيرهم من المؤثرين.

وتسمح نتائج البحث بتحسين المناهج المستخدمة في التدريب وبناء القدرات. وتساعد في تحديث الأساليب لتكون قادرة على التعامل مع الأوضاع المستجدة والقضايا الناشئة. وتزوّد المناهج المحسّنة المتدربين بأدوات نظرية فعّالة لأداء واجبهم كفواعل سلم والممارسة قائمة على أدلة نابعة عن الميدان.

هكذا تستمرّ الحلقة. ولكي تعمل هذه الحلقة بشكل فعال وتأتي بنتائج مبتكرة في بناء السلم، يجب أن يتماشى البحث مع مهمّة واحتياجات منظمة السلم، ويجب أن يكون التدريب مناسباً لخلفيات وخصائص المتدربين، وينبغي أن تكون الممارسة حسّاسة للسياق. وإنّ غياب أحد المكونات الثلاثة لهذا المزيج السحري، "الممارسة-التدريب-البحث"، يحرم منظمة السلم من بُعدٍ مهمّ لتعزيز السلام ويمنعها من

الاستفادة من تآزر قوي قادر على تعزيز تأثير عمل المنظمة في الميدان.

## 5. مجال السلم في قطاع التربية والتعليم

أكد الكثير من الأخصائيين، منهم مؤسس دراسات السلم الفروفيوسور يوهان غالتونغ، على أهمية تضمين المناهج التعليمية مادة تساهم في تربية الناشئة وتدريبهم على التعامل السلمي مع الخلاف (Peace education) وعلى ما للاستثمار في هذا المجال من تداعيات إيجابية على السلم المجتمعي. وأقر بذلك مسؤولون أميون مثل المديرية العامة السابقة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، كويشيرو ماتسورا، التي أكدت في 2008 على أن "تربية السلم" هي إحدى المهام الرئيسية لليونسكو وللأمم المتحدة.<sup>3</sup> وقد خصّصت اليونسكو جائزة سنوية بمقدار 60 ألف دولار أمريكي لتكريم الجهات التي تقوم بنشاط متميّز في مجال "تربية السلم" تماشيًا مع ميثاق المنظمة الدولية.<sup>4</sup> أما الأمين العام السابق للأمم المتحدة، بان كي مون، فقد خصّص اليوم الدولي للسلام لسنة 2013 لموضوع "تربية السلم" كأفضل سبيل لنشر ثقافة السلام في العالم.

وأصبحت دراسات الخلاف والسلم مجالًا رائجًا في العديد من الجامعات الغربية العريقة أين يحضّر طلبة الماجستير والدكتوراة رسائل بحثية في مسائل نظرية أو تطبيقية تعالج خلافاً معيّنة. كما طوّرت مناهج وبرامج تعليمية متخصصة في هذا المجال. وتُمكن هذه البرامج الأكاديمية من إعداد فيالق من المتخصصين مزوّدين بالأدوات التقنية اللازمة للوقاية من العنف وترشيد الخلاف وبناء السلم. ويلتحق هؤلاء الخبراء بالمؤسسات الحكومية والمنظمات غير الحكومية العاملة في هذا المجال ويعملون في مجال فضّ الخلافات التي تنشب ليس فقط في أوروبا وأمريكا الشمالية بل في كافة أرجاء المعمورة.

تجاوز مجال الخلاف والسلم في العقود الأخيرة حيّز الدراسات الجامعية ليلج إلى مختلف مراحل التربية والتعليم ويصل إلى المراحل الابتدائية. وتهتم العديد من المؤسسات

## تطور دراسات الخلاف والسلام في الغرب

التربوية في الغرب بتطوير مناهج في مجال "تربية السلم" تركز على التعليم الأساسي (الابتدائي والثانوي)، بل حتى على مستوى دور الحضانة. ومن أبرز التجارب في هذا المجال تلك التي شهدتها الدول الاسكندنافية وعلى وجه الخصوص تجربة صابونا (SABONA)<sup>5</sup> التي انطلقت في المدارس النرويجية منذ ما يقارب العقدين وتُعنى بتدريس فض الخلافات للتلاميذ. وقد نشرت جامعة ترومسو النرويجية في 2011 رسالة ماجستير<sup>6</sup> موضوعها تقييم برنامج "صابونا" الذي يديره فريق من "شبكة ترانسند الدولية للسلام والتنمية والبيئة" (Transcend international)<sup>7</sup>.

كما تُخصّص العديد من المنظمات الدولية غير الحكومية جزءاً كبيراً من نشاطها لموضوع "تربية السلم" مثل مؤسسة "آريغاتو" اليابانية (Arigatou International)<sup>8</sup> التي تقوم بتطوير مناهج لتعليم مبادئ العيش المشترك في المدارس بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف)، ومؤسسة "بذور السلام" السويسرية (Graines de paix)<sup>9</sup> التي تقوم بتطوير حلول تربوية لصالح مؤسسات التعليم من أجل بناء سلم مستديم، وشبكة التربية في مجال السلم البريطانية (Peace Education Network)<sup>10</sup>، و"الحملة العالمية لتربية السلم" (Global Campaign for Peace Education)<sup>11</sup>، وهي شبكة دولية تقوم بترقية تربية السلم في المدارس والأسر والمجموعات لتحويل ثقافة العنف إلى ثقافة السلم.

أمّا في العالم العربي فنادرًا ما تولي قطاعات التربية والتعليم الاهتمام اللازم بتدريب الناشئة على التعامل السلمي مع الخلاف. وقد لاحظ الباحث يزيد عيسى الشورطي عند معاينته لواقع حلّ الخلافات في مجال التربية في العالم العربي بالقول: "ما زال الاهتمام بحلّ النزاعات في التربية العربية محدودًا رغم أهميته الكبيرة، فحلّ النزاعات سلميًا وبدون عنف موضوعٌ مُهمل، وما يرتبط به من مجالات مثل التعليم التعاوني، والتفكير الناقد، والذكاء الانفعالي، والتربية على السلام، والتربية على التسامح، والتربية على حقوق الإنسان مهمّشة وضعيفة الوجود والتأثير، وتبتعد طرق التدريس

## مدخل إلى ترشيد الخلاف

السائدة عن كل ما يعزز التربية على حل النزاعات، وتكاد المناهج المدرسية والجامعية تخلو من معارفها، ومهاراتها، وأساليبها، واستراتيجياتها، وقيمتها ومبادئها، وممارساتها<sup>12</sup>. وأوصى الباحث في خلاصة دراسته لـ "حل النزاعات في التربية العربية" بالعديد من الإجراءات منها دمج التربية على حل الخلافات في مناهج إعداد المعلمين، وتدريب الطلبة على حل الخلافات، وتشكيل لجان وساطة طلابية في المدارس والجامعات، ووضع خطط للتخلص من التعليم الفردي التنافسي الصراعي في التربية العربية وإحلال التعليم التعاوني التشاركي الجماعي محلّه، والتركيز على التفكير الناقد.

كما انتبه الباحثون عمرو خيرى عبد الله وزملاؤه عند صياغة "دليل المصطلحات العربية في دراسات السلام وحل النزاعات" إلى كون "التعليم المستند إلى المهارات الحياتية من أجل الوقاية من العنف وبناء السلام؛ يشجع على تنمية المعارف، والمهارات والتوجهات، والقيم المطلوبة لإحداث التغيير السلوكي الذي سيُمكّن الأطفال والشباب والراشدين من القيام بما يلي: منع وقوع النزاعات والعنف بشكليهما الواضح للعيان والخفي وكذلك الحل السلمي للنزاعات، وخلق الظروف المؤدية إلى إحلال وتعزيز السلم، سواء أكان ذلك داخل الشخص نفسه أو فيما بينه والآخرين، وكذلك فيما بين المجموعات فيما بينها سواء على المستوى الوطني أم الدولي.<sup>13</sup> كما تبه الباحثون إلى "الافتقار إلى الكتابات العربية الخالصة في مجال بناء السلام وحل النزاع، وكذلك إلى الأعمال البحثية المُعرّبة بصورة ثلائم الواقع العربي ولا تقتصر فقط على جانب الترجمة الحاقّة أو الجامدة للنصوص المختلفة، وبخاصة في جانب المصطلحات الأساسية المستخدمة، والتي لا غنى عنها في أية أنشطة/مشروعات في بناء السلام وحل النزاع بالمنطقة."<sup>14</sup> ومن الأهداف التي وضعوها لعملمهم البحثي تعريف عمّداء الكليات والأكاديميين الجامعيين بمجال دراسات السلم وفصّ الخلاف، واستكشاف مدى إمكانية إنشاء برامج أكاديمية في هذا المجال في جامعاتهم.

## 6. دور الجماعات الدينية في تطوير المجال

كان للجماعات الدينية المسيحية مثل المينوناتيين (Mennonites) والصاحبين (Quakers) دور ريادي في تطوير دراسات السلام في الغرب منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. والمينوناتيون هم أقلية بروتستنتية كانت مضطهدة في أوروبا الجرمانية فهاجر كثير منهم إلى أمريكا، وهم أصحاب مبادرة "فرق السلام المسيحي" المتواجدة في العديد من الدول منها فلسطين والعراق. أمّا الكويكرز أو جمعية الأصدقاء الدينية أو الصاحبين فهم فرقة منشقة عن الكنيسة الأنجليكانية، تعرّضوا للاضطهاد في بريطانيا وأمريكا وعرفوا برفضهم المشاركة في الحروب ومعارضتهم للرق.



جورج فوكس مؤسس جماعة الكويكرز  
(1624-1691)



مينو سيمونز مؤسس جماعة المينوناتيين  
(1496-1561)

ومن رواد مجال دراسات الخلاف والسلام الذين سبق ذكرهم لويس ريتشاردسون وكينيث باولدينغ وإيليز باولدينغ وآدم كورل ينتمون إلى الكويكرز وجون بول لاديراخ ينتمي إلى المينوناتيون.

كما نشأت العديد من المنظمات غير الحكومية ذات الخلفية الدينية المسيحية التي تشتغل في مجال بناء السلام في العالم بما فيه العالم الإسلامي. وتضمّ "شبكة منظمات السلام المسيحية" (Network of Christian Peace Organizations)<sup>15</sup> وحدها أكثر من عشرين هيئة.

وتوفّر العديد من الجامعات ذات الخلفية الدينية وكليات العلوم الدينية في أوروبا وشمال أمريكا برامج أكاديمية في دراسات السلام. فمثلاً جامعة "نوتر دام" الكاثوليكية الأمريكية (Notre Dame) لديها برنامج دكتوراه في "علم اللاهوت ودراسات

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

السلام" (Theology and Peace Studies)<sup>16</sup>. كما للجامعة "المينوناتية" البروتستنتية الأمريكية (Anabaptist Mennonite Biblical Seminary) برنامج ماجستير في "علم اللاهوت ودراسات السلام" (Theology and Peace Studies)<sup>17</sup>. وفي إندونيسيا جامعة "دوتا فاكنا" المسيحية (Duta Wacana) لديها برنامج ماجستير في "دراسات الخلاف والسلام" (Conflict and Peace Studies)<sup>18</sup>. أما برامج دراسات السلام في الجامعات الغربية ذات الخلفية غير الدينية فهي لا تُحصى.

كما تزايد اهتمام العالم الأكاديمي الغربي بتفاعل الدين والشؤون الدولية، وخاصة تفاعل الدين والخلاف والسلام. وقد أطلقت العديد من الجامعات برامج تدريبية وبحثية في هذا المجال. فمثلاً كلية اللاهوت في جامعة أوسالا السويدية لديها برنامج ماجستير عن دور "الدين في السلام والخلاف" (Religion in Peace and Conflict)<sup>19</sup>. ولـ"جامعة فريخة بأستردام" الهولندية (Vrije Universiteit Amsterdam) برنامج ماجستير عن "السلام والصدمات والدين" (Peace, Trauma and Religion)<sup>20</sup>. كما أسست كلية ترينيتي بجامعة دبلن الأيرلندية (Trinity College) قسمًا لـ"الأديان ودراسات السلام واللاهوت" (Confederal School of Religions, Peace Studies and Theology)<sup>21</sup>.

## 7. خلاصة

— أصبحت دراسات السلم والخلاف مجالاً معرفياً قائماً بذاته مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين واستفادت من العديد من العلوم والتخصصات.

— تطوّر مجال الخلاف والسلام على الصعيد النظري بعد الحرب العالمية الثانية وعلى المستوى التطبيقي بعد الحرب الباردة، وأثمرت العلاقة الوطيدة بين البحث والتدريب والممارسة بنقلة معرفية كبيرة في هذا مجال.

## تطور دراسات الخلاف والسلام في الغرب

— لم تنتشر مفاهيم بناء السلم والوقاية من العنف في الأوساط الجامعية والبحثية الغربية فحسب، بل ولجت إلى قطاع التربية والتعليم بشكل عام من دور الحضانة إلى التعليم العالي، وثمة جهد ينبغي القيام به في العالم العربي بهذا الخصوص.

— كان للجماعات الدينية، مثل المينوناتيين والصاحبين، دورٌ رئيسي في تطوير مجال الخلاف والسلام.



مدخل إلى ترشيده الخلاف

---

---

## الفصل الثاني ترشيد الخلاف وبناء السلم في الإسلام

---

---

### المحتويات

1. مقدمة ..... 34
2. السلم والسلام في الإسلام ..... 35
3. العنف في الإسلام ..... 38
4. الحثّ على إصلاح ذات البين في الإسلام ..... 42
5. إصلاح ذات البين أحد مجالات العمل الخيري ..... 44
6. إصلاح ذات البين مسؤولية الجميع ..... 47
7. تمويل إصلاح ذات البين ..... 48
8. خلاصة ..... 49

## 1. مقدمة

تدعو الديانات من خلال نصوصها التأسيسية وأدبياتها إلى السلم بكلّ معانيه، بما في ذلك السلم مع الغير. لكن تحقيق ذلك مرهونٌ بمدى التزام أتباع الديانات بهذه النصوص، فهُم بشرٌ يمتزج في كيانهم التّوق إلى السلم بالزعة إلى العنف. لا توجد إذن ديانة سلمية وأخرى عنيفة، كما يزعم البعض، لكن هناك مجموعات بشرية معقدة بمعتقداتها ومبادئها ونزواتها ومصالحها وتناقضاتها قد تقنّدي بتعاليم الأديان فتعمل على إحلال السلم، أو تُعرض عنها فتتسبّب في انتشار العنف. ولا يشدّد الإسلام وأتباعه عن هذه القاعدة. فتاريخ الإسلام وحاضره لا يخلو من وقائع العنف والدمار، رغم أنّ تعاليم الإسلام كفيّلة بتحقيق السلم.

ولعلّ الأحداث التاريخية التي وقعت في بدايات التاريخ الإسلامي أدّت إلى إدراك سلمي للخلاف وانتهاج مقاربة غير سليمة للتعامل معه (الخلاف السياسي على وجه الخصوص)، وإلى تكريس ثقافة "شرعية الغلبة" وإدارة الخلافات بواسطة العنف عوض ترشيده بالوسائل السلمية كالحوار. وذلك ما قد يفسّر النقص الملحوظ في المكتبة الإسلامية في الإنتاج المعرفي المتعلّق بترشيده الخلاف، إذا استثنينا بعض المساهمات في موضوع "أدب الاختلاف"، التي تركّز على القواعد التي يجب الالتزام بها عند الاختلاف في الرأي.

إنّ المكونات الأساسية لنظرية إسلامية للخلاف والعنف والسلم متوقّرة في نصوص الإسلام وسيّر رموزه، ويأمكن الباحثين من أهل العلم في العالم الإسلامي الاستثمار في هذا المجال المعرفي العالمي من أجل إثرائه بمساهمة وجيهة من منظور إسلامي. ويمكن البدء بمراد ما أُلّف في المواضيع ذات الصلة بهذا المجال من طرف العلماء والباحثين المتقدّمين منهم والمتأخّرين، ثم إحياء موارد السلم النظرية والآليات العملية لترشيده الخلاف داخل المجتمعات الإسلامية، والعمل على تحفيز الأفراد والمنظمات في المجتمع الإسلامي للانخراط على كل المستويات في مبادرات إصلاح ذات البين.

## 2. السلم والسلام والإسلام في الإسلام

السلم والسلام والإسلام كلمات مشتقة من نفس الجذر سلم-س-م: دفعت هذه الملاحظة البعض إلى اعتبار الإسلام هو الدخول إلى السلم والسعي إلى السلام بالتقرب إلى الله عز وجل. ولعل ذلك ما جعل العديد من مفسري القرآن الكريم، عندما يتعرضون للآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾<sup>1</sup> يعتبرون السلم مرادفًا للإسلام. والسلام واحدٌ من أسماء الله الحسنى ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>2</sup>، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>3</sup>.

السلم ثلاثي الأبعاد: يُدرك مفهوم السلم في الإسلام بإسقاطه على الأبعاد الثلاثة حياة المسلم: البعد العمودي بين الفرد وخالقه، والبعدان الأفقيان بين الفرد ونفسه، وبينه وبين المخلوقات الأخرى. ورغم كون المستويين العموديان منفصلان لا يشتركان سوى في المحور المشير إلى الخالق، إلا أنّ المستوى الأفقي مشترك بين الجميع (الذات وسائر المخلوقات) ويوفر مساحة كبيرة للتعاون ويسمح بالتعايش المشترك والتفاعل الإيجابي في هذه الحياة.



وإسقاط السلم على الأبعاد الثلاثة يعطي ثلاثة أنواع من السلام: (1) السلم مع الخالق؛ (2) السلم الداخلي، مع الذات؛ و (3) السلم مع المخلوقات الأخرى (البشر والحيوانات والبيئة بأكملها). وأبعاد السلم الثلاثة مترابطة، فكما أشار إليه الأكاديمي

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

الجزائري عمر بن عيسى: "إن اسم الله 'السلام' هو الاسم الذي يتم به التوفيق بين جميع الأسماء المتعارضة الأخرى. ويجب على المرء أن يصنع السلم داخل نفسه حتى يتمكن من صنع السلم حوله. تعلم موسى عليه السلام أولاً السيطرة على 'فرعونه' الداخلي قبل أن ينتصر على الفرعون الخارجي"<sup>4</sup>. وأن تكون في سلام مع الله يعني بالضرورة أن تكون في سلام مع الآخرين. وبالنسبة لشهرزاد الجعفري وعبد العزيز سعيد، "في الإطار الإسلامي لصنع السلام، يرتبط التحول الشخصي الداخلي بتحويل الخلاف المجتمعي. فالسلم داخل الذات والسلم فيما يتعلق بالآخرين لا يرتبطان ببعضهما البعض فحسب، بل أيضاً بالعلاقة مع الله. وعلى وجه الخصوص، يفهم الفرع الصوفي للمعرفة في الإسلام، تركيبة النفس كوسيلة للوصول إلى السلم الذي يتم تعريفه على أنه الانسجام أو التوازن. [...] يوقر الإطار الإسلامي تصورًا للتحوّل يعمل من الداخل إلى الخارج، ويتناول ما هو متجذّر بعمق على المستوى الشخصي من أجل الاقتراب من محبة الله والسلام في نهاية المطاف"<sup>5</sup>.

**السلام نتيجة حتمية للالتزام بمبادئ الإسلام وقيمه الكبرى:** جاء الإسلام بمجموعة من المبادئ والقيم كالرحمة ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾<sup>6</sup>، والعدل والإحسان ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾<sup>7</sup> والحق ﴿وَلَا تَلْسِنُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>8</sup> والكرامة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾<sup>9</sup>، وهذه المبادئ والقيم كفيلاً، إن تم تفعيلها في المجتمع، بإحلال السلام فيه.

**السلام حاجة بشرية وحق من حقوق الإنسان:** فهو شرط مسبق لتحقيق حقوق الإنسان الأخرى. وهناك حاجتان أساسيتان مذكورتان في القرآن في نفس الآية،

---

<sup>4</sup> من السنة المطهرة: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" (رواه أبو داود)، "من لا يرحم الناس لا يرحمه الله" (رواه البخاري ومسلم)، "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (رواه أحمد ومسلم)، "لا يدخل الجنة إلا رحيم" (رواه عبد بن حميد والحاكم).

## ترشيده الخلاف وبناء السلم في الإسلام

الطعام والسلم وهو الأمن من الخوف: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾<sup>10</sup>. ولكون الإنسان يقوم مقام الخليفة في الأرض، فإن من واجبه ضمان هاتين الحاجتين الأساسيتين للخلق حوله، كما أن مهمة الدولة هي ضمانها على نطاق أوسع للمجتمع بأسره. وقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 1984 إعلاناً بشأن حق الشعوب في السلم،<sup>11</sup> تعتبر فيه أن "شعوب كوكبنا لها حق مقدس في السلم"، وأن "المحافظة على حق الشعوب في السلم وتشجيع تنفيذ هذا الحق، يشكلان التزاماً أساسياً على كل دولة".

السلم يتحقق بتحقيق المقاصد الضرورية التي جاءت الشريعة لحمايتها: وهي المصالح التي لا تستقيم حياة البشر في الدنيا والآخرة إلا بها، وقد صنفها عدد من أهل العلم في خمس: الدين والنفس والعقل والنسل والمال. وأضاف إليها آخرون الحرية.

السلم تحية الإسلام: "السلم عليكم" هي العبارة التي يستعملها المسلمون للتحية. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابُّتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ"<sup>12</sup>. "السلم عليكم" هي أيضاً العبارة التي تُتَهِى الصلاة.

السلم هو رغبة المسلم المتكررة باستمرار: بعد كل صلاة يدعو المسلم ربه - كما ثبت عن الرسول عليه الصلاة والسلم - فيقول: "اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ"<sup>13</sup>، ويضيف بعضهم "واليك يرجع السلم، أحيانا ربنا بالسلم وأدخلنا دار السلم".

السلم لغة الصالحين وتحية الله للصالحين: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾<sup>14</sup>، ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً﴾<sup>15</sup>، ﴿سَلَامٌ قَوْلاً مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾<sup>16</sup>.

السلم إسم ولغة الجنة: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ وَهُوَ وَيْلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>17</sup>، ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۗ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ

عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿١٨﴾، ﴿جَنَّتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا، لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ ١٩، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا، إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ ٢٠.

**السلام موقف وسلوك المسلم الحقيقي:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" ٢١، و"المؤمن من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم" ٢٢.

### 3. العنف في الإسلام

إذا اعتبرنا الإسلام دين سلام، كما أُشير إليه في الفقرات السابقة، فهو ليس عقيدة سلموية، لأنه حتى وإن كان العنف، من حرب وقتال، مكروهًا على وجه العموم، إلا أنه يكون مباحًا في ظروف معينة وبشروط محددة. ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٢٣. ولا توجد في الإسلام "حرب مقدسة" أو "حرب دينية" تهدف إلى تغيير دين الناس عنوة لأنه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ٢٤، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنَ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ ٢٥. والجهاد الذي غالبًا ما يُساء تفسيره من طرف العديد من السياسيين والأكاديميين والصحافيين في الغرب ليس له علاقة بـ "الحرب المقدسة"، وحتى ما يُسميه البعض "الحروب الصليبية" أطلق عليها المسلمون "حروب الفرنجة" وكان يُنظر إليها كحروب احتلال أكثر منها حروبًا دينية. والجهاد ليس ضربًا من العدوان المحرم في الإسلام. ويمكن تعريف الجهاد، الذي يعدّه جميع المسلمين فرضًا دينيًا، أنّه جهادٌ مشروعٌ، ممّا كان نوعه، يصدر عن القلب أو اللسان أو اليد، في سبيل الله (النية والقصد)، لمناهضة (الهدف): (1) كلّ أنواع الشرّ داخل النفس (الجهاد الأكبر)؛ و (2) كلّ أشكال الظلم خارجها (الجهاد الأصغر). وقد ميّز أهل العلم بين صنفين من الجهاد الأصغر (القتال): جهاد الدفع لصدّ

## ترشيده الخلاف وبناء السلم في الإسلام

العدوان، وحماد الطلب لرفع الظلم والفتنة عن الغير. فالمسلمون مطالبون بالدفاع ليس فقط عن حقوقهم، بل عن حقوق الغير إن سلبت من طرف معتدٍ أو طاغية. يمكن إذن اعتبار عملية الجهاد كالية اضطرارية لإحلال السلم المستديم إذا استعملت مع الأخذ بالاعتبار الغاية منها والأهداف ومع احترام المبادئ والقيم التي تحكمها، كما يبيته الجدول الآتي.

العملية	الأهداف	المنهجية	الغاية
الجهاد	العدل	الإحسان	السلم
الحق	الوسطية	الرحمة	الكرامة

من المفيد التذكير بأن المرة الأولى التي سُمح فيها للمسلمين الأوائل بحمل السلاح للدفاع عن أنفسهم كانت عند نزول هاتين الآيتين من سورة الحج: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا وَإِنَّمَا اللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ 26﴾. وجاءت آيات أخرى لتبين شروط وحدود القتال، مثل: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۗ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۗ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ، فَإِن انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۗ فَإِن انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ، الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۗ فَمَن اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۝ 27﴾.

وبمجرد أن ينخرط المسلمون في مشروع القتال - المكروه أصلاً - لمحاربة العدوان أو الاضطهاد أو الفتنة، يأمرهم القرآن بأن يكونوا حازمين وثابتين في تطبيق العنف.



## مدخل إلى ترشيده الخلاف

وبما أنّ الحرب عند نزول القرآن الكريم كانت تدور باستعمال السيف، فإن العديد من الآيات القرآنية التي تتعرض لسلوك المقاتل في ساحة المعركة، تتعلق بضرب رقاب أولئك الذين يقاتلون لنصرة العدوان والقمع والاضطهاد<sup>28</sup>.

ومثل إجراءات العلاج الغازية للجسم، قد تجلب الحرب بعض الفوائد للصحة الاجتماعية، لكنها تجلب أيضًا الكثير من الضرر والخراب. لذا يُنظر إلى الحرب على أنها الملاذ الأخير ويجب تبريرها وتحسينها. أما التبرير فيعني أنّ الحرب ينبغي أن تهدف إلى غاية عادلة وأن لا توجد وسائل أخرى لتحقيق هذه الغاية. وأما التحسين فيعني تعظيم الفائدة الناتجة عن الحرب وتقليل الضرر الناجم عنها. وهذا يعني الامتثال لقواعد السلوك التي تنصّ على التناسب، وتجنّب غير المقاتلين، وحظر الأسلحة غير التمييزية، وما إلى ذلك. وعندما يتم دمج مبدئي التبرير والتحسين، يعني ذلك "القيام بالشيء الصحيح والقيام به بالشكل الصحيح".

ولعلّ وصية أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - لحيش أسامة قبل فتح بلاد الشام من أوفى الأمثلة التاريخية التي تفصل في القواعد التي ينبغي الالتزام بها أثناء القتال: "يا أيها الناس، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا ولا تغلوا؛ ولا تغدروا ولا تمثلوا؛ ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة؛ ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه؛ ولا تقطعوا شجرة مثمرة؛ ولا تدبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لمأكلة؛ وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بأنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئاً فاذكروا اسم الله عليها. وتلقون أقواماً قد فخصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فأخفقوهم بالسيف خفقا. اندفعوا باسم الله."

الجدير بالذكر أنه في الأزمنة السابقة، كان بالإمكان اتباع مبدأ تمييز المستهدف في المعارك، لكن ممارسات الحرب الحديثة لا تلتزم بهذا المبدأ. ليس فقط الأسلحة غير التقليدية، النووية والبيولوجية والكيميائية، لكن أيضًا الأسلحة "التقليدية" مثل

## ترشيده الخلاف وبناء السلم في الإسلام

القاذفات الاستراتيجية والطائرات بدون طيار والصواريخ بعيدة المدى التي تقتل على نطاق واسع وبشكل عشوائي. علاوة على ذلك، كان لدى المحارب في العصور القديمة ميزة مهمّة ألا وهي الشجاعة اللازمة لمواجهة الموت في مبارزة الخصم. أمّا اليوم، فمُشغّل المركبة الجوية بدون طيار أو الصاروخ الباليستي العابر للقارات يكون موجودًا في غرفة التحكم على بعد آلاف الكيلومترات من الهدف؛ وقائد الطائرة النفاثة يكون جالسًا بشكل مريح في قمرة القيادة وهو يقصف آلاف الأشخاص من ارتفاع عشرة كيلومترات. لا شجاعة ولا فروسية في ذلك. إنّ هذه المسافة تشكل درعًا عاطفيًا يمنع المحارب الحديث من الشعور بماهية القتل. لهذه الأسباب، يجب تجريم وحظر الحرب الحديثة.

وحتى في خصم الصراع العنيف، يجب أن تكون الأفضلية للسلام، كما جاء في الآية: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۗ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>29</sup>.

تُما سبق يمكن استخراج القواعد الآتية:

- (1) يُحظر ارتكاب العدوان؛
- (2) يُسمح بصدّ العدوان؛
- (3) ينبغي أن يكون الردّ على العدوان متناسبًا معه؛
- (4) يُسمح بمكافحة الاضطهاد الديني (الفتنة) الذي يمسّ الذات أو الغير؛
- (5) لا يجوز القتال لفرض الدين؛
- (6) يجب أن ينتهي القتال حالما ينتهي العدوان والاضطهاد الديني.

فالسلام هو المعيار الأساسي في الإسلام، الذي يجب على المجتمع المسلم حمايته، من خلال بناء القدرات لمواجهة أيّ عدوان أو طغيان يمكن أن يعرضه للخطر ويقوّضه. وذلك هو الردع. وفي حالة وقوع العدوان أو الطغيان، يُلزم المجتمع بالردّ، حتى بالوسائل العنيفة، مع احترام شروط معيّنة، من أجل إعادة إرساء الحالة المعيارية: السلام. وإذا

أبدى المعتدي رغبة في صنع السلام، يصبح من الضروري قبوله، حتى لو كانت هناك شكوك حول صدق منهجه واشتباة في أن تكون نيته تكتيكية فقط. ففي نهاية المطاف، يجب على المسلم أن يتوكل ويعتمد على الله الذي يتولى أمر المخادع.

#### 4. الحث على إصلاح ذات البين في الإسلام

تُستعمل في النصوص الإسلامية (الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة) عبارة "إصلاح ذات البين" للإشارة إلى الوساطة والتدخل لترشيده الخلاف. وكما تمت ملاحظته في ما سبق فإن ذلك يدل على أنّ الخلاف يُنظر إليه كفسادٍ للعلاقة بين الأطراف (فساد ذات البين)، وليس بالضرورة كفسادٍ للأطراف.

ويحث الإسلام على إصلاح ذات البين ويعتبره واجباً كما تبينه الآيات: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>30</sup>، ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>31</sup>، ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾<sup>32</sup>، ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾<sup>33</sup>، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>34</sup> ب.

وقد مارس الرسول صلى الله عليه وسلم إصلاح ذات البين قبل البعثة مثلاً حين

<sup>أ</sup> لا تقيد الآيتان من سورتي البقرة والنساء الإصلاح على فئة المؤمنين فقط إنا تشملان كافة الناس. وقد أشار د. دحام إبراهيم محمد الهسنياني، في كتابه "منهج الإسلام في الإصلاح بين الناس" (دار الأصاله، 2021)، إلى كون الفقهاء نضوا على أنّ "الغارم لإصلاح ذات البين يُعطى من الزكاة ولو كان الإصلاح بين أهل ذمة من اليهود والنصارى". أنظر المبحث السابع من هذا الفصل "تمويل إصلاح ذات البين".

<sup>ب</sup> يشير الشوكاني في تفسيره "فتح القدير" إلى كون هذه الآية من سورة الأنفال تؤكد على أهمية إصلاح ذات البين حيث تربط كمال الإيمان بتقوى الله وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله.

## ترشيده الخلاف وبناء السلم في الإسلام

فصّ الخلاف الذي كان قائماً في مكة بخصوص من يعيد وضع الحجر الأسود في مكانه بعد ترميم البيت العتيق، فلما اشتدّ الخلاف بين قبائل قريش حول من ينال شرف رفع الحجر الأسود إلى موضعه، لجأوا إلى وساطته وقبلوا بتحكيمة لأنه كان يُعرف بالصادق الأمين. فاجتهد عليه الصلاة والسلام وأبدى قدراً كبيراً من الإبداع - وهي ميزة ضرورية للمصلح - حيث أمر بثوب فجيء به، ثم وضع عليه الحجر الأسود وأمر أن يأخذ ممثلٌ عن كلّ قبيلة طرفاً من الثوب وأن يرفعه معاً. فلما وصل الثوب موضع الحجر أخذه صلى الله عليه وسلّم بيده الشريفة ووضعه في مكانه. فرضي الجميع بهذا الحلّ. كما مارس عليه الصلاة والسلام إصلاح ذات البين بعد البعثة، ولعلّ أشهر مثال عن ذلك هو معالجة الخلاف المزمّن الذي كان قائماً بين الأوس والخزرج في يثرب ببناء واقع اجتماعي وسياسي جديد في ما أصبح يُسمى مدينة الرسول (ص). وسيتمّ التعرّض في الفصل العاشر المختصّ لـ"التجاذب الأيديولوجي والتماكك المجتمعي" لدور صحيفة المدينة التي صاغها عليه الصلاة والسلام في السنة الأولى للهجرة في ترشيده الخلاف وإحلال السلم وتعزيز التماسك المجتمعي في المدينة المنورة.

وكان صلى الله عليه وسلّم ما سمع بنشوب خلاف إلا وهرع لإصلاح ذات البين<sup>35</sup>، فعن سهل بن سعد الساعدي أنه "بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنّ بني عمرو بن عوفٍ بقاءً كان بينهم شيءٌ، فخرج يُصلح بينهم في أناسٍ من أصحابه"<sup>36</sup>.

وحثّ الرسول صلى الله عليه وسلّم على إصلاح ذات البين في مواقع عديدة كما تشير إليه الأحاديث الشريفة: "ألا أدلكم على أفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟ قالوا بلى يا رسول الله؛ قال: إصلاح ذات البين"<sup>37</sup>، "تعدل (تصلح) بين اثنين صدقة"<sup>38</sup>، "أفضل الصدقة إصلاح ذات البين"<sup>39</sup>، "ما من عمل ابن آدم شيءٍ أفضل من الصدقة، وإصلاح ذات البين، وخلق حسن"<sup>40</sup>، "عن أبي أيوب قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا أيوب، ألا أخبرك بما يعظم الله به الأجر ويمحو به الذنوب؟ تمشي في إصلاح الناس إذا تباغضوا، وتفاسدوا، فإنها صدقة يجب الله موضعها"<sup>41</sup>، وفي رواية أخرى "قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي أيوب:

ألا أدلك على تجارة؟ قال: بلى، قال: تسعى في صلح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقرب بينهم إذا تباعدوا"<sup>42</sup>، "ليس الكذاب بالذي يصلح بين الناس فيني خيراً أو يقول خيراً"<sup>43</sup>.

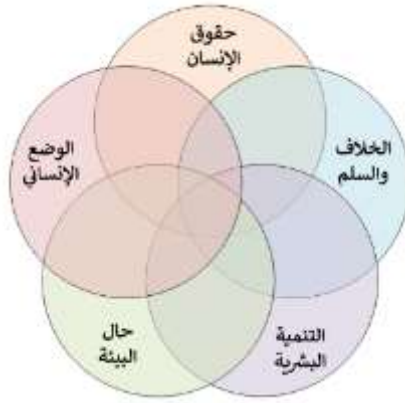
وكان الصحابة والتابعون وأئمة المسلمين يجتثون على إصلاح ذات البين، فالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يفضل إصلاح ذات البين على القضاء ويوجهه القضاء، ومنهم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، فائلاً: "ردوا الخصوم حتى يصلحوا، فإن فصل القضاء يورث الضغائن بين الناس"<sup>44</sup>. ويروى أن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه قال: "لئن أصلح بين اثنين أحب إلي من أن أتصدق بدينارين"<sup>45</sup>. ويروى أن الإمام أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة"<sup>46</sup>. وقال الإمام الأوزاعي رضي الله عنه: "ما خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوة في إصلاح ذات البين، ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من النار"<sup>47</sup>. وقال محمد بن المنكدر: "تنازع رجلان في ناحية المسجد فملت إليهما، فلم أزل بهما حتى اصطلحا، فقال أبو هريرة وهو يراني: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أصلح بين اثنين استوجب ثواب شهيد"<sup>48</sup>. وجاء في الأثر، كما أشار إليه الإمام ابن القيم في كتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين: "أصلحوا بين الناس، فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة".

## 5. إصلاح ذات البين أحد مجالات العمل الخيري

كل ما يأتي بالنفع للخلق في الدنيا والآخرة هو من عمل الخير. من هذا المنطلق الإسلامي تتعدّد مجالات العمل الخيري بتعدّد المحلوقات المستفيدة وتتعدّد أشكال النفع الدنيوي والأخروي. وقد حدثت في السنوات الأخيرة نقلة نوعية في النموذج المنتهج على الصعيد الدولي وانتقالاً من مصطلح "أمن الدولة" (State security) إلى مصطلح "الأمن البشري" (Human security) الذي يشمل جوانب مختلفة لكن مرتبطة من حياة البشر. ونتج هذا التطور عن التفطن إلى كون العديد من

## ترشييد الخلاف وبناء السلم في الإسلام

المجالات التي تهدف إلى تحسين أوضاع الإنسان والمجتمع تترايط فيما بينها وتؤثر على بعضها البعض على نحو ملحوظ. فلو أخذنا مثلاً خماسية "الأوضاع الإنسانية - حالة الخلاف والسلم - أوضاع حقوق إنسان - عملية التنمية - وضع البيئة" (أنظر الشكل الآتي) لوجدنا العديد من التداخلات بين مكوناتها، ولاكتشفنا أنّ أيّ طارئ على أحد هذه المكونات يكون في نفس الوقت سبباً ونتيجة لطارئ على المكونات الأخرى.



وعلى سبيل المثال، فالخلاف العنيف يؤديّ حتماً إلى خرق حقوق الإنسان وتدهور الوضع الإنساني وتعطيل عملية التنمية والمساس بالمحيط البيئي. وفي المقابل فإنّ انتهاك حقوق الإنسان الأساسية وامتياز كرامته من أهم أسباب نشوب الخلافات العنيفة. كما أنّ تدهور وضع البيئة يؤديّ إلى تباطؤ عجلة التنمية، وفي المقابل فإنّ النماذج السيئة للتنمية تؤديّ إلى آثار كارثية على البيئة.

يمكن تصنيف العمل الخيري في سبع مجالات وهي: (1) الدعوة إلى الله، (2) إعانة الضعيف ومساعدة المحتاج وإغاثة المنكوب، (3) نصرة المظلوم، (4) إصلاح ذات البين، (5) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (6) الرفق بالحيوان، (7) العناية بالخلوقات الأخرى. والملاحظ أنّ هذه المجالات تطوّرت على مرّ التاريخ الإسلامي بشكل شامل ومترايط وإن ضعّف بعضها في فترات وأمصار معينة. ويختلف ذلك

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

عن التطور المنفصل الذي شهدته نظيراتها في الغرب.

وكما يشير إليه الجدول الآتي، فالمجال الأول يقابله "العمل التبشيري"، أما الثاني فتطور ليعطي ما يسمّى حالياً بـ"العمل الإنساني"، والثالث يقابله ما يسمى بـ"حماية وترقية حقوق الإنسان"، والرابع يقابله ما يسمى بـ"ترشيده الخلاف"، والخامس يقابله ما يسمى بـ"الممارسة المواطنة"، والسادس يقابله ما يسمى بـ"حماية وترقية حقوق الحيوان"، أما السابع فيقابله ما يسمى بـ"حماية وترقية البيئة". وفيما عدا "العمل التبشيري" و"العمل الإنساني" فالمصطلحات الغربية الأخرى حديثة نسبياً، نشأت وتطوّرت في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي.

### مجالات العمل الخيري في الإسلام وما يقابلها في الغرب

Missionary action / Proselytism	العمل التبشيري	الدعوة إلى الله
Humanitarian action	العمل الإنساني	إغاثة الضعيف ومساعدة المحتاج وإغاثة المنكوب
Protection of human rights	حماية حقوق الإنسان	نصرة المظلوم
<b>Conflict transformation</b>	<b>ترشيده الخلاف</b>	<b>إصلاح ذات البين</b>
Civic action	الممارسة المواطنة	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
Protection of animal rights	حماية حقوق الحيوان	الرفق بالحيوان
Protection of the environment / Ecology	حماية البيئة	العناية بال مخلوقات الأخرى

ويمكن توزيع المجالات السبعة على ثلاث دوائر كما هو مبين في الشكل الآتي، بحيث تحتل الدعوة إلى الله المركز، وتشمل الدائرة الثانية المجالات الخاصة بالبشر، ثم تليها الدائرة الثالثة لتشمل باقي المخلوقات.

## ترشييد الخلاف وبناء السلم في الإسلام



### 6. إصلاح ذات البين مسؤولية الجميع

كانت الفكرة الرائجة في السابق أن فض الخلافات من صلاحيات الدبلوماسية الرسمية واختصاص العمل الحكومي فقط. إلا أن الأمر تطوّر في العقود الثلاثة الأخيرة وبرز وعي على الصعيد الدولي بضرورة إشراك كافة شرائح المجتمع في ترشييد الخلافات والوقاية من العنف وبناء السلم. وفي مساهمة لوزير دايمند وجون ماكدونالد عن "الدبلوماسية متعدّدة المسارات: مقارنة نظامية للسلم"<sup>49</sup>، يقترح الباحثان عدة مسارات داخل المجتمع يمكن أن تساهم بفعالية في إحلال السلم، كما يبيّنه الشكل الآتي:





## مدخل إلى ترشيده الخلاف

كما فضل الباحثان بيتي برويت وفيليب توماس في مساهمة عن "الحوار الديمقراطي: دليل للممارسين"<sup>50</sup> أدوار المصلح العديدة والمتكاملة وأحصوا الأدوار الآتية في عملية الوساطة:

- (1) إضفاء الشرعية (جهة داعية، مراقب)
- (2) توفير المعلومات (شاهد، مستشار قانوني، باحث، موثق العملية)
- (3) المساعدة النفسية (موفق، مستشار، مرشد روحي)
- (4) المساعدة في المضمون (مستشار، خبير)
- (5) المساعدة في العملية (مبتدق لوجستي، ميسر/مسهل، رئيس الجلسة، مستشار)
- (6) الإعداد (مدرب، منسّط، محفز)
- (7) توفير الموارد (ممول)
- (8) التنفيذ (مراقب، ضامن)

### 7. تمويل إصلاح ذات البين

يقال أنّ "المال عصب الحرب"، والمال أيضًا عصب السلم، كما يُقال أنّ "الدرهم مرهم لأنها تداوي كلّ جرح، ويطيّب بها كلّ صلح"، لأنّ أيّ عملية إصلاح ذات البين لا يمكن أن تستوي إلا إذا توقّرت الموارد المالية لإدارتها. والموارد المالية ضرورية في جميع مراحل العملية ابتداءً من مرحلة التحليل والتشخيص، مرورًا بمرحلة الحوار والتفاوض وانتهاءً بمرحلة تنفيذ الاتفاق. كما تكون الموارد المالية أمرًا ملحًا إذا تضمّن الاتفاق بين أطراف الخلاف جانبًا يتعلّق بالتعويضات.

وقد اتبه لهذا الأمر فقهاء الإسلام فخصّصوا جزءًا من مداخيل الزكاة لتمويل عمليات إصلاح ذات البين، وأدخلوا ذلك في إطار المصرف السادس للزكاة: "الغارمون"، كما جاء في الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ<sup>51</sup> فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. ففي تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، نقرأ "وأما

## ترشيده الخلاف وبناء السلم في الإسلام

'الغارم' فهو الرجل يركبه دين في غير معصية ولا سفه، قال العلماء: فهذا يؤدى عنه وإن كانت له عروض تقم رمة وتكفي عياله، وكذلك الرجل يتحمل بحالة في ديارات أو إصلاح بين القبائل ونحو هذا". وفي تفسير الجلالين "وَالْغَارِمِينَ {أهل الدين إن استدانوا لغير معصية أو تابوا وليس لهم وفاء أو لإصلاح ذات البين ولو أغنياء"، وفي تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن، "الغارمون، وهم قسمان: أحدهما: الغارمون لإصلاح ذات البين، وهو أن يكون بين طائفتين من الناس شر وفتنة، فيتوسط الرجل للإصلاح بينهم بما لا يبدله لأحدهم أو لهم كلهم، فجعل له نصيب من الزكاة، ليكون أنشط له وأقوى لعزمه، فيعطى ولو كان غنياً."

ومن السنة النبوية الشريفة ما يؤكد ذلك فقد قال قبيصة بن مخارق: "تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَتَأْمُرَ لَكَ بِهَا، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: يَا قَبِيصَةُ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةً: رَجُلٍ تَحْمَلُ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاخَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةً مِنْ ذَوِي الْحِجَابِ مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ - يَا قَبِيصَةُ - سُحْتًا، يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا."<sup>52</sup> ورجل تحمل حمالة أي استدان مالا ودفعه بغرض إصلاح ذات البين.

وبناءً عليه، فإنه من الضروري إطلاق صندوق إسلامي لتمويل ترشيده الخلافات في العالم الإسلامي يُغذى من مداخيل الزكاة، يمكن أن تُشرف عليه مثلاً منظمة التعاون الإسلامي، كما هو الحال في الغرب أين أُسست في السنوات الأخيرة صناديق خاصة بتمويل عمليات بناء السلم، تشارك فيها مصارف ومؤسسات مانحة.

## 8. خلاصة

السلم قيمة متأصلة في الإسلام المرتبط ارتباطاً قوياً بحالة السلام بكل أشكاله المادية

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

والمعنوية، الجسدية والروحية، الفردية والمجتمعية. وتحت نصوص الإسلام التأسيسية على الوقاية من حالة العنف عبر إصلاح ذات البين، الذي هو مسؤولية الجميع وباب من أبواب الخير، كما تضمن تعاليم الإسلام تحقيق السلم على كافة المستويات. ولا يقبل العنف في الإسلام إلا في حالات استثنائية، كبديل اضطراري لاستعادة السلم، ويتطلب استعمال العنف، المشروع في هذه الحالات الشاذة، احترام شروط صارمة تضمن الحد من أثره السلبي على المجتمع.

---

---

## الفصل الثالث ثلاثية الخلاف والعنف والسلام

---

---

### المحتويات

52.....	1. مقدمة
52.....	2. الخلاف
52.....	1.2. الخلاف لغةً
58.....	2.2. الخلاف اصطلاحاً
61.....	3. العنف
66.....	4. السلم
67.....	5. خلاصة

## 1. مقدمة

تُنسب إلى الفيلسوف الصيني كونفوشيوس مقولةً مفادها أنّ المصطلحات الدقيقة هي أساس استقرار المجتمع. وذلك صحيح لأنّ غياب الدقة في تعريف المصطلحات يجعل أيّ نقاش يدور حولها في المجتمع عبثياً، لا يعدو كونه جدلاً عميقاً لا يفضي إلى توافقات في المجتمع. وتكمن أهمية تحرير المصطلحات السائدة في مجال دراسات الخلاف والسلم في كونه ضرورياً لنجاح أيّ عمل يهدف إلى إصلاح ذات البين. فمن الأساسي أن يقوم العامل في مجال الوساطة وترشيده الخلاف بتشكيل لغة مشتركة لدى أطراف الخلاف لكي يتمكنوا من التواصل المعرفي والتفاهم وتقريب خطاباتهم وسردياتهم، ولا يتم ذلك إلا إذا كان لدى الطرف المصلح تصوّر دقيق لمعاني المصطلحات التي يتداولها معهم.

يناقش هذا الفصل ثلاثة مصطلحات رائجة في مجال دراسات الخلاف والسلم وهي الخلاف والعنف والسلم. ويُقدّم تعريفاً للفظ conflict المستعمل في الغرب، وعرضاً للمفردات العربية المستعملة كمقابل له، ومنها الخلاف الذي نراه أقرب إلى الدقة، وتعريفاً للخلاف لغة واصطلاحاً. كما يُقدّم تعريفاً لمفهومي العنف والسلم بمختلف أنواعهما. وسيلي في الفصول اللاحقة تقديم تدريجي لمفاهيم عديدة أخرى متداولة لدى فقهاء ترشيده الخلاف والعاملين على بناء السلم.

## 2. الخلاف

### 1.2. الخلاف لغةً

اللفظ السائد في اللغات العالمية كمقابل للخلاف هو conflict بالإنجليزية و conflit بالفرنسية و conflicto بالإسبانية و conflitto بالإيطالية و Konflikt بالألمانية و конфликт بالروسية. وتعود جميع هذه الألفاظ إلى المصدر اللاتيني conflagere المركب من من لفظي "fligere" (ضرب) و "con" (معاً)، الذي يمكن ترجمته حرفياً إلى اللغة العربية بكلمة "تضارب" بإضافة تاء المشاركة إلى فعل الضرب. ويُفيد

## ثلاثية الخلاف والعنف والسلم

لفظ "تضارب" التناقض في الأهداف وتصادمها وهذا ما يدخل في التعريف الاصطلاحي للخلاف المتعارف عليه على المستوى الأكاديمي، كما ستم الإشارة إليه لاحقاً.

أما كلمة "خلاف" فهي مشتقة من الجذر الثلاثي [خ ل ف] الذي يُعطي فعل خلف وتأتي صيغ المشاركة في الفعل - اللازمة والمتعدية - بين طرفين فقط على شكل خَالَفَ (خِلافًا) وتَخَالَفَ (تَخالفًا)، وبين طرفين أو أكثر على شكل اِخْتَلَفَ (اِختِلافًا) كما يبيّنه الجدول الآتي الذي يعرض عددًا من الأفعال المستعملة عادة لوصف سياقات الخلاف. والخِلافُ والتَخالفُ والِإختِلافُ مفردات تفيد نفس المعنى وهو انعدام التساوي والتوافق وقد تُفيد التباين أو التضارب أو التعارض والتضاد أو التنوع.

### مصادر وصيغ بعض الألفاظ التي تُستعمل لوصف سياقات الخلاف

المصدر	الصيغة المجردة		صيغ المشاركة	
	فَعَلَ	فَاعَلَ	تَفَاعَلَ	افْتَعَلَ
	الفعل	الحالة	الفعل	الحالة
خ ل ف	خَلَفَ	خِلاف	تَخَالَفَ	اِختِلاف
ش ج ر	شَجَرَ	شِجار	تَشَاجَرَ	اشْتِجار
خ ص م	خَصَمَ	خِصام	تَخاصَمَ	اِختِصام
ض ر ب	ضَرَبَ	ضِراب	تَضارَبَ	اضْطَرَبَ*
ص ر ع	صَرَعَ	صِراع	تصارَعَ	اضْطِراع*
ق ت ل	قَتَلَ	قِتال	تَقاتَلَ	اقتِبال
ح ر ب	حَزَبَ	حِراب	تَحارَبَ	اِحْتِراب
ف ت ن	فَتَنَ	فِتان	تَفاتَنَ	اِفْتِتان
ن ز ع	نَزَعَ	نِزاع	تَنازَعَ	انْتِزاع
د ف ع	دَفَعَ	دِفاع	تَدافَعَ	ادِّفاع**

\* حُوّلت التاء إلى طاء للتخفيف - \*\* حُوّلت التاء إلى دال للتخفيف

## مدخل إلى ترشيد الخلاف

وللألفاظ المشتقة من [خ ل ف] العديد من المعاني تُفهم حسب السياق الذي يأتي فيه اللفظ. وما يعيننا في سياقنا هذا هو المعنى الذي يفيد فساد الشيء. يُقال خَلَفَ الشيء (خَلَفًا وَخُلُوفًا) وَأَخْلَفَ (إِخْلَافًا) أي تغيّر وفسد<sup>أ</sup>. وكما يُعتبر الوفاق والاتفاق والتوافق علاقةً تربط طرفين أو أكثر، يمكن وصف الخلاف والتخالف والاختلاف كحالة فساد لهذه العلاقة (فساد ذات البين). ومن المفيد الانتباه إلى كوننا أمام علاقة تكون سليمة (وفاق) قد تفسد (خلاف) ثم يمكن إصلاحها (وفاق)، وهذا هو الأساس الذي يقوم عليه مفهوم "إصلاح ذات البين" المستعمل في الأحاديث النبوية الشريفة. فالرسول عليه الصلاة والسلام حتّ في أكثر من مناسبة على إصلاح "ذات البين" أي ترميم العلاقة التي تربط بين الطرفين أو الأطراف<sup>ب</sup> ولم يأمر بإصلاح الأطراف التي يقع بينها الخلاف لأنها ليست فاسدة بالضرورة، فالخلاف قد ينشأ بين أطراف صالحة إذا توقرت شروطه كما سيأتي ذكره لاحقًا، وبين مجموعات مؤمنة

<sup>أ</sup> ومن ذلك خَلَفَ الطعام أي فسد وتغيّر طعمه ورائحته، وخَلَفَ فَمُ الصائم أي تغيّرت رائحته، وفي الحديث الشريف "وَالَّذِي نَفْسٌ مَحْمَدٌ بِيَدِهِ لَخُلُوفٌ فَمُ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ" (رواه البخاري). ويقال: خَلَفَتْ نَفْسُهُ عَنِ الطَّعَامِ أَي أَعْرَضَتْ لِمَرَضٍ، وَالخِلْفَةُ فساد المعدة من الطعام وذهاب شهوة الطعام من مرض يقال: أَخَذَتْهُ خِلْفَةٌ. ويقال: خَلَفَ الْوَلَدُ أَي حَمَقَ وَالخِلْفُ والخالف هو الأحمق قليل العقل. وولَدَ خَالَفَ أَي أَحْمَقَ ضَعِيفٌ، وَبِنَيْدٍ خَالَفَ أَي فَاسِدٌ. وَيُقَالُ خَلَفَ بُوْعَدَهُ (إِخْلَافًا) أَي أَخْلَبَ بِهِ وَلَمْ يَفِ بِهِ، كَمَا يُقَالُ خَلَفَ الْوَلَدُ أَي كَانَ أَحْوَلَ الْعَيْتَيْنِ، وَأَخْلَفَ بِمَعْنَى أَعْسَرَ، يُطْلَقُ عَلَى مَنْ يَسْتَعْمَلُ يَدَهُ الْيَسْرَى فِي الْعَمَلِ أَوْ الْكِتَابَةِ أَوْ نَحْوِهَا. وَالخَالِفَةُ مِنَ النَّاسِ الْفَاسِدِ مِنْهُمْ الَّذِي لَا عَنَاءَ عِنْدَهُ وَلَا خَيْرَ فِيهِ، وَأَيْضًا أَكْثَرُهُمْ خِلَافًا. وَالخِلْفُ يَعْنِي الْوَلَدَ الطَّالِحَ، عَكْسُ الخِلْفِ وَهُوَ الْوَلَدُ الصَّالِحُ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالنَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأعراف: 169)، ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَأْتِقُونَ عَذَابًا﴾ (مرجم: 59). والخِلْفُ هو الرديء من القول، يقال في المثل: "سَكَتَ الْفَأُ، وَنَطَقَ خَلْفًا"، يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يُطِيلُ الصَّمْتَ، إِذَا تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بِالخِلْفِ. وَالخِلْفَةُ الْعَيْبُ وَالْفَسَادُ أَوْ الْحَمَقُ وَالغَبَاوَةُ. (اعتمد في شرح الألفاظ المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ومعجم "الغني" لعبد الغني أبو العزم ومعجم "الرائد" لجران مسعود).

<sup>ب</sup> تُسْتَعْمَلُ بِاللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ عِبْرَةَ bond mending أَي "ترقيع العلاقة" بين الأطراف.

## ثلاثية الخلاف والعنف والسلم

كما تشير إليه الآية الكريمة ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾<sup>1</sup> التي لا تنفي صفة الإيمان عن الطائفتين المتقاتلتين، والتاريخ الإسلامي مليء بالأمثلة عن ذلك.

يمكن اعتبار الخلاف اتجاهاً سلوكياً (attitude) محايداً يتم التركيز فيه على موضوع أو مسألة الخلاف. وقد يتحوّل الخلاف إذا لم يُعالج بحكمة إلى خصام وهو اتجاه سلوكي سلبي يركّز على طرف الخلاف، ثم إلى صراع وقتال وجراب وفتنة، أي إلى سلوك (behaviour) عنيف أو ممتدّ على طرف الخلاف. وبالإمكان قطع الدورة الخبيثة المبيّنة في الشكل الآتي، الممتدّة من الخلاف إلى الفتنة التي هي «أشدُّ من القتل»<sup>2</sup> والتي يمكن أن تكون أيضاً مصدرًا أو سببًا للخلاف، وذلك بالتدخل السريع عند وقوع الخلاف لترشيده والحوّول دون تحوّله إلى خصام. أما إذا وصل الأمر إلى الخصام فالمطلوب تفادي تحوّل هذا الخصام إلى عنف بين الأطراف. يُروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها، إذا أوّمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر."<sup>3</sup> وفجّر أي ترك غضبه واستيائه وغيظه وسخطه ينفجر ويتحوّل إلى سلوك عنيف تجاه الطرف الآخر.





## مدخل إلى ترشيده الخلاف

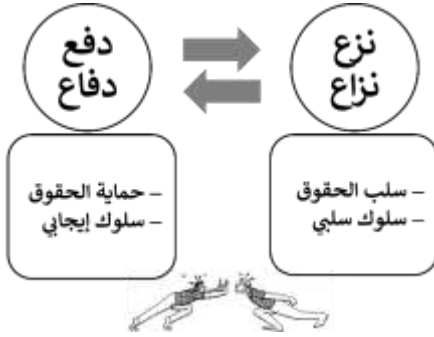
تُستعمل عدّة ألفاظ كمرادفات للخلاف مثل الشجار والصراع والنزاع، غير أنّ تداولها يفتقد إلى الدقّة في توصيف الخلاف، لأنّ هذه المفردات تحمل في طياتها قدرًا من العنف الذي لا يتضمّن الخلاف بالضرورة. فالخلاف يؤوّل إلى العنف فقط عندما تفضّل أطرافه في التعامل معه بحكمة وترشيده. الشجار والصراع مثلاً يشيران إلى العنف بوضوح: شَجَرَهُ بالزّرع أيّ طعنه بها، وصَرَعَهُ أيّ طرحه أرضًا (القاموس المحيط للفيروز آبادي). إذن فالشجار والصراع يشيران إلى خلاف آل إلى العنف فهو خلاف عنيف (violent conflict).

أمّا النزاع وهي المفردة الأكثر شيوعًا فتوحى باستعمال العنف لسلب الحقوق وأخذها قهراً وعنوةً. فالنزاع مشتقٌّ من الجذر الثلاثي [ن ز ع]، و"نَزَعَ الشيءَ يَنْزِعُهُ نَزْعًا، فهو مَنزُوعٌ ونَزِيعٌ، وانْتَزَعَهُ فانتَزَعَ: اقتلَعَهُ فأنتزَع، وفرق سيبويه بين نَزَعَ وانتَزَعَ فقال: انتَزَعَ استلَبَ، ونَزَعَ: حوّل الشيء عن موضعه وإن كان على نحو الاستلاب." (لسان العرب لابن منظور). بالإضافة إلى ذلك فالنزاع يربط بالخصام فيعرّف ابن منظور في لسان العرب التنازع بأنّه "التخاصُّمُ. وتنازَعَ القومُ: اختَصَمُوا. وبينهم نزاعٌ أيّ خصومةٌ"، وفي القاموس المحيط للفيروز آبادي "نازَعَهُ: خاصَمَهُ. التنازَعُ: التخاصُّمُ. النزاعُ: الخصومةُ". ويعرّف أحمد مختار عمر في معجم اللغة العربية المعاصرة النزاع بأنّه "خصومة بين أفراد أو جماعات قد تقتصر على تبادل الشتائم وقد تمتد إلى التماسك بالأيدي أو استخدام أداة ما في المشاجرة أو تفضي إلى الحرب بين الدول"، فالنزاع إذن حسب مختلف تعريفاته خصامٌ مصحوبٌ بعنْفٍ لفظي أو جسدي، وهذا مخالف لمعنى الخلاف، فقد تمت الإشارة في ما سبق إلى أنّ الخلاف لا يرافقه عنفٌ حتمًا، وأنّ التركيز في الخلاف يكون على مسألة الخلاف، ثمّ قد يتطوّر الخلاف سلبًا إلى خصام يكون فيه التركيز على الطرف الآخر.

ولعلّ الخلط بين الخلاف والصراع والنزاع أدّى إلى إدراكٍ سلبي للخلاف في العالم الإسلامي كما أشار إليه الباحث محمد أبو نمر في المقارنة التي قام بها عندما تعرّض للفرضيات الأساسية الغربية والإسلامية في مجال الخلاف<sup>4</sup>. وقد لاحظ أنه في حين

## ثلاثية الخلاف والعنف والسلم

يُعتبر الخلاف في الغرب أمرًا طبيعيًا وإيجابيًا، يمكن أن يجلب النمو والإبداع وأنّ ماله إلى العنف هو الأمر السلبي<sup>أ</sup>، فإنه يُعتبر في الثقافة الإسلامية أمرًا سلبيًا وخطيرًا يجب اجتنابه لأنه يجلب الخراب والفوضى. وهذه ملاحظة دقيقة، غير أنّ تفسير هذا التباين في إدراك طبيعة الخلاف لا يعود إلى عوامل دينية أو ثقافية ولكن إلى عدم تطابق المصطلحين المقارنين. فأبو نمر يقارن في بحثه بين إدراك مصطلح "conflict" في الثقافة الغربية، وبين إدراك مصطلح "النزاع" في الثقافة الإسلامية. والراجح أن استعمال كلمة "نزاع" هو الذي يقود إلى الإدراك السلبي للخلاف وذلك لأمرين: الأول هو الاعتقاد السائد لدى المسلمين بأنّ النزاع مذمومٌ في الإسلام طبقًا للآية الكريمة: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>ب</sup> التي تنهى بصراحة عن التنازع<sup>ج</sup>، والثاني كون لفظ "نزاع" مرتبط بالنزاع كما سبق ذكره. وهذا يطرح جدلية "النزاع/النزاع - الدفع/الدفاع".



فإذا كان النزاع مذمومًا كما أشارت إليه الآية السابقة، فإنّ الدفاع محمودٌ كما تشير إليه

<sup>أ</sup> يُعتبر الخلاف في الثقافة الغربية ظاهرة بشرية وأمرًا طبيعيًا يمكن، إذا حُسن التعامل معه، من تحسين أوضاع الأفراد والجماعات لأنه غالبًا ما يمثل الناقوس الذي يُلفت الانتباه إلى أوضاع تفتقد إلى العدل وإلى هضم للحقوق. ويصبح الخلاف ظاهرة سلبية إذا تحوّل إلى خلاف عنيف.

<sup>ب</sup> هذه الآية من سورة الأنفال وما سبقها وما لحقها من آيات نزلت عقب غزوة بدر تبين أنّ النهي يتعلق بنزاع محدد وهو اختلاف الجند في مقاربتهم للمعركة في سياق خاص وهو حالة الحرب.

## مدخل إلى ترشيد الخلاف

الآيتان: «وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ»<sup>6</sup>، «وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ، وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا»<sup>7</sup>، مع التأكيد على الإحسان في الدفع: «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ»<sup>8</sup>، «وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ»<sup>9</sup>.

أما الخلاف فيعتبر أمرًا طبيعيًا لدى البشر أفرادًا وجماعات، والمجتمع الذي يخلو من الخلاف هو مجتمع ميت. وكما بينه الإمام ابن قيم الجوزية، في "الصواعق المرسلية"، فإن الاختلاف: (1) أمر لا بد منه في النشأة الإنسانية؛ (2) أمر ضروري لا بد منه لتفاوت إرادة الناس وأفهامهم وقوى إدراكهم؛ (3) المذموم هو بغى بعضهم على بعض وعدوانه. ويروى عن الإمام علي كرم الله وجهه أنه قال: "كثر الوفاق نفاق وكثرة الخلاف شقاق".

### 2.2. الخلاف اصطلاحًا

توجد عدة تعريفات للخلاف (conflict) إحداها ما يتداوله علم الخلاف (conflictology) تحدد الخلاف اصطلاحًا كعلاقة ديناميكية بين طرفين أو أكثر، سواء كانوا أشخاصًا أم جماعات أم دولًا أم حضارات، لهم أهداف متضاربة أو متناقضة، أو يتوهمون ذلك.



<sup>أ</sup> كما أنّ ثمة عدّة نظريات للخلاف مثل نظرية العلاقات الجماعية، ونظرية التفاوض المبدئي، ونظرية الحاجيات البشرية، ونظرية الهوية، ونظرية عدم التواصل بين الثقافات، ونظرية ترشيد الخلاف.

## ثلاثية الخلاف والعنف والسلم

يستدعي هذا التعريف عدّة ملاحظات:

1. الخلاف عبارة عن علاقة بين أطراف ويجب الحذر في التعاطي معه من الخلط بين الأطراف وبين العلاقة التي تربطها.

2. هذه العلاقة ديناميكية متحركة غير ثابتة ولذلك فبالإمكان تحويلها.

3. قد يكون الخلاف بين طرفين، لكن عادة ما يتعلّق الخلاف بأطراف عديدة وإن كانت غير مرئية للوهلة الأولى.

4. هناك عدّة أنواع من الخلافات تُصنّف حسب طبيعة الأطراف كالآتي:

— الخلافات الصغيرة (micro conflicts): لدى وبين الأشخاص؛

— الخلافات المتوسطة (meso conflicts): داخل الدول والمجتمعات بين الطبقات والقوميات والأعراق والطوائف والأجيال والجنسين؛

— الخلافات الكبيرة (macro conflicts): بين الدول والشعوب؛

— الخلافات الضخمة (mega conflicts): بين المناطق والأقاليم الكبرى والحضارات؛

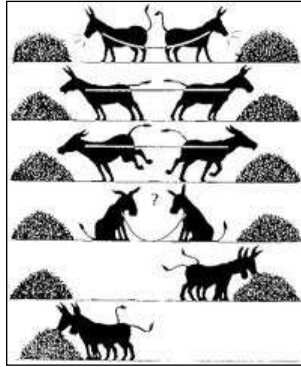
— الخلافات الشاملة (meta conflicts): التي تتداخل فيها أنواع الخلاف الأربعة التي سبق ذكرها.

5. هذا التعريف يحرص سبب الخلاف في كون الأطراف لها أهداف أو غايات متضاربة أو متناقضة.

6. تكون أهداف الأطراف في غالب الحالات قابلة للتوافق وهم يتوهمون أنها متضاربة. ويُضرب المثال المبيّن في الشكل الآتي المستعمل في مناهج التربية على بناء السلام مثل برنامج شبكة التربية في مجال السلم (Peace Education Network)، لتوضيح هذه النقطة، حيث يطرّق في البداية كلا الطرفين أنه لن يستطيع تحقيق هدفه إذا تمكّن الآخر من تحقيق هدفه، ويبقيان على هذه الحال كلّ يريد أن يحقق

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

هدفه بمنع الآخر من تحقيق هدفه، يتعاركان ظهرًا لظهر، إلى أن يُصابا بالإنهاك فيجلسان ويتقابلان وجهًا لوجه ويفكران معًا في طريقة للخروج من المأزق ويمتديان إلى سبيل التعاون الذي يمكنهما من تحقيق هدفهما معًا.



ليست كلّ الخلافات مرتبطة بالمصالح فمنها ما هو متعلق بالمبادئ والقيم، وهو ما يُطلق عليه مصطلح الخلاف المبني على تباين الرؤى الكونية أو المرجعيات. وقد تطرّق ابن قيم الجوزية (1292-1350) في "الصواعق المرسلّة" إلى ظاهرة الخلاف وميّز بين "الأصل" و"الطريق المسلوكة" و"الغاية المطلوبة".

الغاية المطلوبة

الطريق المسلوكة

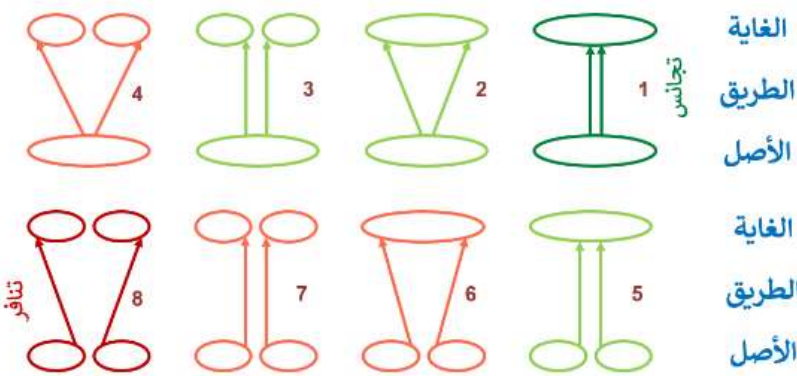
الأصل

وهذا ما يمكن ترجمته بلغة العصر كالآتي:

المرجع	المنهجية	النتيجة
المدخل	العملية	المُخرَج
منظومة القيم	الاتجاه السلوكي	المصالح
النظرة الكونية	السلوك	الحاجيات

## ثلاثية الخلاف والعنف والسلم

يعتبر ابن القيم أنه "إذا كان الأصل واحدًا والغاية المطلوبة واحدةً والطريق المسلوك واحدًا لم يكد يقع اختلاف وإن وقع كان اختلافًا لا يضر" (الصواعق المرسلّة)، أي أنّ الخلاف يحصل إذا كانت الأصول متنافرة أو الطرق متباينة أو الغايات متناقضة. هذا التعريف أوسع من سابقه الذي ينحصر في الغاية، فهو يشمل أيضًا الطريق والأصل، فيصبح بذلك لدينا ثلاثة أمور يمكن أن تكون إما متوافقة أو متباينة، وتنتج عن ذلك ثماني احتمالات نظرية أو سيناريوهات، كما يظهر في الشكل الآتي، ابتداءً من حالة التجانس أين يكون الأصل والطريق والغاية في توافق بين الأطراف، وانتهاءً إلى حالة التنافر أين يكون ثلاثتهم في تباين بين الأطراف.



وكثالين عن هذه الاحتمالات يمكن اعتبار السيناريو (2) وتطبيقه على الخلافات بين بعض الحركات الإسلامية التي لها نفس الأصل والمرجعية الدينية من قرآن وسنة وتشارك في نفس الغاية، إقامة شرع الله، لكنها تختلف في المنهج فتقع بينها خلافات قد تؤول إلى العنف الشديد، بل المتطرف. ويمكن اعتبار السيناريو (5) وتطبيقه على حركات ذات مرجعيات متباينة (علمانية وإسلامية مثلاً) تتفق على غاية مشتركة (خدمة الصالح العام مثلاً) وتتعاون على تحقيقها بعمل مشترك.

### 3. العنف

تعرف منظمة الصحة العالمية العنف بأنه "الاستعمال المتعمد للقوة المادية أو القدرة،

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

سواء بالتهديد أو الاستعمال الفعلي لها، ضد الذات، أو ضد شخص آخر، أو ضد مجموعة أو مجتمع، بحيث يؤدي إلى حدوث أو احتمال حدوث إصابة، أو موت، أو إصابة نفسية، أو سوء النمو، أو الحرمان<sup>10</sup>. وتقدم المنظمة في تقريرها العالمي عن العنف والصحة<sup>11</sup> "تصنيفاً يميز أربعة أنماط لممارسة العنف، تبعاً للأضرار التي يمكن أن يحدثها: جسدية، وجنسية، ونفسية، وحرمان<sup>12</sup>. فينقسم التعريف العام للعنف بالتالي إلى ثلاثة أنماط فرعية، حسب العلاقة بين مرتكب العنف والضحية: العنف الموجه للذات؛ العنف البيئي؛ العنف الجماعي<sup>أ</sup>.

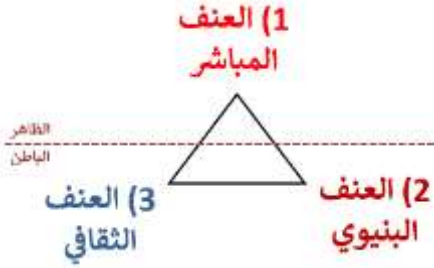
أما في دراسات الخلاف والسلام، فيعرف صاميون فيشر وآخرون العنف بأنه "الأفعال والكلمات والمواقف والبنى والمنظومات التي تتسبب في الضرر الجسدي أو النفسي أو الاجتماعي أو البيئي، و/أو تمتع الناس من بلوغ إمكاناتهم البشرية الكاملة"<sup>13</sup>. ويستخدم هذا التعريف من نظرية يوهان غالتونغ التي تعتبر أن "العنف يوجد حين يتأثر البشر إلى حد أن مدركاتهم الجسدية والذهنية الفعلية تكون تحت مستوى مدركاتهم الكاملة"<sup>14</sup>. ويعدد غالتونغ أشكالاً متنوعة من العنف منها المتعمد أو غير المتعمد، والظاهر أو الكامن. كما يصنف ثلاثة أنواع من العنف: (1) المباشر / الشخصي الذي يقع بفعل فاعل كالعنف اللفظي والجسدي من جرح وقتل، وتدمير، إلخ؛ (2) غير المباشر / البيئي أو المدمج في البنى الاجتماعية غير العادلة وغير المتكافئة والفاقة

---

<sup>أ</sup> يشير تعبير "العنف الموجه للذات" إلى العنف الذي يكون فيه مقترف العنف والضحية الشخص ذاته، وينقسم فرعياً إلى انتهاك الذات (إيذاء النفس) والانتحار. ويشير "العنف البيئي" إلى العنف بين الأفراد، وينقسم إلى فئتين فرعيتين: العنف ضد العائلة والشريك الحميم، والعنف المجتمعي. تشمل الفئة الأولى إساءة معاملة الأطفال، والعنف ضد الشريك الحميم، وإيذاء المسنين؛ بينما تنقسم الثانية إلى العنف ضد المعارف والغرباء، ويشمل عنف الشباب، واعتداء الغرباء، والعنف المتصل بجرائم الملكية، والعنف في أماكن العمل وغيرها من المؤسسات. أما العنف الجماعي فيشير إلى العنف المرتكب من قِبل مجموعات أكبر من الأفراد، ويمكن تقسيمه إلى عنف اجتماعي وسياسي واقتصادي (منظمة الصحة العالمية: التقرير العالمي حول الصحة والعنف).

## ثلاثية الخلاف والعنف والسلم

للتمثيلية؛ (3) الثقافي<sup>15</sup> الذي يشمل جوانب الثقافة، والمجال الرمزي للوجود، كما يمثله الدين والأيدولوجيا واللغة والفن والعلوم التجريبية والعلوم الأساسية مثل المنطق والرياضيات التي يمكن استخدامها لتبرير أو شرعنة العنف المباشر أو البنيوي.



يمكن أن تكون للعنف محفزات سياسية أو اجتماعية أو أيديولوجية أو دينية. وإذا اعتبرنا العنف المباشر الظاهر الذي يمكن أن يتخذ مثلاً شكل عملٍ مسلح، فإنّ الموقف من هذا النوع من العنف يستند عادة إلى أربعة معايير وهي (1) الشرعية و (2) القانونية و (3) الفعالية و (4) الامتثال إلى أخلاقيات الحرب وأحكام القانون الدولي الإنساني والقواعد الدينية لممارسة الحرب.



ثمة أحكام متنوعة في القانون تجعل العنف قانونياً في حالات العدوان أو الاضطهاد. فعلى المستوى الدولي، يبيّن الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة الأعمال التي يجب القيام بها في حالة وقوع "تهديد للسلم أو إخلال به أو عدوان". وتشير المادة 42 من

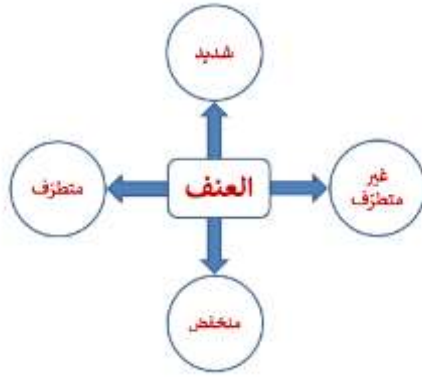


الفصل السابع إلى أنه "يجوز أن تتناول هذه الأعمال المظاهرات والحصار والعمليات الأخرى باستعمال القوات الجوية أو البحرية أو البرية". وشكل الفصل السابع الأساس القانوني لكثير من التدخّلات العسكرية أو العقوبات ضد أنظمة مختلفة في شتى أرجاء العالم. وأعدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في جلستها الثامنة والعشرين (1973) التأكيد في القرار رقم 3070 على "الحقّ الثابت الذي لا يمكن التنازل عنه لجميع الشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية والأجنبية والاستعباد الأجنبي في تقرير المصير والحرية والاستقلال"، و"شرعية نضال الشعوب في سبيل التحرّر من السيطرة الاستعمارية والأجنبية ومن الاستعباد الأجنبي بكل الوسائل المتوفرة، ومن ضمنها الكفاح المسلح"<sup>16</sup>. أما المادة 35 من الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان والمواطن لعام 1793، فتقرّ بأنه "عندما تنتهك الحكومة حقوق الشعب، تصبح الثورة للشعب ولكل جزء منه أقدس الحقوق وألزم الواجبات". ويعترف الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في 10 ديسمبر 1948 ضمناً بالحقّ في الثورة على الاستبداد والظلم حين يذكر في الديباجة أنّه "من الضروري أن يتولّى حكم القانون حماية حقوق الإنسان، لكيلا يضطر المرء آخر الأمر إلى التمرد على الاستبداد والظلم".

وتعترف الشرائع الدينية أيضاً بقانونية العنف في بعض الحالات، مثل نظرية الحرب العادلة في المسيحية، والجهاد المسلح أو القتال في الإسلام الذي سبقت الإشارة إليه في الفصل الثاني. لكن اللجوء إلى السلاح يعدّ مسعى سلبياً ولا يجوز شرعته إلا باعتباره الملجأ الأخير وتحت شروط معينة فحسب. إذ تتقرر مشروعية هذا العنف بمبرّره: يجب أن يستهدف غاية عادلة، ويجب ألا تتوقّف وسيلة أخرى لتحقيقها (الحق في الذهاب إلى الحرب)، وأمثليته: زيادة المنافع إلى الحد الأقصى وتقليل الأضرار إلى الحد الأدنى (السلوك الصائب في الحرب).

قد يكون العنف القانوني على درجة عالية من الشدّة، وقد يكون متطرّفاً، فلا يتعلّق التطرّف بشدّة العنف بل بالدرجة التي يبتعد فيها عن القانون الإنساني الدولي و/أو القوانين الدينية المتعلقة بالحرب.

## ثلاثية الخلاف والعنف والسلم



في مقابل العنف هناك اللاعنف الذي قد يكون من منطلق فلسفي (اتباع العقيدة السلموية) أو خيارًا استراتيجيًا (ممارسة اللاعنف الاستراتيجي في التغيير).



ويعتبر المؤمنون بـ"اللاعنف العقائدي"، العنف عملاً غير مشروع تحت أي ظرف، وغير مقبول أخلاقياً. ويشمل ذلك في نظرهم العنف الموجه ضدّ البشر والعنف الذي يمسّ المخلوقات الأخرى من حيوان ونبات وجماد، ويذهب بعض المتعصّبين لهذا المعتقد مثلاً إلا حدّ رفض التداوي بالمضادات الحيوية لأنها شكل من أشكال العنف ضد الجراثيم.

في المقابل لا يجادل معظم مؤيدي اللاعنف الاستراتيجي في شرعية العنف وقانونيته، لكنهم لا يؤمنون بفاعليته خاصة كوسيلة للتغيير السياسي والاجتماعي، مع اعتقادهم بأنّ العنف قد يكون مشروعاً في حالات وأوضاع معيّنة (الدفاع عن النفس، مقاومة الاحتلال، الدفاع عن الغير، الخ.).

#### 4. السلم

الخلاف والعنف ليسا مترادفين، فليس كلّ خلاف يؤدي إلى العنف كما أنه ليس كلّ عنف سببه الخلاف. والسلم ليس غياب الخلاف إنما غياب العنف. لذلك فإنّ عبارة "الوقاية من الخلاف" التي تستعملها بعض الجهات العاملة في مجال بناء السلم ليست دقيقة لأنّ الخلاف ظاهرة اجتماعية لا سبيل إلى منعها، فالأحرى استعمال عبارة "الوقاية من العنف" الذي قد يؤول إليه الخلاف إذا لم يُحسن ترشيده.

يتميّز فقهاء الخلاف والسلم نوعين من السلم: (1) السلم السالب وهو انعدام العنف المباشر، و(2) السلم الموجب وهو انعدام العنف الهيكلية والثقافية، ويؤدي مجموعهما إلى السلم الحقيقي.

ويقترح يوهان غالتونغ<sup>17</sup> صيغة لتحقيق السلم من أربعة عناصر يعبر عنها بالمعادلة الآتية:

$$\frac{\text{العدالة} \times \text{الانسجام}}{\text{الصدمة} \times \text{الخلاف}} = \frac{\text{مستببات السلم}}{\text{مستببات العنف}} = \text{السلم}$$

يضمّ بسط الكسر عنصرين مستببين للسلام (paxogens) يجب تعزيزهما وهما "العدالة" و"الانسجام"، بينما يضمّ مقام الكسر عنصرين مستببين للعنف (bellogens) وهما "الصدمة" من عنف الماضي التي لم تعالج عبر عملية مصالحة و"الخلاف" الحاضر الذي لم يُحلّ بطرق سلمية. ويقترح غالتونغ الإجراءات الآتية لتحقيق السلم:

- (1) المصالحة لمعالجة صدمات الماضي: تحرير الماضي، الاعتراف بالأضرار المرتكبة والندم عليها والتطلّع إلى مستقبل مشترك؛
- (2) حلّ خلافات الحاضر: التوفيق بين الأهداف المتضاربة/المتناقضة وتليين المواقف

## ثلاثية الخلاف والعنف والسلم

والسلوكيات؛

(3) بناء العدالة في المستقبل: التعاون من أجل المنفعة المتساوية المتبادلة؛

(4) بناء الانسجام في المستقبل: الصدى العاطفي. الشعور بالفرح لفرح الغير وبالأسى لمعاناتهم.

### 5. خلاصة

من الضروري في مجال ترشيد الخلاف والوقاية من العنف وبناء السلم التزام التعريف المضبوط للمصطلحات والاستعمال الدقيق لها، اللائق بالسياق، وتفادي الخلط بين المفاهيم أو الاستعمال المبهم لها. وينطبق ذلك على مفاهيم الخلاف والعنف والسلم، فنظرية ترشيد الخلاف مبنية أساساً على كون الخلاف ليس نقيضاً للسلم ولا مرادفًا للعنف، لذلك تعيّن عدم الخلط بين الخلاف والعنف. كما يجب الحذر من استعمال مرادفات لمفهوم الخلاف قد تحمل في طياتها مضموناً عنقياً مثل لفظي الصراع والنزاع.

مدخل إلى ترشييد الخلاف

---

---

## الفصل الرابع تحليل الخلاف

---

---

### المحتويات

70.....	1. مقدمة
71.....	2. أطوار الخلاف
73.....	3. الخط الزمني للخلاف
75.....	4. أطراف الخلاف
76.....	5. مسألة الخلاف
77.....	6. أهداف الأطراف
80.....	7. خريطة الخلاف
82.....	8. شجرة الخلاف
82.....	9. مثلث التناقض-الاتجاه السلوكي-السلوك
84.....	10. حقل القوى
84.....	11. الركائز
85.....	12. الهرم
85.....	13. بساط الفرز
86.....	14. خلاصة

## 1. مقدمة

بما أنّ "درهم وقاية خير من قنطار علاج"، كما يقول المثل، فإنّ الاستثمار في الوقاية من العنف من صميم ترشيده الخلاف الذي يبدأ بالوقاية من أن يؤول الخلاف إلى العنف والعمل على فضه بطرق سلمية. أما في حالة وقوع العنف فيصبح الهدف هو العلاج من العنف الذي يُعتبر مرضًا اجتماعيًا، واستعادة حالة السلم، أي الصحة والعافية الاجتماعية. وكما هو الحال في عملية التطبيب فإنّ مرحلة العلاج من العنف تسبقها مرحلتا التشخيص والاستشراف.



الاستشراف في هذا السياق هو محاولة تصوّر ما قد يفضي إليه العنف من تداعيات إذا فشلت أطراف الخلاف في التوصل إلى حلّ توافقي للخلاف عن طريق الحوار. وتنبه الأطراف إلى هذه التداعيات التي قد تكون وخيمة على الجميع، من شأنه أن يحفز هذه الأطراف على القبول بمبدأ الحوار والتفاوض، ويكون بذلك الاستشراف مدخلًا إلى العلاج.

أما التشخيص فالقصد منه في هذا السياق هو تحليل الخلاف تحليلًا دقيقًا يمكن من فهم سياقه وتاريخه وتطوره، وبنيته وديناميكيته، وتحديد أطرافه والعلاقات بينهم وأهداف كلّ طرف ومسألة الخلاف، وتعيين العوامل والنظاميات التي تسبّب الخلاف أو تفاقمه أو تخففه. وتكمن أهمية التحليل في كون نجاح التدخل في أيّ خلاف مرهون بجودة تحليل هذا الخلاف. وليس تحليل الخلاف ضرورة عرضية بل هو جهد يجب تجديده بانتظام للتكيف مع الحقائق المتغيرة في الخلاف ولتبينها.

## تحليل الخلاف

يعرض هذا الفصل بشكل موجز عددًا من المفاهيم والأدوات التي تم تطويرها من طرف الخبراء لتحليل الخلاف. وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى العمل المتميز لصايمون فيشر وزملائه<sup>1</sup>، وصايمون مايسن وصندرا ريتشارد<sup>2</sup>، وأيز ماري فالدان وزملائها<sup>3</sup>، الذين قاموا بتصنيف العديد من أدوات تحليل الخلاف<sup>4</sup>.

### 2. أطوار الخلاف

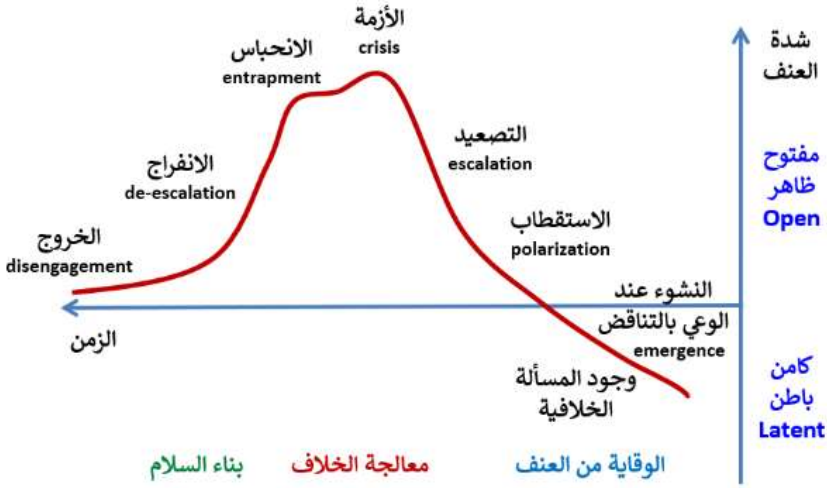
يمرّ الخلاف في تطوره بعدة مراحل تُسمى أطوار الخلاف (stages of conflict) تتميز بانعدام العنف أو وجوده، وبدرجات مختلفة من شدة العنف. ومن المهم أن يعمل القائم على تحليل الخلاف على تحديد المرحلة التي يمرّ بها الخلاف لكي يتمكن من اختيار نوع التدخل المناسب لها. كما يبيته الشكل الآتي، يبدأ الأمر بوجود مسألة خلافية بين الأطراف (تناقض أو تضارب، حقيقي أو متوهم، بين أهدافهم) وهم ليسوا على وعي بالمسألة. تُعرّف هذه الحالة بالخلاف الباطن أو الكامن الذي لا يُدرك مظهره غير المتمرس في قضايا الخلاف. لكن حتى وإن كان الخلاف غير مرئي من طرف العوام فإنّ الخواص قادرين على توقعه لأنّ لديهم الأدوات التي تمكنهم من ملاحظة مسبباته. وبذلك تكون هذه المرحلة مواتية للوقاية من العنف والمبادرة إلى معالجة أسباب الخلاف وجذوره العميقة. واحدى الوسائل للوقاية من العنف هي آلية الإنذار المبكر والاستجابة السريعة التي هي موضوع الفصل الخامس.

---

<sup>1</sup> من هذه الأدوات نذكر: (1) أطوار الخلاف، (2) الخط الزمني للخلاف، (3) خريطة الخلاف، (4) مثلث التناقض-الاتجاه السلوكي-السلوك، (5) بصلة المواقف-المصالح-الحاجيات، (6) شجرة الخلاف، (7) حقل القوى، (8) الركائز، (9) الهرم، (10) عجلة الخلاف، (11) نموذج التصعيد لغللاسل، (12) نموذج التحليل المنظوري للخلاف، (13) خريطة الاحتياجات والخاوف، (14) نموذج الأدوار متعددة الأسباب، (15) بساط الفرز.



## مدخل إلى ترشيده الخلاف

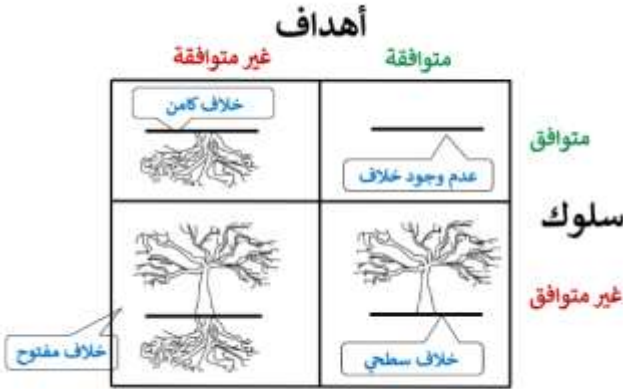


حين تشتدّ التناقضات وتتعاظم المظالم ويستفحل الإحباط تصبح الأطراف على وعي بالتناقض، ويطرأ حدثٌ يكون بمثابة الشرارة التي تُبرز الخلاف ليصبح ظاهرًا للعيان أو مفتوحًا. فتأتي مرحلة الاستقطاب التي تتميز بظهور وتنامي العنف اللفظي من انتقاد وذمّ وقذح وتجريح وشم وتشويه وقذف وتشهير وخطاب كراهية وتراشق إعلامي. تقوم مرحلة الاستقطاب بتهيئة الأجواء والأفئدة لمرحلة التصعيد حيث تزداد شدة العنف الذي ينتقل إلى عنف جسدي من قتل وجرح وتدمير، إلى أن يصل إلى ذروة الشدة فتُسمى هذه المرحلة بالأزمة التي قد تقصر أو تطول، فإذا طالت نسمي ذلك انحباسًا. خلال المراحل الممتدة من نشأة الخلاف إلى الأزمة تكون الأولوية لمعالجة الخلاف والحدّ من العنف ووقف مظاهره. ثم تبدأ مرحلة الانفراج التي تمتدّ إلى غاية الخروج من الخلاف، ويتمّ في هذه المرحلة بناء السلم من معالجة أسباب الخلاف ومصالحة، أي معالجة لآثاره النفسية والاجتماعية.

يقدم الشكل الآتي تصنيفًا للخلافات ويعرض أربع حالات حسب توافق أو عدم توافق أهداف وسلوك الأطراف: (1) توافق أهداف الأطراف وتوافق سلوكهم يشير

### تحليل الخلاف

إلى انعدام الخلاف؛ (2) توافق أهداف الأطراف وعدم توافق سلوكهم يدلّ على وجود خلاف سطحي؛ (3) عدم توافق أهداف الأطراف وتوافق سلوكهم يشير إلى حالة خلاف كامن؛ (4) عدم توافق أهداف الأطراف وعدم توافق سلوكهم يدلّ على وجود خلاف مفتوح.



### 3. الخط الزمني للخلاف

خطّ الخلاف الزمني (conflict timeline) هو التسلسل الزمني للأحداث والوقائع الرئيسية المرتبطة بالخلاف. والمقصود بالأحداث الرئيسية المنعطفات الكبرى والوقائع الفارقة التي تركت أثراً لدى الأطراف وحددت صيرورة الخلاف.



وعلى من يقوم بتحليل الخلاف بتحديد أهم الأحداث بالنسبة لكل طرف فلكلّ طرف خطّه الزمني المرتبط بسرديته وروايته الخاصة للأحداث، فتفسير الأحداث – كما هو الحال بالنسبة للنصوص والخطابات والصور – يمرّ عبر المرشح المعرفي للشخص الذي يقوم بعملية التفسير. ويتأثر هذا المرشح أثناء تطوّره بالسياقات

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

الاجتماعية والأيدولوجية التي ينمو فيها صاحبه.

وكمثال على تباين تفاسير الأحداث، نسرده هذه الواقعة التي تبين الصورة والمعلومات الأساسية أدناه سياقها ونعرض تعليقات بخصوصها من طرف صحفيين فرنسيين من خلفيتين اجتماعيتين مختلفتين، بل متخالفتين: مكسيم ليبانت (Maxime Lépante) ومحمد مبروك (Mohamed Mabrouk).



— صلاة الجمعة

— أمام قاعة صلاة

— شارع Poissonniers في باريس

— 23 أكتوبر 2009

ألف) تعليق مكسيم ليبانت: المسلمون ينتظرون بداية الصلاة في أرض محتلة، جالسين فوق سجاداتهم على الرصيف. غير المسلمين تم طردهم من الطريق المصادرة. في هذا الحي الباريسي، المسلمون هم من يضعون القوانين، وليس السلطات الفرنسية.

باء) تعليق محمد مبروك: الجالية الإسلامية في حيّ باريس (Barbès) تنتظر بداية صلاة الجمعة. المأرب الذي يفتقد إلى التدفئة الملائمة المستعمل كقاعة للصلاة أصغر من اللازم. الجالية الإسلامية في هذا الحيّ من باريس تشعر بأن السلطات الفرنسية تخلت عنها، ورفضت أن تمنحها دار عبادة لائقة.

نرى كيف أثرت السياقات الاجتماعية والمنطلقات الأيدولوجية للصحفيين على وصفها لنفس الحدث وهو تجمع لمصلين في قاعة الطريق.

إذن فالإصغاء إلى الأطراف، كل على حدة، والتعرف على سردياتهم، ثم تعريض كل طرف لسردية الطرف الآخر بشكل مباشر، من أهم الخطوات في مسار ترشيده الخلاف، لأن ذلك يساهم في التقريب بين السرديات - وإن كان الهدف ليس

## تحليل الخلاف

الوصول إلى سرديّة واحدة مشتركة - وذلك من شأنه تهيئة ظروف الحوار بين الأطراف.

### 4. أطراف الخلاف

من الأساسي في عملية تحليل الخلاف القيام بتحديد أطراف الخلاف ( conflict parties) بما في ذلك الأطراف الرئيسية الظاهرة ومعلنة الأهداف والتي صوتها عالٍ في المطالبة بها، وأيضًا الأطراف الثانوية التي قد تكون غير ظاهرة للوهلة الأولى وصوتها خافت أو لا صوت لها، لكنها معنية بمال الخلاف. وأهمية البحث عن هذه الأطراف الثانوية تكمن في أنها تكون داعمةً للحلّ إذا تمّ اعتبارها وإدماجها في العملية أو مفسدةً للحلّ إذا تمّ إقصاؤها منها. وتشمل عمليّة تحديد الأطراف أيضًا البحث عن الفاعلين الذين بمقدورهم التداخل في الخلاف للقيام بدور الوساطة بين الأطراف المتخالفة وتيسير الحوار بينها، أي الأطراف المُصلحة، وقد تكون هذه الأطراف خارجية (أطراف ثالثة)، كما يمكن أن تكون على صلة بأحد أطراف الخلاف (وساطة داخلية)، شريطة أن تلتزم بالتجرّد وعدم الانحياز، وإن كانت غير محايدة.

---

أثمة فرقٌ أساسي بين الحياد وعدم الانحياز، فالحياد هو الوقوف على نفس المسافة الفكرية والعاطفية من كلّ الأطراف وذلك أمرٌ شبه مستحيل في الواقع لأنّ الإنسان الوسيط الذي يُصغي للأطراف لا بدّ أن يبدي ميلًا فكريًا أو عاطفيًا لأحدهم بعد الاطلاع على سردياتهم. أمّا عدم الانحياز فهو معاملة كلّ الأطراف بالعدل والمساواة دون أيّ امتياز لأحدهم، ممّا كان ميله الفكري أو العاطفي. ثمّة من الباحثين من قام بتفكيك مفهوم الحياد في عملة الوساطة، أنظر مثلاً:

Sara Cobb and Janet Rifkin. Practice and Paradox: Deconstructing Neutrality in Mediation. Law & Social Inquiry. Volume16, Issue 1. January 1991. Pages 35-62.

وأيضًا:

Mayer, Bernard S. Beyond Neutrality: Confronting the Crisis in Conflict Resolution. Jossey-Bass (2007).

## 5. مسألة الخلاف

مسألة أو قضية الخلاف (conflict issue) هي المسألة التي يدور حولها الخلاف، وعادة ما تتعلق بـ: (1) توزيع الموارد أو (2) تقاسم السلطة والنفوذ أو (3) الاعتراف بمحدّدات الهوية.

مسألة توزيع الموارد من أكثر المسائل شيوعاً فكثير من الخلافات في العالم مردّها إلى ندرة الموارد التي لا تكفي لتلبية حاجيات المجموعات البشرية أو إلى التوزيع غير العادل للموارد داخل المجتمعات. وكمثال على ذلك تجدر الإشارة إلى الخلافات العديدة في المناطق القاحلة بين الرعاة والمزارعين التي تدور حول مسألة الماء أو الكلاء، والتي تؤوّل في كثير من الأحيان إلى العنف. كما يؤدي انعدام التوزيع العادل للثروة إلى قلاقل في عدد كبير من الدول التي تفتقر إلى الحوكمة الرشيدة. نوع آخر من الخلافات التي تدخل في هذه الصنف يتعلّق بتوزيع التركة بين الورثة الذي يكون في بعض الحالات سبباً في نشوب خلافات في وسط الأسرة الواحدة.

أمّا مسألة تقاسم السلطة والنفوذ فتنسبب في كم هائل من الخلافات السياسية في الدول التي لا تتبع نظاماً تسمح لجميع مواطنيها بممارسة حقوقهم السياسية، وينطبق ذلك على معظم الدول العربية.

الاعتراف بمحدّدات الهوية حقٌّ ينبغي ضمانه لكي لا يضطرّ من يُجرّم منه إلى الاحتجاج الذي قد يأخذ أحياناً أشكالاً عنيفة، كما عرفته وتعرّفه انتفاضات العديد من الأقليات العرقية واللغوية والدينية التي لا يُعترف بخصوصياتها داخل الدول المركزية.

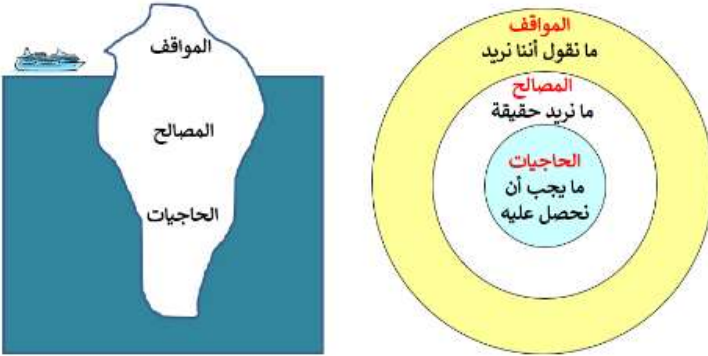
قد تكون مسألة الخلاف مرتبطة إمّا بالمصالح أو بالقيم. فلو أخذنا مثلاً مسألة الخلاف حول تنظيم انتخابات تشريعية في بلد ما، قد نجد أنّ أطرافاً قد تُعارض تنظيم هذه الانتخابات انطلاقاً من منطق المصلحة لكون الخريطة الانتخابية أو القانون الانتخابي لا يضمن انتخابات نزيهة. وقد تُعارضها أطرافٌ من منطق القيم، حيث ترى فيها خروجاً عن مقتضيات الشريعة التي في نظرهم لا تقبل مستنّاً للقوانين سوى الله

## تحليل الخلاف

سبحانه وتعالى.

### 6. أهداف الأطراف

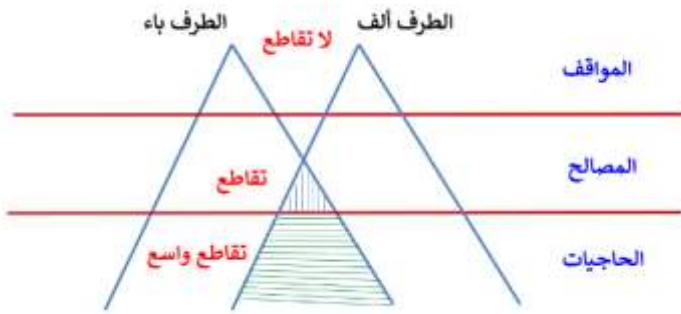
بعد تحديد أطراف الخلاف والمسألة الخلافية تأتي الخطوة التالية التي ترمي إلى معرفة وفهم أهداف (goals) كلّ طرف. ويتم ذلك بالإصغاء إلى كلّ طرف على حدة. وعلى المصلح عدم الاكتفاء بالاستماع إلى مواقف الأطراف بل تجاوزها إلى المصالح التي تكمن وراء مواقفهم المعلنّة، فتمّة فرق بين المواقف (positions) والمصالح (interests) والحاجيات (needs) كما بيّنه الشكل الآتي. مواقف الأطراف هي ما تُعلنه من مطالب و"تقول أنّها تريده"، والمصالح هي "ما تريده حقًا وفعلاً"، أمّا الحاجيات فهي "ما يجب أن تحصل عليه". وفيما يسهل التعرّف على مواقف الأطراف (قشرة البصلة الخارجية أو قمة جبل الجليد)، فإنّ الوصول إلى مصالحهم يتطلّب جهدًا معتبرًا من طرف المصلح لأنها ليست ظاهرة للعيان بل غائبة يجب الغوص للوصول إليها بالإصغاء والاستفسار والنظر العميق والتعمّن في ما يؤدي به كلّ طرف، وهذه من ميزات المصلح الحاذق.



تعتمد نظرية مدرسة هارفارد (Harvard School) للتفاوض المبني على المصالح على فرضية مفادها أنّه شبه مستحيل التوصل إلى اتفاق بين الأطراف إذا بقي التبادل على مستوى المواقف لأنها عادة ما تكون تعبيرًا متشنجًا ومتطرّفًا إلى أقصى الحدود

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

عن المصالح الحقيقية. بينما يسهل التفاوض إذا نزلنا إلى مستوى المصالح، وبدرجة أكبر على مستوى الحاجيات. أو بعبارة أخرى، كما يبيته الشكل الآتي، لا توجد مساحة تقاطع بين الأطراف على مستوى المواقف، بينما ثمة مساحة تقاطع على مستوى المصالح وتتوسع هذه المساحة إذا نزلنا إلى مستوى الحاجيات، ذلك لكون البشر أكثر اشتراكاً في المصالح والحاجيات. هناك ملاحظة في ما يخص الحاجيات فهي الحد الأدنى من متطلبات الحياة الكريمة من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ومركب وكرامة وحرية، إلخ.، وبالتالي ينبغي أن تكون محل توافق بين الجميع، ولا يمكن في حال من الأحوال التفاوض بشأنها.



من الأمثلة التي تُضرب في برامج التدريب لتقريب فكرة تباين المواقف والمصالح للأذهان: مثال الشجرة أو البرتقالة الافتراضي ومثال المفاوضات المصرية الإسرائيلية الواقعي بشأن سيناء بوساطة أمريكية.



ألف) الخلاف بشأن الشجرة أو البرتقالة: اختلف جاران بشأن شجرة تقع بين منزلتهما.

## تحليل الخلاف

كلاهما يقول الشجرة لي، تابعة لمنزلي. استمع طرفٌ ثالثٌ تدخل لإصلاح ذات البين إلى موقف كل طرف: "الشجرة لي"، فلم يجد سبيلاً للتوفيق بين الموقعين. قرر حينها معرفة ما يقف وراء الموقعين من مصالح للطرفين، فاكتشف أنّ الجار الأول يحتاج إلى استعمال ظلّ الشجرة للقبولة، بينما يحتاج الجار الثاني إلى غلة الشجرة لتحضير المرقى الذي يحبّه. فلما تبينّت المصالح سهّل على المصلح عمله فأقنع الطرفين بأن تكون الشجرة ملكاً مشتركاً يستعمل الطرف الأول ظلّها للقبولة ويستغلّ الطرف الثاني ثمارها. الخلاف بشأن البرتقالة صيغة مشابهة لما سبق، حيث تخالف أخوان حول برتقالة أراد كل واحد الحصول عليها وتبين أنّ ثمة مصلحتين مختلفتين وراء نفس الموقف للأخوين: فالأخ يريد أن يحضّر عصيراً من البرتقالة، والأخت تحتاج إلى قشرتها لتحضير كعكة.

باء) **الخلاف بشأن سيناء:** المفاوضات المصرية-الإسرائيلية حول قضية سيناء - التي احتلتها إسرائيل في عام 1967 - أشرفت عليها الإدارة الأمريكية برئاسة جيمي كارتر وأفضت إلى التوقيع على اتفاقيات كامب ديفيد في 17 سبتمبر 1978 من طرف الرئيس المصري أنور السادات ورئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن، التي أدت إلى معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل. يشرح بعض الذين راقبوا تطوّر المفاوضات أنّ الوسيط الأمريكي استفسر عن سبب تمسك الطرفين بشبه جزيرة سيناء (المواقف) فوجد أنّ الطرف المصري يركّز على كونها أراضٍ مصرية يجب أن تخضع لسيادة الدولة، وأنّ الطرف الإسرائيلي يركّز على التهديدات الأمنية التي قد تأتي من سيناء. فرأى إذن أنّ مصلحة الطرف المصري هي "السيادة" ومصلحة الطرف الإسرائيلي هي "الأمن" وتمكّن من إقناع الطرفين بأن تكون سيناء أرضاً مصرية منزوعة السلاح، وهذا ما تمّ الاتفاق عليه.

من الأدوات التي تُستعمل في تحليل الخلاف ما يُسمّى "بصلة المواقف-المصالح-

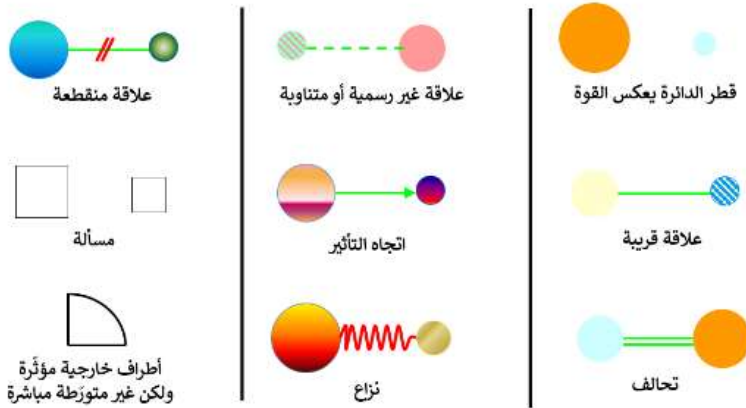


## مدخل إلى ترشييد الخلاف

الحاجيات " (PIN<sup>أ</sup> onion)، التي تهدف إلى فهم مصالح وحاجيات الأطراف المختلفة وراء مواقفهم، حيث يُرسم شكل البصلة ذات الثلاث طبقات (المواقف في السطح والمصالح في الوسط والحاجيات في القلب) ثم يوضع في كلّ طبقة الأمور المتعلقة بها بالنسبة لطرف من الأطراف.

### 7. خريطة الخلاف

خريطة الخلاف (conflict map) عبارة عن تقنية بصرية لإبراز أطراف الخلاف وحجم كلّ طرف والعلاقات بينها، بطريقة بسيطة ومنظمة وشاملة. وتمكّن الخريطة من رؤية كاملة وواضحة للوضع وتعيين علاقات القوى وتشخيص الحلفاء الحقيقيين أو المحتملين وكشف فرص التدخل في الخلاف. وتُستعمل عدّة رموز اصطلاحية لإعداد الخريطة كما يبيّنه الشكل الآتي:

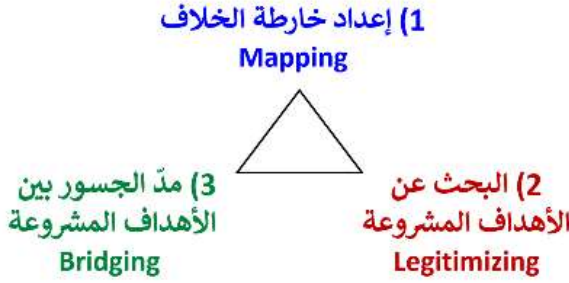


ترمز الدوائر إلى أطراف الخلاف ويبدّل قطر الدائرة على وزن الطرف وقوته. ويشير الخط الواحد إلى علاقة قريبة بين طرفين، أمّا الخط المزدوج فيرمز إلى تحالف بين

<sup>أ</sup> تشير اللفظة الأوائلية PIN إلى positions-interests-needs.

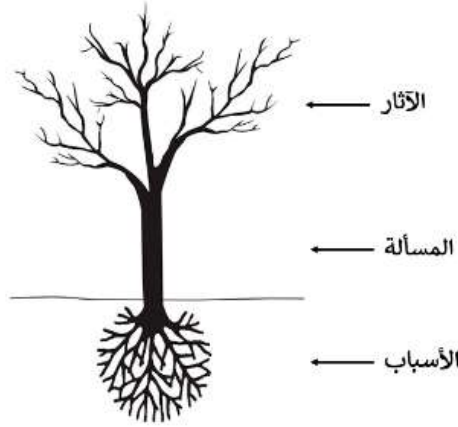


مدخل إلى ترشييد الخلاف



## 8. شجرة الخلاف

شجرة الخلاف (conflict tree) تقنية بصرية تستعمل صورة الشجرة لتحديد أهمّ المسائل المتعلقة بالخلاف والعوامل الديناميكية والبنوية التي تؤثر فيه، ويتمّ وضع (1) مسألة الخلاف (المشكل الرئيسي) على جذع الشجرة، و(2) أسباب الخلاف على جذور الشجرة، و(3) آثار أو تداعيات الخلاف على أغصان الشجرة.



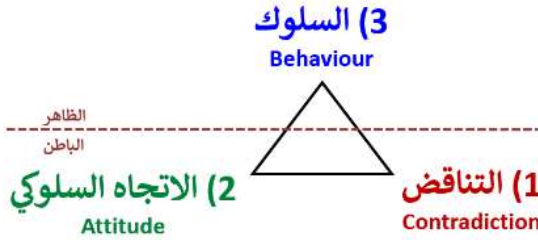
## 9. مثلث التناقض-الاتجاه السلوكي-السلوك

الخلاف عبارة عن تفاعل بين ثلاث مكونات وهي (1) التناقض (contradiction) أو البنية أو السياق أو المسألة: المؤسسات والآليات والظروف التي تؤثر على توزيع

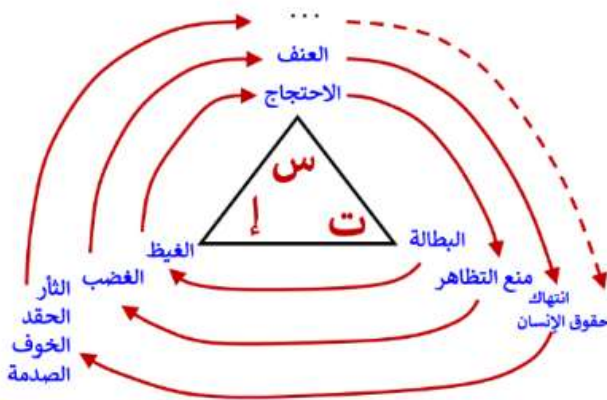
## تحليل الخلاف

وتلبية الحاجات الأساسية للحياة، و(2) الاتجاه السلوكي أو الموقف (attitude) أي الميل الداخلي في الإدراك والفكر والعاطفة والإرادة الذي يحرك الإنسان ويكيف رؤيته لنفسه وتصوره لخصمه، و(3) السلوك (behaviour) أي الأفعال وردود الأفعال والأنشطة والعمليات إزاء الخصم.

يمثل مثلث<sup>4</sup> التناقض-الاتجاه السلوكي-السلوك، أو مثلث "ت-إس" إحدى الأدوات المستعملة في تحليل الخلافات والتي تهدف إلى تعيين "ت-إس" للأطراف الأساسية في الخلاف، وتحليل كيف تأثر "ت-إس" على بعضها البعض، وربط "ت-إس" لحاجيات كل طرف في الخلاف، وكشف فرص التدخل في الخلاف.

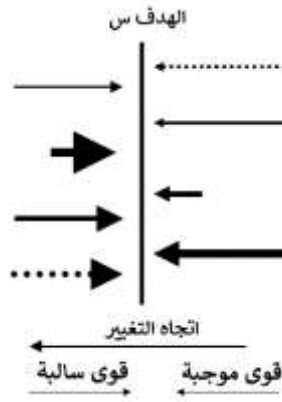


ويبين الشكل الآتي كيفية تفاعل هذه المكونات الثلاثة "ت-إس" في مثال واقعي.



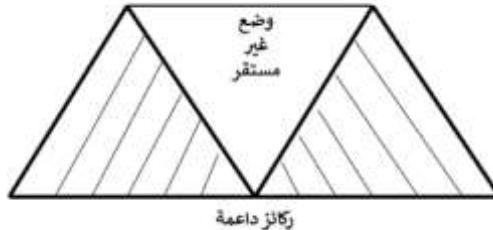
## 10. حقل القوى

حقل القوى (force field) أداة لتحليل القوى الموجبة والسالبة التي تؤثر على الخلاف، تُستعمل بشأن هدف محدد (عمل، تغيير، إلخ). وتهدف هذه الأداة إلى تحديد القوى الداعمة أو المعرقة لخطة عمل أو تغيير منشود، وتقييم حجم كل قوة والقدرة على التأثير عليها، وتحديد طريقة زيادة التأثير على القوى الموجبة وخفض القوى السالبة.



## 11. الركائز

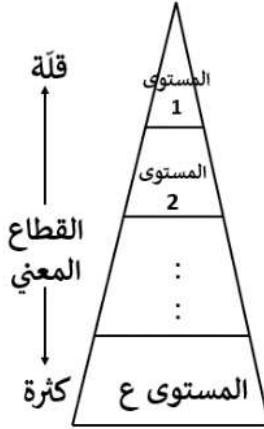
الركائز (pillars) عبارة عن توضيح بياني للعناصر التي تُبقي على الوضع في حالة عدم استقرار، وتهدف هذه الأداة إلى فهم كيفية دعم الهياكل، وتحديد العوامل التي تُبقي على حالة غير مرغوب فيها، وإيجاد الطرق لإضعاف أو إزالة هذه العوامل أو لتحويلها إلى قوى إيجابية.



## تحليل الخلاف

### 12. الهرم

الهرم (pyramid) عبارة عن توضيح بياني يظهر مستويات المعنيين بالأمر في الخلاف، فالسلم المستديم يتم بتقوية كافة شرائح المجتمع. تهدف هذه الأداة إلى تحديد أهم الفاعلين في كل مستوى وتحديد على أي مستوى نتدخل، وتقييم فائدة إدراج المستويات الأخرى في المسعى، وتعيين أحسن المقاربات في كل مستوى، ودراسة كيفية ربط العلاقة بين المستويات المختلفة، وتحديد الحلفاء المحتملين في كل مستوى.



### 13. بساط الفرز

يُستعمل بساط الفرز<sup>5</sup> (sorting mat) عادة لفهم الخلافات الصغيرة بين طرفين (زوجين أو صديقين أو جارين، إلخ.). وهو بساط مربع مساحته حوالي 1 م<sup>2</sup>، مقسم إلى أربعة أرباع، يتعلّق الربع الأول بما هو إيجابي في المستقبل (الحلم)، ويتعلّق الربع الثاني بما هو سلبي في الماضي (الجروح، الكابوس)، ويتعلّق الربع الثالث بما هو إيجابي في الماضي (الحنين، الخير في ثنايا الشر the good in the bad)، ويتعلّق الربع الرابع بما هو سلبي في المستقبل (الواقعية، الشر في ثنايا الخير the bad in the good).

## مدخل إلى ترشيده الخلاف



يطلب الوسيط الطرفين الوقوف فوق البساط والطواف بين الخانات الأربعة عدة مرّات، ويقوم كلا الطرفين كل مرّة بالإفصاح عمّا توحى له الخانة التي يتواجد عليها بخصوص العلاقة التي كانت تربطه بالطرف الثاني ويتم ذلك بحضور هذا الأخير. فيمرّ في سرديته من التعبير عن تطلّعاته المستقبلية إلى استعادة ذكريات الماضي الأليمة، ومنها إلى ذكريات الماضي المشرفة التي يحنّ إليها، وفي الأخير يستشرف الأمور التي يخشى وقوعها في المستقبل.

كما يوضّحه مطوّرو هذه الأداة<sup>6</sup>، فإنّ بساط الفرز يسمح لكل طرف بالغور في أعماق أحاسيسه وأفكاره واستحضار تجاربه الماضية واستشرف تطلّعاته المستقبلية مع الطرف الآخر. وهذه العملية تمكّن كلّ طرف من معرفة ما يريده الطرف الآخر في جوّ هادئ يسوده الاحترام المتبادل. كما تفتح هذه الأداة للطرفين مجالاً للنظر في الأمور الإيجابية في العلاقة التي تربطها عوض التركيز على السلبيات حصراً. ويساعد بساط الفرز الأطراف على تصوّر مستقبل مشترك يحقّقان فيه كافة أهدافها المشروعة.

### 14. خلاصة

مرحلة "التشخيص" خطوة حيوية في مسار ترشيده الخلاف تسبق مرحلة "العلاج"، فالتشخيص الجيّد للخلاف يضمن نجاح عملية فضه سلميًّا. وتُستعمل

## تحليل الخلاف

العديد من الأدوات لتحليل الخلاف وفهم سياقه وتاريخه وتطوره، وبنيتة وديناميكيته، وتحديد أطرافه والعلاقات بينهم وأهداف كل طرف ومسألة الخلاف، وتعيين العوامل والنظاميات التي تسبب الخلاف أو تفاقمه أو تخففه. ومن هذه الأدوات التي تم تطويرها نذكر "أطوار الخلاف" و"الخط الزمني للخلاف"، و"أطراف الخلاف"، و"مسألة الخلاف"، و"أهداف الأطراف"، و"خريطة الخلاف"، و"شجرة الخلاف"، و"مثلث التناقض-الاتجاه السلوكي-السلوك"، و"حقل القوى"، و"الركائز"، و"الهرم"، و"بساط الفرز".



مدخل إلى ترشييد الخلاف

---

---

## الفصل الخامس

# آليات الإنذار المبكر والاستجابة السريعة

---

---

### المحتويات

1. مقدمة .....	90
2. الإنذار المبكر والاستجابة السريعة في سياق الخلاف .....	90
1.2. هدف الآلية .....	90
2.2. مراحل العملية .....	90
3.2. شروط النجاح .....	91
4.2. هيكل الآلية .....	92
5.2. تحديد المؤشرات .....	92
6.2. أنواع الاستجابة .....	94
3. أجيال آليات الإنذار المبكر والاستجابة السريعة .....	94
4. آليات الإنذار المبكر والاستجابة السريعة القائمة على المجتمع المحلي .....	95
5. خلاصة .....	96

## 1. مقدمة

بدأ استعمال آليات الإنذار المبكر والاستجابة السريعة في مجالات مختلفة للتعامل مع الكوارث الطبيعية من براكين وزلازل وفيضانات وأعاصير وتسوناميات وجفاف، ومع الحوادث الصناعية والكوارث الصحية من أوبئة وجوائح بشرية أو حيوانية، ثم انتقل استعمالها إلى مجالات الوقاية من الأزمات الإنسانية من مجاعات وهجرة ونزوح، ثم إلى الوقاية من الخلافات العنيفة والانتهاكات الجسمية لحقوق الإنسان، خاصة المجازر والإبادة الجماعية. والغاية من هذه الآليات هي الرصد والإنذار للوقاية من تدهور الوضع والتدخل الفوري لمعالجة الوضع الكارثي. وفي ما يلي من هذا الفصل بعض الخصائص العامة لآليات الإنذار المبكر والاستجابة السريعة في سياق الخلاف، علمًا أنّ كلّ آلية إنذار مبكر واستجابة سريعة خاصة بالسياق الذي صُمّمت له، ولا يُجدي استنساخ آلية صُمّمت في سياق معيّن لتطبيقها في سياق مختلف.

## 2. الإنذار المبكر والاستجابة السريعة في سياق الخلاف

### 1.2. هدف الآلية

في مجال الخلاف، آلية الإنذار المبكر والاستجابة السريعة تهدف أساسًا إلى (1) تجنب اندلاع العنف وتحاشيه ومعالجة أسباب الخلاف العميقة واستباق الاستقطاب والتصعيد عندما يكون الخلاف في حالة كمن (جانب الوقاية)، و (2) الحدّ من تفاقم شدّة العنف حين يكون الخلاف مفتوحًا (جانب الاستجابة). ويمكن أن تُستعمل الآلية إذا تمّ تصميمها بطريقة جامعة وتشاركية للمباشرة في ترشيده الخلاف كإطار للحوار وللممارسة المشتركة بين أطراف الخلاف ولتعزيز التماسك المجتمعي وبناء القدرات.

### 2.2. مراحل العملية

المرحلة الأولى في عمل آلية الإنذار المبكر والاستجابة السريعة هي تشخيص الخلاف وذلك بتجميع الكمّ الكافي من المعلومات من الميدان وتحليلها لفهم سياق وأطراف

## آليات الإنذار المبكر والاستجابة السريعة

ومسألة الخلاف، ويتم تحديد مؤشرات لاحتمال نشوب العنف وآلية لمراقبة هذه المؤشرات، ثم تليها مرحلة الاستشراف ووضع السيناريوهات المختلفة التي يمكن أن يؤول إليها الخلاف. كثيرٌ من المراكز التي تتناول الخلاف عن بعد يتوقف عملها عند هاتين المرحلتين. غير أن مراكز أخرى تتجاوز ذلك إلى مرحلة إعداد خطط عمل للتجاوب مع مختلف الاحتمالات، ثم إلى مرحلة الإنذار الموجه للأطراف، بما في ذلك مقترفي العنف وضحاياه، ودعوة أصحاب النفوذ على المستوى المحلي والدولي للتدخل، بل تساهم بعض المراكز حتى في مرحلة إعداد الاستجابة الملائمة للوضع والتدخل من أجل الحد من العنف وترشيد الخلاف. ثم تلي ذلك مرحلة المتابعة والتقييم.

### 3.2. شروط النجاح

من شروط نجاح آلية الإنذار المبكر والاستجابة السريعة واستدامتها الطابع الجامع التشاركي أثناء التحليل والتخطيط والإنجاز، فمن الضروري أن تُشرك الآلية كل أصحاب المصلحة من جهات رسمية سياسية وإدارية وأمنية وقيادات دينية وأعيان وممثلين عن أصحاب الأعمال وعن المجتمع المدني والعنصر النسوي والشباب. ويجب الحرص على إشراك كل التيارات المتواجدة في المجتمع بما في ذلك المتشددة، وتكون للآلية بذلك تمثيلية واسعة ودعم من المجتمع المحلي (روابط أفقية)، ومن السلطات المحلية والوطنية والدولية (روابط عمودية)، ويوفر ذلك للآلية قدرًا كافيًا من الشرعية لتقوم بمهمتها بفاعلية وعلى أحسن وجه. أما إذا صُمّمت في إطار ضيق هيكلي وخطط للرصد والتدخل لا تحظى بدعم واسع فإن مصيرها لا محالة الفشل.

من شروط النجاح أيضًا الملكية المحلية للآلية، كون الفاعلين المحليين أقدر من غيرهم على فهم التحوّلات الدقيقة التي تطرأ على المجتمع على المستوى المحلي وعلى التقاط الإشارات الخفية التي قد تسبق تطوّر الخلاف إلى عنف.

ومن شروط النجاح مرونة الآلية في التأقلم مع التغيرات التي قد تطرأ على السياق، ولا يتم ذلك إلا إذا توفرت الثقة وسادت روح التعاون بين مكونات الآلية.

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

ولا بدّ من الشفافية حول الغرض من آلية الإنذار المبكر والاستجابة السريعة وطريقة عملها حتى لا تحوم شكوك حولها داخل المجتمع المحلي، واتهامات بأن لها أجندات مخفية، كالأجندة المخبرانية.

ومن الضروري أن ينتبه القائمون على الآلية في كافة الخطوات لكي لا يتسبب عمل الآلية في أيّ ضرر ولا يفاقم التوترات القائمة عوض تخفيفها. وهذا التزام بمدى أساسي في كافة مقاربات ترشيده الخلاف ألا وهو "مبدأ تفادي الضرر": أيّ التدخل فقط إذا كان ذلك يجلب قيمة مضافة ويكمل جهود الفاعلين الآخرين بطريقة بناءة. ومن أشكال الضرر الإحباط وخيبة الأمل التي قد تصيب الفاعلين إذا كانت الإشكالات المطروحة تفوق قدرتهم على الاستجابة. كما يستلزم "مبدأ تفادي الضرر" الإدارة المسؤولة للمعلومات المجمّعة التي قد تكون حسّاسة، وإذا ما أُخرجت من سياقها أو وقعت في أيادٍ غير أمينة، قد تُستخدم لتأجيج التوترات ومفاغمة الخلافات.

### 4.2. هيكله الآلية

تحتاج آلية الإنذار المبكر والاستجابة السريعة في هيكلتها إلى جهة داعية، وإلى مسهل/ميسر للمداوات، وإلى مجموعة مركزية تكون هي المحرك للعملية، وإلى مراقبين ومقيمين في الميدان، وإلى سكرتارية للمتابعة، وإلى استشاريين تقنيين متخصصين، وإلى داعمين ماليين. وينبغي أن يتم عمل الآلية بشكل تعاوني بين كلّ مكوناتها في جميع المراحل، من عمليات التحليل والاستشراف ووضع الخطط، التي يجب أن تخضع للتحديث جماعياً باستمرار، إلى عمليات الإنذار والاستجابة والمتابعة والتقييم.

### 5.2. تحديد المؤشرات

تحديد مؤشرات تدلّ على وشك نشوب العنف والتصعيد خطوة حيوية في الإنذار المبكر والاستجابة السريعة. واستعمال مؤشرات غير ملائمة للسياق تهدد عمل الآلية بالفشل. ومن الأفضل وضع المؤشرات بطريقة تشاركية، تشمل أوسع نطاق ممكن من أصحاب المصالح المحليين. ومن الضروري تحيين المؤشرات باستمرار، لأنّ المؤشرات

## آليات الإنذار المبكر والاستجابة السريعة

غير المحدثة لا تفيد في عملية الرصد.

يقسم بعض الخبراء مؤشرات اندلاع العنف إلى ثلاثة أقسام: (1) الأسباب النظامية (الأساسية، الهيكلية، العميقة)؛ (2) الأسباب الدانية (الحيثيات الخاصة بالسياق)؛ (3) المحفزات الفورية (كل ما يمكن إن يتسبب في إشعال فتيل العنف). ويتم تقسيم المؤشرات أيضاً إلى كمية (عدد حوادث العنف أو الضحايا مثلاً) ونوعية (كثرتي التفاعل بين المجموعات البشرية).<sup>1</sup>

ناقش العديد من الباحثين قضية تحديد المؤشرات<sup>2</sup>، ويبيّن المثال الآتي مجموعة من المؤشرات ذات الصلة بالخلافات داخل الدول التي تحكمها أنظمة تسلطية.

**المؤشرات العسكرية:** اشتراء أسلحة القمع وتكنولوجية التحكم السياسي؛ وجود فيالق مختصة في القمع؛ عسكرة المجتمع المدني والسياسي؛ أنشطة عسكرية؛ تصريحات تناشد بالحلّ العسكري-الأمني.

**مؤشرات العنف:** انتهاكات حقوق الإنسان؛ عنف الدولة والمعارضة؛ ارتفاع نسبة الجريمة؛ ارتفاع نسبة الانتحار؛ تداول الأسلحة.

**المؤشرات السياسية:** فقدان الشرعية؛ ضعف مؤسسات الدولة؛ عدم الاستقرار؛ تفاقم حزبية النخب الحاكمة وتقسيم المعارضة السياسية؛ دعم شعبي للتمرد.

**المؤشرات الاقتصادية:** ارتفاع نسبة البطالة؛ عموم الفقر؛ انتشار الفساد؛ انهيار الاقتصاد.

**المؤشرات الاجتماعية:** نزوح داخلي ضخم؛ ازدياد الهجرة إلى الخارج (خاصة النخبة)؛ تفشي اليأس في شرائح اجتماعية واسعة؛ استقطاب الوحدات الاجتماعية (العائلة، الحزب، الجمعية، إلخ).

**المؤشرات الإيديولوجية:** وجود أقليات إيديولوجية أو سياسية تنشر الأحقاد؛

توظيف الإعلام للدعاية الحربية؛ ارتفاع الغلو الديني؛ استغلال الحكم للخلافات الاجتماعية و/أو العرقية و/أو الدينية.

## 6.2. أنواع الاستجابة

تختلف مقاربات الاستجابة فمنها ما يستند إلى القوة (الاعتماد على القسرية أو التهديد باستعمالها) ومنها ما يستند إلى الحقوق (الاعتماد على قوانين الدولة أو ما يعادلها من أعراف وقواعد "تقليدية" أو محلية) ومنها ما يستند إلى المصالح (الكشف عن مصالح أطراف الخلاف المختلفة والعمل على تحقيقها على النحو الأفضل عن طريق الحوار).

## 3. أجيال آليات الإنذار المبكر والاستجابة السريعة

يقسم الباحثون من أمثال فُمر روبسينغ<sup>3</sup> وستيفن ليتش<sup>4</sup> تطور آليات الإنذار المبكر والاستجابة السريعة إلى عدّة أجيال لتصل إلى ما هي عليه اليوم.

**الجيل الأول:** تمّ تطوير الجيل الأول من قبل المنظمات غير الحكومية الدولية وهيئة الأمم المتحدة ووكالاتها. في هذا الصنف من الآليات، يتم اللجوء إلى مراقبين ينشطون بعيداً عن بؤر الخلاف. وتتم إحالة المعلومات المتوقّرة لخبراء يتولّون تحليلها. ويتم الاعتماد على معطيات عامة (الصحف والتقارير المتاحة للعموم) بدل التحليل الكميّة والمعرفة الدقيقة والعميقة للسياق المحلي. تُحال التقارير إلى المجموعة الدولية تمهيداً لتدخّل دبلوماسي أو سياسي أو عسكري على مستوى المسار الأول (track 1).

**الجيل الثاني:** الجيل الثاني نسخة إقليمية من الجيل الأول، حيث يجمع مراقبون محليون أو خارجيون بيانات من الميدان، مغلّبين العناصر الكميّة (المبنية على الأرقام). وتُحال تلك البيانات إلى مراكز إقليمية فيحلّلها الخبراء (محلّيون أو خارجيون) ثمّ يُعدّون تقاريرهم على أساسها لصالح هيئات دولية أو إقليمية أو وطنية. ومثل ما هو عليه الحال في الجيل الأول، تركز الاستجابة هنا على التدخّل الدبلوماسي أو السياسي أو العسكري على مستوى المسار الأول (track 1)، مع تدخّل بين الحين والآخر

## آليات الإنذار المبكر والاستجابة السريعة

للأطراف الفاعلة على مستوى المسار الثاني (track 2).

**الجيل الثالث:** تهدف أنظمة الجيل الثالث إلى سدّ الهوة بين الإنذار والاستجابة من خلال توحيد وظائف المراقبين والمحلّلين والمستجيبين، وإلى تجهيز الأطراف الفاعلة المحليّة لوظيفتي المراقبة والاستجابة، رغم أنّ التحليل يجري غالبًا في مكتب مركزي بمساعدة خبراء محليّين وأو خارجيين. قد تتمّ الاستجابة عبر هياكل محلية، تُصقل فيها قدرات الاستجابة، أو من خلال آليات الدولة أو المجتمع المدني.

**الجيل الرابع:** من أهم خصائص الجيل الرابع استخدام تقنيات التمهيد الجماعي أو ما يُسمى بحشد المصادر لجمع المعلومات (crowd-sourcing) وبرامج لإنشاء خرائط لتحديد مواقع الحشود المستهدفة وجمع المعلومات من أيّ شخص ومن كلّ شخص يمكنه أن يكون مصدرًا للمعلومات (crowd-mapping) بدلاً من تدريب مراقبين محليّين. كما قد تُجمع المعلومات من خلال نظام حاسوبي مركزي يضع المعلومات في متناول الجميع، فتوفّر تلك المعلومات للعموم يُمكن الأفراد من سرعة التصرف بطرق من شأنها منع العنف أو الحدّ منه.

## 4. آليات الإنذار المبكر والاستجابة السريعة القائمة على المجتمع المحلي

المقاربات القائمة على المجتمع المحليّ متجدّرة فيه وذلك مفتاح استدامتها. وتتميّز عن غيرها بكونها تحرص على أن يكون المجتمع المحليّ المكان الأولي الذي تُستخدم فيه المعلومات المجمّعة. ولا تُرفع تقارير بالملومات إلى أطراف ثالثة إلا بعد أن يتلقاها المجتمع المحليّ ويحلّلها. ويتمّ اختيار المراقبين الذين يقومون برصد المؤشّرات على أساس استبيان يُعبأ دوريًا، بشكل يضمن التعددية (الجنس، الالتقاء الجغرافي، الفئة الاجتماعية، إلخ.)، كما تُستعمل أنسب اللغات لتدوين المعلومات المجمّعة. ويتمّ التحقق من صحّة المعلومات المجمّعة بمقارنة عدة مصادر، والاتصال بالفئات المعنية من المجتمع المحليّ. ثمّ يتمّ تحليل المعلومات المحقّقة بغرض تحديد الأوضاع التي تحتاج إلى استجابة،



## مدخل إلى ترشيده الخلاف

ومراجعة المؤشرات وتعديلها، وتوفير المعلومات الهامة لجميع شرائح المجتمع المحلي. ويبقى الاختبار الحقيقي لنظام الإنذار المبكر والاستجابة السريعة هو قدرته على توليد استجابة فعالة عندما تُحدّد المشاكل وتُطلق الإنذارات. وتعمل الاستجابة المجتمعية على التمكين من خلال منح المجتمعات المحلية دورًا في إدارة أمنهم الخاص. ويتحوّل التركيز على الفرص المتاحة للمجتمع المحلي، بالاستناد إلى التوافق، والبناء على القدرات المحلية المتوقّرة، والتدخلات التي تقودها الأطراف الداخلية. وذلك لا يحول دون الحشد والتنسيق مع الآخرين، فقد تتجاوز بعض الأوضاع أو المشاكل داخل المجتمع المحلي قدرة ذلك المجتمع على التعامل معها بمفرده، بسبب الافتقار إلى الأدوات اللازمة، فيلجأ إلى بناء علاقات مع أطراف فاعلة خارجية.

### 5. خلاصة

تُستعمل آليات الإنذار المبكر والاستجابة السريعة في مجالات مختلفة، منها مجال الخلاف والسلم، لتجنّب اندلاع العنف وتحاشيه ومعالجة أسباب الخلاف العميقة واستباق الاستقطاب والتصعيد عندما يكون الخلاف في حالة كون، والحدّ من تفاقم شدّة العنف حين يكون الخلاف مفتوحًا. وتعتمد الآلية على تشخيص الخلاف وتحليله بناءً على معلومات موثوقة وتحديد مؤشرات لاحتمال نشوب العنف وآلية لمراقبة هذه المؤشرات ووضع السيناريوهات المختلفة التي يمكن أن يؤوّل إليها الخلاف وإعداد خطط عمل للتجاوب مع مختلف الاحتمالات. ولنجاح الآلية وضمان استدامتها يجب الحرص على الطابع الجامع التشاركي أثناء التحليل والتخطيط والإنجاز. وقد مرّت آليات الإنذار المبكر والاستجابة السريعة بعدة أجيال وطوّرت عليها تحسينات جمّة جعلتها أكثر فعالية واستدامة وقربًا من المجتمع المحلي.

---

---

## الفصل السادس مقاربات ترشيد الخلاف

---

---

### المحتويات

1. مقّمة ..... 98
2. أشكال التجاوب مع الخلاف ..... 98
3. مواقف الأطراف من الخلاف ..... 99
4. آليات ترشيد الخلاف ..... 102
5. خلاصة ..... 107

## 1. مقدمة

بعد تحليل الخلاف وتشخيصه واستشراف مآلاته تأتي مرحلة التدخل لترشيده، ويتناول هذا الفصل مختلف المقاربات لترشيده الخلاف بالطرق السلمية والحيلولة دون تحوُّله إلى خلاف عنيف. وقد صنّف الخبراء من أكاديميين وموظفين أميين العديد من أشكال التجاوب مع الخلاف سيتم ذكرها وتعريفها بداية. وبما أنّ ترشيده الخلاف مرتبطٌ بمواقف الأطراف من الخلاف وميلهم إلى مقارنة دون الأخرى فستتم مناقشة مختلف المواقف الممكنة بعد ذلك. وفي الأخير تُعرض بعض الآليات التي قد تُستعمل لترشيده الخلاف.

## 2. أشكال التجاوب مع الخلاف

تُستعمل العديد من العبارات من طرف الباحثين في مجال الخلاف للتمييز بين أشكال التجاوب مع الخلاف: (1) الوقاية من الخلاف العنيف (violent conflict prevention) وتهدف إلى تفادي نشوب خلاف عنيف؛ (2) تسوية الخلاف (conflict settlement) وتهدف إلى إنهاء السلوك العنيف عبر التوصل إلى اتفاق؛ (3) إدارة الخلاف (conflict management) وتهدف إلى الحد من العنف وتفاديه في المستقبل بترقية تغييرات سلوكية إيجابية لدى الأطراف؛ (4) فضّ الخلاف (conflict resolution) وهو التعامل مع أسباب الخلاف والسعي إلى بناء علاقات جديدة ومتينة بين الأطراف؛ (5) ترشيده الخلاف أو تحويله (conflict transformation) وهو التعامل مع مصادر الخلاف الاجتماعية والسياسية الأوسع والسعي إلى تحويل الطاقة السلبية للعنف إلى تغيير سياسي واجتماعي إيجابي<sup>1</sup>.

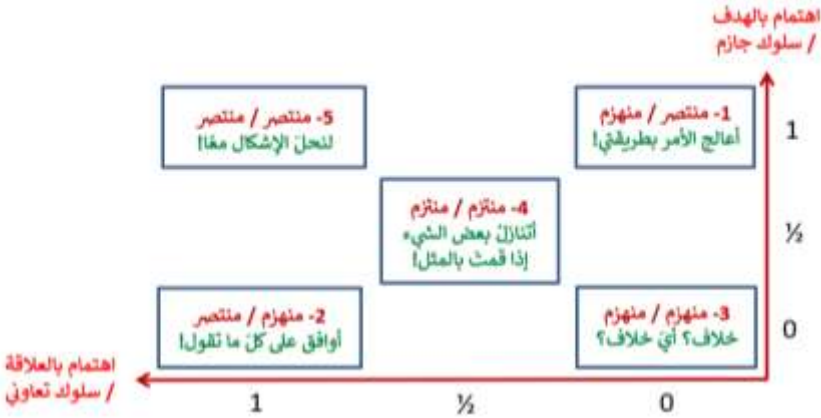
ويستعمل نظام الأمم المتحدة عبارات مماثلة من منطلق السلام: (1) صنع السلام (peace-making) الذي يهدف إلى معالجة خلاف عنيف قائم، وينطوي عادة على عمل دبلوماسي من أجل الوصول بأطراف الخلاف إلى اتفاق عن طريق المفاوضات؛ (2) إنفاذ السلام (peace-enforcement) الذي ينطوي على تطبيق طائفة من

## مقاربات ترشيده الخلاف

التدابير القسرية، بما في ذلك استعمال القوة العسكرية ويتطلب الإذن الصريح من مجلس الأمن؛ (3) حفظ السلام (peace-keeping) الذي يهدف إلى منع عودة العنف بعد تسوية الخلاف؛ (4) بناء السلام (peace-building) الذي يهدف إلى الحد من خطر الانزلاق إلى خلاف عنيف أو العودة إليه، وذلك عن طريق تعزيز القدرات على جميع المستويات لإدارة الخلاف، وإرساء الأساس لسلام وتمية مستديمين.

### 3. مواقف الأطراف من الخلاف

يوضح الشكل الآتي خمسة سيناريوهات لمواقف الأطراف من الخلاف بناءً على تركيزهم إما على الهدف (المحور العمودي/سلوك جازم) أو على العلاقة مع الطرف الآخر (المحور الأفقي/سلوك تعاوني). ويمكن أن يكون التركيز منعدماً (0)، أو جزئياً (1/2) أو كلياً (1).



#### 1- سيناريو "رايح/خاسر" أو "منتصر/منهزم" (win/lose)

في هذا السيناريو يغتري الطرف الأقوى بقوته ويرى أنه قادر على معالجة الأمر بطريقته دون الحاجة إلى الطرف الأضعف. وهو بذلك يفضل التمسك بالهدف على الحفاظ على العلاقة. يتحكم في هذا الموقف منطق التنافس، والرغبة في التحكم والسيطرة

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

والإكراه، والميل إلى استعمال القوة والمواجهة والعنف.

### 2- سيناريو "خاسر/رايح" أو "منهزم/منتصر" (lose/win)

هذا السيناريو يقابل الأول فهو صورة المرآة له. حيث يوافق الطرف الأضعف على كل ما يقوله الطرف الأقوى، ويكون ذلك في الغالب نتيجة الضعف الشديد وعدم التكافؤ، فيكون الموقف حينها تكتيكاً في انتظار توفر القوة اللازمة للمغالبة. لكن قد يكون هذا الموقف نابغاً من منطق الموافقة والتهدئة والتسوية، حيث يرى الطرف الذي يتبناه أن مسألة الخلاف لا تستحق التوتر، فيفضل بذلك الحفاظ على العلاقة مع الطرف الآخر على حساب الهدف.

### 3- سيناريو "خاسر/خاسر" أو "منهزم/منهزم" (lose/lose)

قد يصل الخلاف العنيف بالطرفين إلى الإنهاك والإحباط المشترك فيفضلان الانسحاب وتجاهل الخلاف بينهما وتجنبه والتهرب منه والإبقاء على الوضع الراهن. كما قد يكون الموقف من باب المواربة، أو عن قناعة مشتركة بأن المسألة الخلافية بينهما لا تستحق المجازفة بقطع أو إفساد العلاقة التي تربطهما. وقد يضطر الطرفان إلى مثل هذا الموقف تحت الضغط والتهديد الخارجي.

### 4- سيناريو "راسر/راسر" أو "منتزم/منتزم" (wose/wose)

هذا السيناريو هو ما يُطلق عليه اسم "الحلّ الوسط"، وهو حلّ توافقي يقبل بموجبه كل طرف بالتنازل عن شيء من مطالبه إذا قام الطرف الثاني بالمثل. ويلجأ الطرفان إلى هذا السيناريو عندما تتكافأ قواهما ويقتنع كلاهما بأن لا أفق للنصر، وقد يتم ذلك تحت ضغط خارجي. ويولد هذا السيناريو لدى الطرفين قدرًا من الارتياح وعدم الرضا المتبادل في آن واحد (الإحساس بنصف انتصار ونصف انهزام، أي حالة "انتزام - wose"). وقد يكون انتهاج هذا الموقف تكتيكياً لربح الوقت واستعادة القوة

## مقاربات ترشيده الخلاف

اللازمة لتحقيق الجزء المتنازل عنه من الأهداف.

### 5- سيناريو " راجح / راجح " أو " منتصر / منتصر " (win/win)

هذا هو السيناريو المثالي الذي يحفظ مصالح الطرفين ويحافظ على العلاقة بينهما في نفس الوقت، حيث يصل الطرفان إلى قناعة بأن التوصل إلى الحل يتم بالتعاون والحوار والبحث معاً عن طريقة لتجاوز الخلاف، واستحداث واقع جديد يستوعب إهداف كلا الطرفين المشروعة، يحس فيه كل طرف بأنه منتصر. ويتطلب هذا السيناريو قفزة فكرية وقدرة على التخيل والإبداع، وإلى نظرة متجددة باستمرار.

يُسمى الخطّ المائل الذي يمزّ بالسيناريوهات 3-4-5 مسار السلم.

يعرض الجدول الآتي من تصميم يوهان غالتونغ<sup>2</sup> هذه السيناريوهات.

الرقم	الموقع	المقاربة	النتيجة	العملية
1	0 ، 1	إما الطرف الأول أو الطرف الثاني	انتصار / انهزام	عراك
2	1 ، 0	إما الطرف الأول أو الطرف الثاني	انهزام / انتصار	عراك
3	0 ، 0	لا الطرف الأول ولا الطرف الثاني	انسحاب	تأجيل
4	1/2 ، 1/2	نصف للطرف الأول ونصف للطرف الثاني	حلّ وسط	تفاوض
5	1 ، 1	الطرف الأول والطرف الثاني	تجاوز	حوار

كما يعرض الشكل الآتي السيناريوهات الخمسة بطريقة ماثلة، تضم (1) التنافس؛ إرضاء المصالح الذاتية ولو على حساب مصالح الطرف الآخر؛ (2) القبول: الحرص على الاستجابة لمطالب الطرف الآخر ولو على حساب المصالح الذاتية؛ (3) التجنّب: الالتزام بعدم اتخاذ أي إجراء بشأن الخلاف أو البقاء خارج سياق الخلاف؛ (4) التنازل: تخلي كل طرف عن شيء ما للوصول إلى حلّ؛ (5) التعاون: الوصول إلى حلّ مقبول من طرف جميع الأطراف من خلال الحوار البناء.

## مدخل إلى ترشيده الخلاف



### 4. آليات ترشيده الخلاف

يمكن التعامل مع الخلاف عن طريق العنف أو ترشيده بطرق سلمية. ومحاولة ترشيده الخلاف قد تتم باستعمال إحدى الآليات الثمانية المبينة في الجدول الآتي، منها ما هي أحادية الطرف أي بمبادرة أحد الأطراف دون إشراك الطرف الآخر، ومنها ما هي ثنائية أو متعددة الأطراف أي يشترك فيها الطرفان أو تشترك فيها الأطراف إن كانوا أكثر من اثنين، ومنها ما تتطلب تدخل طرف ثالث.

أحادي الطرف	ثنائي/متعدد الأطراف	طرف ثالث
(1) الرد أو التنازل الحسن	(2) الحوار والممارسة المشتركة	(4) الوساطة
(8) الدفع الحسن وجلب الدعم	(3) التفاوض	(5) التحكيم
		(6) المقاضاة
		(7) التدخل الحسن

مقتبس من عمل كريستوفر مور<sup>3</sup> مع إضافة المقاربات 1، 7 و 8

## 1) الردّ أو التنازل الحسن

الآلية الأولى هي "الردّ أو التنازل الحسن" (good concession) أي مبادرة أحد الأطراف إلى ردّ الحقوق إلى الطرف الآخر، بعد مراجعة النفس والانتباه للخطأ والتوبة، أو إلى التنازل عن بعض الحقوق في سبيل تحقيق السلم والحفاظ على العلاقة الثمينة مع الطرف الآخر. وينبغي أن يكون هذا الموقف نابغاً من قناعة عميقة بأنّ السلم يستحق التضحية ببعض الحقوق وليس شكلاً من أشكال تجنّب الخلاف بسبب نقص القوة اللازمة لاستعادة الحقوق، لأنّ ذلك من شأنه أن يولّد الشعور بعدم الارتياح والمرارة والكراهية وروح الانتقام. هذا السيناريو ممكن ولكنه نادر.

## 2) الحوار والممارسة المشتركة

الآلية الثانية هي "الحوار والممارسة المشتركة" (dialogue and diapraxis) وهي التبادل بين الأطراف بالقول المشترك أو بالفعل المشترك بغية التعارف وكسر الصور النمطية عن الطرف الآخر وأنسنته والإصغاء إليه وبناء الفهم المشترك وتعزيز الثقة المتبادلة. ولا تهدف هذه الآلية بالضرورة إلى الوصول إلى اتفاق والخروج بقرارات وإجراءات قابلة للتنفيذ. الممارسة المشتركة أكبر قدرة على بناء الثقة من الحوار (التحدث) وكما يقول ابن الجوزي في صيد الخاطر "الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول".

## 3) التفاوض

الآلية الثالثة هي "التفاوض" (negotiation) وهي المحادثات بين الأطراف، بمحض إرادتهم وعن قناعة، بغية التوصل إلى اتفاق والتوقيع عليه وتنفيذه، وتلك الغاية هي وجه الفرق بين التفاوض والحوار.

## 4) الوساطة

الآلية الرابعة هي "الوساطة" (mediation)، فعندما يصعب على الأطراف



## مدخل إلى ترشيده الخلاف

الانخراط في الحوار أو التفاوض بمبادرة منهم، يصبح تدخل طرف ثالث لمساعدتهم على ذلك أمرًا ضروريًا. ويُسمى هذا الطرف الثالث وسيطًا. فالوساطة إذن عبارة عن دعم للتفاوض، يقوم به طرف ثالث بموافقة أطراف الخلاف. وقد يكون الدعم مهيكلًا يتدخل فيه الطرف الثالث في العملية والمحتوى، كما قد يكون الدعم غير مهيكل يقتصر فيه دور الطرف الثالث على المساعدة اللوجستية (تسهيل أو تيسير - facilitation).

### (5) التحكيم

الآلية الخامسة هي "التحكيم" (arbitration)، يستمع الحكم المتفق عليه من قبل الأطراف إلى كل طرف ثم يقرر. هذه الآلية تأتي بنتيجة فقط إذا اتفقت أطراف الخلاف على الامتثال لقرار الحكم، لأنه لا يملك آلية لتنفيذ قراره.

### (6) المقاضاة

الآلية السادسة هي "المقاضاة" (law enforcement)، ينظر القاضي في القضية ثم يُصدر حكمًا ويتم تنفيذ الحكم من قبل سلطة/آلية إنفاذ القانون. وقد تمت الإشارة في الفصل الثاني إلى أولوية الصالح على القضاء وإلى قول الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "ردوا الخصوم حتى يصطلحوا، فإن فصل القضاء يورث الضغائن بين الناس"<sup>4</sup>.

### (7) التدخل الحسن

الآلية السابعة هي "التدخل الحسن" لإصلاح ذات البين (good intervention)، عند تعنت أحد الطرفين ورفضه الانخراط في كل الآليات السابقة نظرًا لانعدام التامل، يتدخل طرف ثالث ذو سلطة اعتبارية أو قوة مادية من أجل إقناعه بقبول الدخول في محادثات أو بغية إعادة توازن القوى بين الطرفين، ثم يقوم بوساطة بينهما قائمة على العدل والقسط. وذلك ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ أَقْتُلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَتَّقِيَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٥﴾.

قال الإمام ابن القيم بخصوص هذه الآية في كتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين: "وقد أمر الله سبحانه بالإصلاح بين الطائفتين المقتلتين أولاً فإن بغت إحداها على الأخرى فحينئذ أمر بقتال الباغية لا بالصلح فإنها ظالمة، ففي الإصلاح مع ظلمها هضم لحق الطائفة المظلومة، وكثير من الظلمة المصلحين يصلح بين القادر الظالم والخصم الضعيف المظلوم بما يرضي به القادر صاحب الجاه، ويكون له فيه الحظ، ويكون الإغماض والحيف فيه على الضعيف، ويظن أنه قد أصلح، ولا يمكن المظلوم من أخذ حقه، وهذا ظلم، بل يمكن المظلوم من استيفاء حقه، ثم يطلب إليه برضاه أن يترك بعض حقه بغير محاباة لصاحب الجاه، ولا يشتهه بالإكراه للآخر بالمحاباة ونحوها. [...] فالصلح الجائز بين المسلمين هو الذي يعتمد فيه رضا الله سبحانه ورضا الخصمين؛ فهذا أعدل الصلح وأحقه، وهو يعتمد العلم والعدل؛ فيكون المصلح عالماً بالوقائع، عارفاً بالواجب، قاصداً للعدل، فدرجة هذا أفضل من درجة الصائم القائم."

وقال الإمام السعدي في تفسيره: "هذا أمر بالصلح، وبالعدل في الصلح، فإن الصلح، قد يوجد، ولكن لا يكون بالعدل، بل بالظلم والحيف على أحد الخصمين، فهذا ليس هو الصلح المأمور به، فيجب أن لا يراعى أحدهما، لقراية، أو وطن، أو غير ذلك من المقاصد والأغراض، التي توجب العدول عن العدل."

وقال الإمام الرازي في تفسيره بخصوص 'فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا': "قال ههنا 'فأصلحوا بينهما بالعدل' ولم يذكر العدل في قوله 'وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا'. نقول لأن الإصلاح هناك بإزالة الاقتتال نفسه، وذلك يكون بالنصيحة أو التهديد والزجر والتعذيب، والإصلاح ههنا بإزالة آثار القتل بعد اندفاعه من ضمان المتلفات وهو حكم فقال 'بالعدل'، فكأنه قال: واحكموا بينهما بعد تركهما

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

القتال بالحق وأصلحوا بالعدل مما يكون بينهما، لئلا يؤدي إلى ثوران الفتنة بينهما مرة أخرى."

تجدد الإشارة في هذا المقام إلى مثالي تاريخي مرتبط بالحريين العالميتين الأولى (1914-1918) والثانية (1939-1945). فعندما انتصر الحلفاء على ألمانيا في نهاية الحرب العالمية الأولى و"فأت" ألمانيا، جاءت مرحلة الصلح فكان صلحًا جائرًا في حق الألمان تمثل في معاهدة فرساي التي وقعت عليها ألمانيا مُرغمَةً في 28 يونيو 1919، ولم يراع الحلفاء حينها مبدأ الإصلاح بالعدل والقسط. فلم يمرَّ عقدٌ من الزمن حتى استعادت ألمانيا قوتها العسكرية وأعدت الكثرة انتقامًا ممن تسبَّب في إهانتها في 1919 واسترجاعًا لحقوقٍ مسلوقة، فاندلعت الحرب العالمية الثانية بما شهدته من كوارث إنسانية.

إنَّ العالم الإسلامي بأمس الحاجة لطرف نزيه، ذي سلطة اعتبارية وقوة مادية، يتكفل بالتدخل الحسن لترشيده الخلافات بين الدول الإسلامية وداخلها، ويعمل، بكلِّ تجرّد، على إقناع الأطراف المتعنتة للانخراط في الحوار والممارسة المشتركة، من أجل إيجاد حلول سلمية للخلافات التي تنخر جسم الأمة. وإنَّ مثل هذا الدور يمكن أن تقوم به منظمة التعاون الإسلامي بإنشاء هيئة متخصصة في ترشيده الخلاف وبناء السلم تُزوِّد بالموارد البشرية والوسائل المادية والخبرات التقنية اللازمة لهذا الغرض.

### 8) الدفع الحسن وجلب الدعم

الآلية الثامنة هي "الدفع الحسن وجلب الدعم" لاستعادة توازن القوى (non-violent resistance/ advocacy)، في حالة عدم التماثل الحاد للقوة بين الطرفين وغياب تدخل طرف ثالث له القدرة على التأثير، تهدف المقاومة اللاعنفية إلى إعادة توازن القوى باستخدام الموارد الداخلية، وتهدف المناصرة إلى تعبئة الدعم الخارجي للطرف الأضعف.

## 5. خلاصة

تمت العديد من أشكال التجاوب مع الخلاف يُطلق عليها الخبراء عبارات "الوقاية من الخلاف العنيف" و"تسوية الخلاف" و"إدارة الخلاف" و"فضّ الخلاف" و"ترشيد الخلاف"، ولهذه العبارات مقابلات في نظام الأمم المتحدة وهي "صنع السلام" و"إنفاذ السلام" و"حفظ السلام" و"بناء السلام". ولكل شكل من الأشكال هدف محدّد في التعامل مع مسببات الخلاف وجذوره وأعراضه وتداعياته. كما أنّ ديناميكية الخلاف وتطوّر مساره مرتبط بمواقف الأطراف من الخلاف وميلهم إلى مقارنة دون الأخرى ومدى تركيزهم على الهدف الذي يريدون تحقيقه أو على العلاقة مع الطرف الآخر، وتتراوح هذه المواقف بين التنافس، والقبول، والتجنّب، والتنازل، والتعاون، ولا شكّ أنّ الموقف الأخير هو أفضل سبيل لفضّ الخلاف، يضمن المصالح المشروعة للأطراف ويحافظ على العلاقة بينهم ويسمح بتجاوز الخلاف عن طريق الحوار الذي يفضي إلى حالة "راج/راج" أو "منتصر/منتصر". وثمة آليات للتعامل مع الخلاف وترشيده بطرق سلمية منها ما هو أحادي الطرف (الردّ أو التنازل الحسن؛ الدفع الحسن وجلب الدعم)، ومنها ما هو ثنائي الطرف أو متعدّد الأطراف (الحوار والممارسة المشتركة؛ التفاوض)، ومنها ما يتطلّب تدخّل طرف ثالث (الوساطة؛ التحكيم؛ المقاضاة؛ التدخّل الحسن).

مدخل إلى ترشيده الخلاف

---

---

## الفصل السابع

### عمليات التفاوض والوساطة

---

---

#### المحتويات

110.....	1. مقدمة
110.....	2. التفاوض
111.....	1.2. شروط نجاح التفاوض
112.....	2.2. مقارنة مدرسة هارفارد للتفاوض
114.....	3. الوساطة
114.....	1.3. شروط نجاح الوساطة
116.....	2.3. أشكال الوساطة وخصائص الوسيط
123.....	3.3. ضرورة تحليل الخلاف قبل تصميم عملية الوساطة
124.....	4.3. مراحل الوساطة
126.....	4. فضاء الوساطة الآمن
126.....	1.4. التعريف
128.....	2.4. التصميم
130.....	3.4. أمثلة عملية
139.....	5. خلاصة

## 1. مقدمة

التفاوض مهارة يتدرّب عليها الإنسان منذ نعومة أظفاره. فالصبي يبدأ تجاربه في التفاوض مع أقرانه بخصوص تقاسم الألعاب، ومع والديه لما يرغب في الحصول على شيء ما. ويستمرّ في شحذ مهارات التفاوض مع مرور الوقت في السياقات العائلية والدراسية والمهنية. وذلك ما يجعل لديه حدًا أدنى من القدرة على التعامل مع الخلاف عند وقوعه. غير أنه في كثير من الأحيان يعجز أطراف الخلاف على الجلوس على مائدة التفاوض مثلًا لانقطاع التواصل المباشر بينهم، فيحتاجون إلى طرف ثالث يقوم مقام الوسيط الذي يسهّل عملية التفاوض بينهم. وقد حظيت عمليات التفاوض والوساطة التي تخصّ العديد من المجالات الخاصة والعامة (العائلية، التجارية، السياسية، إلخ.) بالعناية من طرف العديد من الباحثين الذي طوّروا إطارًا نظريًا بناءً على التجارب المتراكمة، وحدّدوا مبادئ وشروطًا لنجاح التفاوض والوساطة وهذا هو موضوع هذا الفصل.

## 2. التفاوض

تمّ في الفصل السابق التعريف الاصطلاحي للتفاوض على أنه محادثات بين أطراف الخلاف، بمحض إرادتهم وعن قناعة، بغية التوصل إلى اتفاق والتوقيع عليه وتنفيذه، وأنه يختلف عن الحوار كون هذا الأخير يهدف إلى التعارف وبناء الفهم المشترك وتعزيز الثقة المتبادلة، وليس بالضرورة إلى الوصول إلى اتفاق والخروج بقرارات وإجراءات قابلة للتنفيذ. كما يميّز التفاوض كآلية من آليات فض الخلاف عن آليات الوساطة والتحكيم في عدم اللجوء إلى طرف ثالث يشارك في المحادثات، وإذا وُجد مسهّل للتفاوض بين أطراف الخلاف فإنّ دوره يقتصر على توفير الاستشارة التقنية والدعم اللوجستي لعملية التفاوض. وهناك العديد من التعريفات لمفهوم التفاوض نذكر منها على سبيل المثال التعريف الذي قدّمه روجر فيشر وزملاؤه في كتابهم الشهير "الوصول إلى نعم: التفاوض للوصول إلى اتفاق دون استسلام"<sup>1</sup> والذي يعتبر التفاوض وسيلة أساسية للحصول على ما يريده طرف من طرف آخر، وتبادل

## عمليات التفاوض والوساطة

مصمّم للتوصّل إلى اتفاق عندما يكون لدى الطرفين مصالح بعضها مشترك وبعضها متضارب.

### 1.2. شروط نجاح التفاوض

ثمة عدة شروط ضرورية لنجاح أيّ تفاوض بين أطراف الخلاف تشمل أولاً: سلوك التفاوض أي استعداد الأطراف ونظرتها ومقارباتها للتفاوض؛ ثانياً: مضمون التفاوض أي المواقف والمصالح والأهداف المطروحة للتفاوض؛ ثالثاً: عملية التفاوض، أي كيفية التفاوض ومن يشارك فيه وبرعاية من. وفيما يلي خمسة شروط ينبغي أن تتوقّر لنجاح التفاوض وهي التكافؤ والمشروعية والتمثيلية والشرعية والمرجعية.

(1) **التكافؤ:** أهم شرط لنجاح التفاوض هو توقّر النية الحسنة والإرادة القوية والجاهزية الفعلية لدى جميع الأطراف. ولا يتحقق ذلك إلا إذا شعر الجميع بترابط مصالحهم ببعضها البعض ويكون بعض المصالح الذاتية تُصان بشكل لا يتم إلا بواسطة التفاوض، وأنه ليس ثمة بديل أحسن من اتفاق يتم عبر التفاوض ( Best Alternative to a Negotiated Agreement - BATNA ) مع الانتباه إلى احتمال وجود بديل أسوأ من اتفاق يتم عبر التفاوض ( Worst Alternative to a Negotiated Agreement - WATNA ).

(2) **المشروعية:** لا بد من النظر في مشروعية الأهداف والمصالح وقابليتها للتفاوض. فمن القضايا ما يمكن طرحه للتفاوض ومنها ما هو غير قابل للتفاوض أصلاً، مثل الحاجيات الأساسية للفرد والمجموعة ومنها المأمن والمأكل والمشرب والملبس والملجأ، إلخ. وأيضاً الحق في الحرية وفي احترام الهوية.

(3) **التمثيلية:** تمثيلية الأطراف (وليس دائماً طرفين فقط) أمر حيوي في أيّ خلاف، فغياب أحد الأطراف الأساسية أو الثانوية، المعنية بمخرجات التفاوض، يمكن أن ينعكس سلباً على أيّ اتفاق يمكن أن تتوصّل إليه الأطراف الحاضرة في التفاوض.



## مدخل إلى ترشيده الخلاف

(4) **الشرعية:** من الضروري توفر الشرعية لدى المفاوض الذي يجب أن يكون مفوضاً من أصحاب الحق، يمتلك سلطة شرعية للتفاوض وهذا يعزز موقفه تجاه الأطراف الأخرى. كما أنّ انعدام الشرعية يجعل أيّ اتفاق تتوصل إليه الأطراف صعب التنفيذ من طرف الجهة التي يمثلها المفاوض.

(5) **المرجعية:** المرجعية هي مجموعة النصوص والمؤسسات المتفق عليها سلفاً والتي يلجأ إليها المفاوض لتحديد موقفه تجاه ما يطرأ من أحداث ومواقف في مسار التفاوض، وهي البوصلة التي تحمي المفاوض من الضياع في متاهات التفاوض والحياد عن الإطار العام الذي حدّدته له الجهة المفاوضة.

### 2.2. مقارنة مدرسة هارفارد للتفاوض

قد تسقط أطراف الخلاف في فخ التفاوض المستند على المواقف وهو ما يُسمّى بالتفاوض الصفري، فكما تمّ تناوله في فصل سابق، لا يتيح التمسك بالموقف فضاءً للتوفيق بين أهداف الأطراف ولا يُفضي إلا إلى حالة راجح-خاسر (منهزم-منتصر). فما يربحه طرف يخسره الطرف الآخر وهذه معادلة صفرية. وهذا النوع من التفاوض يعتمد أساساً على منطق التهديد والمساومة ولا يصلح للتفاوض إلا حول مسألة وحيدة ولمرة واحدة ويفضي إلى تدمير العلاقة بين الأطراف.

أمّا التفاوض المرتكز على المصالح وهو ما يُسمّى بالتفاوض التكاملي الذي يُعرف أيضاً بمقاربة هارفارد، فهو أقدر على المحافظة على العلاقة بين الأطراف دون التضحية بمصالح أيّ طرف. وبإمكان هذه المقاربة التوصل إلى حالة راجح-راجح (منتصر-منتصر). وتفترض هذه المقاربة بأنه يمكن حلّ الخلاف عندما تتجاوز الأطراف مستوى المواقف (ما يقول كلّ طرف إنه يريد) وترتكز على المصالح (لماذا يريد كلّ طرف ما يقول إنه يريد)، وعندما يعملون على تطوير معايير مقبولة من طرف الجميع للتعامل مع الخلاف.

وتحدّد مدرسة هارفارد أربعة مبادئ للتفاوض<sup>2</sup> وهي:

## عمليات التفاوض والوساطة

(1) **فصل الشخص عن المشكل:** لتفادي أن تؤثر طبيعة العلاقة بين الأطراف على مخرجات عملية التفاوض. يمكن مثلاً أن يكون للطرف (أ) علاقة جيّدة بالطرف (ب) فيدفعه ذلك إلى اتباع سيناريو "خاسر/ راجح" أو "منهزم/منتصر" حفاظاً على العلاقة مع الطرف الآخر على حساب هدفه. وقد يكون للطرف (أ) علاقة سيّئة بالطرف (ب) فيدفعه ذلك إلى انتهاز سيناريو "راجح/خاسر" أو "منتصر/منهزم" والميل إلى استعمال القوة والمواجهة. فصل الشخص عن المشكل معناه أنّه يتعيّن على الطرف المتفاوض أن يكون صارماً في التفاوض حول هدفه المشروع بدون استعداد الطرف الآخر واعتباره شريكاً في عملية التفاوض وليس عدواً. ومن فائدة الطرف (أ) أن يصغي إلى الطرف (ب) ويحاول معرفة مصالحه وأحاسيسه وصوره الذهنية.

(2) **التركيز على المصالح وليس على المواقف:** الموقف هو ما يقول الطرف أنه يريد، أي ما يصرّح به. أمّا المصلحة فهي الدافع إلى التصريح، أي تكمن في الإجابة على السؤال: لماذا يريد الطرف ما يقول إنه يريد؟ وقد تخفي وراء الموقف الواحد عدة مصالح، كما أنّ ثمة أكثر من موقف يمكن أن يعبر به عن المصلحة الواحدة. والتركيز على المصالح عوض المواقف يسهّل عملية التفاوض بشكل ملحوظ.

(3) **الاتفاق على معايير موضوعية:** هذا المبدأ يحول دون الهرولة إلى التفاوض حول حلّ واحد قد يصعب عملية التفاوض ويحدّ من نوعية المخرجات التي قد تكون في أحسن الأحوال سيناريو "راسر/راسر" أو "منتزم/منتزم" أي ما يُطلق عليه اسم "الحلّ الوسط". فمن الضروري عدم سدّ أفق الحلول والاكتفاء بحلّ واحد بل بلورة معايير موضوعية ومقاييس مستقلة عن الأهواء والرغبات تحدّد شروط قبول أيّ حلّ تفاوضي.

(4) **بلورة خيارات متعدّدة:** عدم تقديم خيار واحد للتفاوض. تحديد المعايير الموضوعية يفتح المجال للعديد من الحلول التي تقترحها الأطراف والتي يمكن مناقشتها والتأكد من تلبيتها لشروط القبول، ومن الأسهل العثور في مجموعة الحلول المقترحة خياراً تقبله

جميع الأطراف ويحقق سيناريو راجح-راجح (منتصر-منتصر).

### 3. الوساطة

قد لا تتمكن أطراف الخلاف من الانخراط في عملية تفاوض لوحدهم فيحتاجون إلى مساعدة خارجية ويلجأون إلى جهة راعية للتفاوض هي الوسيط، وتسمى العملية حينئذ وساطة. فإذن الوساطة ليست سوى تفاوض بين أطراف الخلاف التي تبقى هي المسؤولة عن المحتوى بمساعدة طرف ثالث يأخذ على عاتقه السهر على حسن سير العملية بتوفير الشروط الضرورية والأجواء المواتية وتحفيز الأطراف للتقدم في المسار.

#### 1.3. شروط نجاح الوساطة

ثمة العديد من المواصفات التي يجب أن يتحلّى بها الوسيط ليكون لعملية الوساطة حظ في النجاح منها:

(1) الإرادة: توفر إرادة الإصلاح لدى الوسيط، القائمة على النية الصحيحة والعزيمة الصادقة، أمرٌ ضروري وشروط أساسي لنجاح عملية الوساطة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَبِيرًا﴾<sup>3</sup> فالتوفيق في المهمة مرهون بإرادة الإصلاح. ومن الصعب على الوسيط النجاح في مهمته إذا اعتبرها واجباً مهنياً فقط يقوم به في إطار وظيفته دون الانخراط في عملية الوساطة بوجدانه. ولعلّ فشل كم هائل من الوساطات على كافة المستويات مرده أنّها أوكلت إلى بيروقراطيين.

(2) التجرد: أي غياب أي مصلحة ذاتية، مادية أو معنوية، مباشرة أو غير مباشرة، للوسيط قد تنبثق عن التفاوض، فيكون بذلك همته الوحيد هو فض الخلاف وإحلال السلم.

(3) المصداقية: مصداقية الوسيط أمر أساسي يحدّد مقبوليته لدى الأطراف وبالتالي

## عمليات التفاوض والوساطة

نتيجة المفاوضات. وتُبنى المصدقية مع الوقت خلال مرحلة المحادثات التمهيدية للبدء في عملية الوساطة.

(4) **المعرفة:** لا بد للوسيط من التمكن من مهارات التفاوض والوساطة وعلى وجه الخصوص آليات تصميم مسار الوساطة الذي يحدّد بدرجة كبيرة نتيجة العملية، كما لا بدّ للوسيط من الإلمام بسياق الخلاف ومعرفة خريطته (أطرافه ومسائله وأهداف كلّ طرف، وديناميكية الخلاف، إلخ).

(5) **التواضع:** غرور الوسيط بقدرته على فضّ الخلاف من المواقف التي تؤدي في كثير من الأحيان إلى فشل عملية الوساطة.

(6) **عدم التحيز:** عدم انحياز الوسيط إلى طرف من أطراف الخلاف أمر أساسي. وعدم التحيز لا يعني الحياد أي الوقوف على مسافة واحدة فكرياً وعاطفياً من كافة الأطراف فذلك شيء شبه مستحيل، أما يعني معاملة كلّ الأطراف بعدل ومساواة.

(7) **القدرة:** لا بدّ للوسيط من القدرة - أو الدعم من طرف جهة لها القدرة - على التأثير على مسار الوساطة، قبل انطلاق الوساطة في حالة الخلافات غير المتماثلة لإقناع الطرف المنتعّث بالجلوس على مائدة التفاوض، وأثناء التفاوض لحث الأطراف وتشجيعهم على بذل الجهد لتجاوز العقبات التي قد تواجه العملية، وبعد التوصل إلى اتفاق من أجل إقناع الأطراف بضرورة احترام التزاماتهم وتنفيذ تعهّدهم.

(8) **التريث:** عملية الوساطة قد تطول ويحتاج الوسيط فيها إن نفس طويل والقدرة على الصبر لتجاوز العقبات التي قد تطرأ أثناء المسار.

(9) **المرونة:** من أهم ما يميّز الوسيط الناجح قدرته على التأقلم مع المتغيّرات وإعادة النظر في المقاربة وتجريب طرق بديلة حسب تطوّر ديناميكية الخلاف ومواقف الأطراف.

(10) **الإبداع:** القدرة على الإبداع لدى المتفاوضين ولدى الوسيط ضرورية لاقتراح

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

حلول مبتكرة لتجاوز الخلاف وترشيده وتخييل واقع جديد تشعر فيه جميع الأطراف أنها ضمنتم مصالحها المشروعة.

(11) **الوفاء بالوعود:** على الوسيط أن لا يعدّ الأطراف بشيء إلا إذا كان متيقنًا من قدرته على تحقيقه، فعجزه عن الوفاء بوعوده يضرب مصداقيته ومقبوليته لدى أطراف الخلاف.

بناءً على ما سبق، فمن بين الخطايا المميّزة<sup>4</sup> للوساطة: (1) فتور الإرادة و (2) عدم التجردّ و (3) انعدام المصداقية و (4) الجهل و (5) الغرور و (6) التحيز و (7) العجز و (8) العجلة و (9) عدم المرونة و (10) عدم القدرة على الإبداع و (11) الوعود الكاذبة.

### 2.3. أشكال الوساطة وخصائص الوسيط

عكف الباحثون<sup>5</sup> في مجال الوساطة على دراسة التجارب السابقة واستخراج خصائص الوسيط واستنباط أشكال الوساطة، واقترحوا عددًا من العوامل التي يمكن اعتبارها لتصنيف عملية الوساطة.

— **الوساطة بتفويض / بلا تفويض:** يمكن للوسيط (فردًا كان أم منظمة) أن يكون معتمدًا، أي مفوضًا من جهة حكومية أو إقليمية أو دولية، كما قد يكون غير معتمد لا يملك أيّ تفويض وفي كلتا الحالتين يحتاج الوسيط إلى قدر كاف من المقبولية لدى أطراف الخلاف لا يمكنه بدونها القيام بمهمته.

— **الوساطة الرسمية / غير الرسمية:** يمكن للوسيط أن يكون رسميًا أو غير رسمي، وعادة ما يبدأ مسار الوساطة بمرحلة غير رسمية لاستكشاف إمكانية الوساطة والتواصل بأطراف الخلاف وبناء الثقة لديهم وسبر آرائهم بخصوص استعدادهم لعملية وساطة، وقد تنتهي المرحلة غير الرسمية بإطلاق مسار رسمي للوساطة قائم على قواعد وإجراءات متفق عليها. ويمكن حتى في حالة بداية مسار رسمي للوساطة إطلاق أو

## عمليات التفاوض والوساطة

الإبقاء على مسار غير رسمي موازٍ ومكتمل. وقد تجري عمليات الوساطة المتوازية على مستويات مختلفة: المسار 1 والمسار 2 مثلاً.

— **الوساطة على المسار 1 / المسار 2 / المسار 3:** يمكن للوساطة أن تَمَسَّ المسار الأول (Track 1) وتُشرك القيادات العليا لأطراف الخلاف أي ممثلين عن الحكومة وقيادة القوات المسلحة والفاعلين السياسيين والدينيين البارزين. وقد تَمَسَّ المسار الثاني (Track 2) وتُشرك القيادات المتوسطة لأطراف الخلاف من نخب ومؤثرين في صناعة القرار (ممثلو المجتمع المدني والأكاديميون والمثقفون والزعماء الدينيون وقادة الأعمال، إلخ.). كما قد تَمَسَّ المسار الثالث (Track 3) وتُشرك الجهات الفاعلة على مستوى القاعدة. والأمثل أن تَمَرَّج عملية الوساطة مختلف المسارات المتكاملة.

— **الوساطة الفردية / الجماعية:** قد تكون الجهة الراعية للتفاوض عبارة عن وسيط بمفرده أو فريق وساطة، حسب حجم وتعقيد الخلاف القائم. ففي بعض الخلافات تقسّم المسائل محلّ التفاوض على عدة وسطاء يقوم بالتنسيق بينهم كبير الوسطاء المشرف على عملية الوساطة برمتها. من مزايا الوساطة الجماعية أنها تمكن من تصميم عملية وساطة مشتركة ومتوازنة.

— **الوساطة الداخلية / الخارجية:** قد يكون الوسيط داخلياً أو خارجياً، حسب المسافة الجغرافية أو السياسية أو الأيديولوجية أو الثقافية التي تفصله عن الخلاف وأطرافه. يكون الوسيط الخارجي أقلّ تأثراً بالخلاف وتبعاته وبمخرجات عملية الوساطة من الوسيط الداخلي. في بعض الحالات يفضّل أطراف الخلاف اللجوء إلى وسيط داخلي لقربه (الجغرافي أو الثقافي) منهم ومعرفته الواسعة بالسياق، وفي حالات أخرى يفضلون وسيطاً خارجياً بعيداً عن الخلاف وينظر إليه بعين مجرّدة من أي اعتبارات قد تؤدّي إلى انحيازه. من البديهي أنّ الوسيط الداخلي يجب عليه أن يتحلّى بعدم التحيز ومعاملة كلّ الأطراف معاملة عادلة، حتى وإن كان غير محايد، أي له ميل فكري أو عاطفي نحو أحد الأطراف. كما ينبغي على الوسيط الخارجي

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

أن يستعين بخبراء داخليين محيطين بالسياق.

— الوسيط المنخرط / النائي: الوسيط المنخرط في العملية هو الوسيط المحرك للعملية الذي يقوم بكل ما بوسعه من أجل التقدّم في مسار الوساطة وبيادر إلى اقتراح أفكار على الأطراف من أجل تجاوز العقبات التي قد تعترض العملية. أما الوسيط النائي فهو أقلّ مبادرة ويضع نفسه في خدمة الأطراف ويستجيب لطلبهم عندما يكونون بحاجة إلى استشارة، لكنه لا يقوم بدور محوري في عملية الوساطة.

— الوساطة التي تركز على تحويل العلاقات / توفيق المصالح: قد يكون تركيز الوسيط في مسار الوساطة على ترميم العلاقات بين الأطراف، وقد يكون تركيزه على التوفيق بين مصالحهم المتضاربة. وكما تمت الإشارة إليه في فصل سابق فإنّ السيناريو المثالي "راج/راج" أو "منتصر/منتصر" هو الذي في نفس الوقت يحفظ مصالح الأطراف ويحافظ على العلاقة بينهم.

— الوساطة الخالصة (ترشيده الخلاف) / المصحوبة بعضلات أو بشيكات (المساومة على أساس القوة)<sup>6</sup>: الوسيط الذي يتبنّى نهج ترشيده الخلاف يعمل على تشجيع الأطراف على النظر في احتياجاتهم ومصالحهم الحقيقية واستكشاف السبل التي يمكن من خلالها تلبية هذه المصالح. ويختار الوسيط في حالة الوساطة الخالصة مقارنة جامعة يشجّع الأطراف على اللقاء والتبادل حول مسألة الخلاف والعمل معاً على إيجاد حلول مقبولة لدى الجميع. تسمى أيضاً هذه المقاربة بالوساطة المحايدة منخفضة القوة، أو بأسلوب الوساطة التيسيري الذي وإن كان يأخذ وقتاً طويلاً نسبياً للتوصل إلى اتفاق بين الأطراف فهو يعمل على خفض التوتر بينهم على المدى الطويل ويؤدي إلى سلم مستديم. وعادةً ما يُستعمل هذا الشكل من الوساطة في المسار 2.

أمّا الوسيط الذي يتبنّى نهج المساومة على أساس القوة فيقوم بوضع صفقة بين الأطراف ويستخدم الضغط (العضلات) والإغراء (الشيكات) للحصول على قبولها، وعادةً ما يلجأ الوسيط في هذه الحالة إلى الدبلوماسية المكوكية حيث يتنقل بين

## عمليات التفاوض والوساطة

الأطراف محاولاً سدّ الفجوة بين مواقف الأطراف. تسمى أيضاً هذه المقاربة بالوساطة مرتفعة القوة، أو بأسلوب الوساطة التوجيهي الذي يسرّع في التوصل إلى اتفاق بين الأطراف غير أنه لا يفضي حتماً إلى سلم مستديم. وعادةً ما يُستعمل هذا الشكل من الوساطة في المسار 1.

ثمّة العديد من الأمثلة عن الوساطة المصحوبة بعضلات لعلّ أوضحها الوساطات التي جرت في سياق تفكّت فدرالية يوغسلافيا السابقة. الوساطة الأولى هي المتعلقة بالحرب في البوسنة والهرسك، والتي قام بها الوسيط الأمريكي ريدشارد هولبروك (Richard Holbrooke)، تحت إشراف وزير الخارجية الأمريكي وارن كريستوفر (Warren Christopher)، وبجانبه الدبلوماسي السويدي كارل بيلدت (Carl Bildt) ممثلاً للطرف الأوروبي. كان هولبروك معروفاً بطبعه الغليظ في تسيير الوساطات وباستعمال منطق العصا والجزرة. أفضت عملية الوساطة إلى التوقيع في نهاية 1995 على اتفاقية الإطار العام للسلام في البوسنة والهرسك المعروفة باسم اتفاقية "دايتون" للسلام. لم يكن ممثلاً الرئيس البوسني علي عزت بيغوفيتش (Alija Izetbegović) راعياً في التوقيع على الاتفاقية، لكنه في النهاية وقع عليها مرغماً تحت ضغط القوة العسكرية للحلف الأطلسي والقوة الدبلوماسية للولايات المتحدة الأمريكية. فحسب ما أدلى<sup>7</sup> به الوسيط الأوروبي الوزير الأوّل ووزير الخارجية السويدي السابق كارل بيلدت، ساعد تدخل الحلف الأطلسي على جلب الوفد البوسني إلى طاولة المفاوضات لأنهم كانوا الأكثر تردّداً في التفاوض حيث كانوا



في حالة استرجاع القوة وأرادوا إذاً استغلال ميزان القوة الجديد من أجل المطالبة باستعادة بعض ما فقدوه. ولذلك يروى عن علي عزت بيغوفيتش قوله "لقد وقّعتُ



## مدخل إلى ترشيده الخلاف

على اتفاقية دايتون وقلبي ينزف دمًا"، لوعيه بأنه وقع مرغمًا وهو في حالة ضعف.

عملية الوساطة الثانية هي التي قام بها معًا الوسيطان الفنلندي مارتي آهتيساري (Martti Ahtisaari) والروسي فيكتور تشيرنومييردين (Viktor Chernomyrdin)



على (Chernomyrdin) لفض الخلاف على كوسوفو، حيث قاما بزيارة لبلغراد بتاريخ 2 يونيو 1999، والتقى بالرئيس الصربي سلوبودان ميلوشيفيتش (Slobodan Milošević)، وكان الأمريكان قد تمكنوا من الحصول على دعم الرئيس الروسي

بوريس يلتسين (Boris Yeltsin) الذي لم يمانع من تدخل الحلف الأطلسي في معالجة أزمة كوسوفو. وحسب التقارير الإعلامية التي كشفت عن تفاصيل<sup>8</sup> اللقاء فقد تم تكليف آهتيساري بإيصال رسالة الحلف الأطلسي إلى ميلوشيفيتش وإقناعه بالتوقيع على الخطة الدولية للسلام في كوسوفو. أجاب ميلوشيفيتش آهتيساري: "وماذا يحصل لو لم أوقع؟" فكان رد آهتيساري، الذي تحصل لاحقًا على جائزة نوبل للسلام لعام 2008، أن قام بحركة يدٍ على الطاولة وأبعد المزهرية التي كانت في الوسط وقال: "ستصبح بلغراد مثل هذه الطاولة. سنبدأ على الفور في القصف البساطي (carpet bombing) لبلغراد"، أعاد حركة مسح الطاولة بيده وقال "هذا ما سنفعله ببلغراد". مرّت لحظة صمت ثم أضاف: "سيكون هناك نصف مليون قتيل في غضون أسبوع". تأكّد ميلوشيفيتش من صمت الوسيط الروسي تشيرنومييردين أنّ الحكومة الروسية لن تفعل شيئًا لردع الحلف الأطلسي فوافق مرغمًا على التوقيع على الخطة الدولية للسلام في كوسوفو.

لا شك أنّ الوصول إلى اتفاق بين الأطراف بناءً على قناعة ضامنٍ لاستمرارية واستدامة الاتفاق. فالإقناع يؤدي عبر عملية فكرية إلى تغييرٍ في الاتجاه السلوكي والموقف مما يؤدي بدوره إلى تغييرٍ راسخٍ في السلوك. أما الاتفاق الناتج عن الضغط

## عمليات التفاوض والوساطة

والإغراء فلا يؤدي في أحسن الأحوال سوى إلى شبه سلم مفروضٍ سريع الزوال، لأنَّ الاتجاه السلوكي والموقف للأطراف التي تنخرط فيه قد يكونان من منطلق تكتيكي ظرفي للحصول على مغامم على مستوى ميزان القوى على الأرض أو مكاسب سياسية أو مالية.

— **الوساطة المتوازنة:** إذا كانت أطراف الخلاف من خلفيات مختلفة (عائلية، عشائرية، أيديولوجية، سياسية، ثقافية، إلخ) فمن الضروري الأخذ بالاعتبار نظرهم إلى الوسيط وتقييمهم لمدى قربه من مختلف الأطراف، وقد يحدث أن لا يثق أحد الأطراف في الوسيط لاعتباره أقرب إلى الطرف المقابل. فإحدى الطرق لتجاوز هذه العقبة تتمثل في أن يقوم برعاية التفاوض فريقٌ مكوّن من وسطاء ينتمون إلى الخلفيات المختلفة للأطراف، فتطمئن الأطراف وتختفي الريبة وتسكن النفوس. وهذا ما تفيد به الآية الكريمة في التعامل مع الخلافات الزوجية: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾<sup>9</sup> بحيث يحس كل طرف أن له تمثيل في فريق الوساطة.

من أمثلة الوساطة المتوازنة ثقافياً<sup>10</sup> ما قام به معهد قرطبة للسلام بجنيف في بداية 2006 عقب أزمة الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم.



**السياق:** نشرت يومية Jyllands-Posten الدانماركية في 30 سبتمبر 2005 رسوماً كاريكاتورية مسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، تحت عنوان "وجه محمد". جرت مظاهرات لما يقارب خمسة آلاف مسلم في الدانمارك. قامت العديد من الجرائد بإعادة نشر الصور، مما أدى إلى انتشار الغضب الشعبي في العالم الإسلامي. رفض الوزير الأول الدانماركي أندرس فوغ راسموسن ( Anders Fogh )

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

(Rasmussen) استقبال السفراء العرب بما أدى إلى تأزم الوضع. وقعت إثر ذلك مظاهرات تخللتها أعمال عنف في عدد من العواصم الإسلامية، كما أطلقت حملة مقاطعة للبضائع الدانماركية في العالم العربي.



**المسار:** قام معهد قرطبة للسلام بجنيف في 13 فبراير 2006 بوساطة بين وفد حكومي دانماركي ووفد من العالم الإسلامي. كان الوفد الحكومي الدانماركي مكلّفًا من وزارة الخارجية وضمّ سفيرًا وأسقفًا وأكاديميًا متخصصًا في الدراسات الإسلامية.

وكان وفد العالم الإسلامي مفوضًا من عدّة منظمات أهلية، أهمها الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين واللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء والحملة العالمية لمناهضة العدوان. أدار الوساطة فريق يضمّ وسيطًا مسلمًا (مدير المعهد) ووسيطًا نصرانية (برلمانية من جنيف مستشارة للمعهد). اتخذ الوفد الدانماركي مستشارًا عربيًا مسلمًا (طارق رمضان) واتخذ الوفد الإسلامي مستشارًا نرويجيًا (يوهان غالتونغ). ساعد تصميم الوساطة بهذا الشكل على ضمان تبادل سهل وودّي، حيث عبر كل طرف عن أحاسيسه وأهدافه ومخاوفه بأريحية مطمئنًا للعملية. كان الميسّران المشاركون مفيدان في بناء الثقة وساهم المستشاران في مساعدة الأطراف على فهم وجهة نظر الطرف الآخر وإقناعه.

— **أشكال أخرى من الوساطة:** هناك أشكال أخرى للوساطة مثل التسهيل أو التيسير حيث قد لا يتعدى دور الميسّر أحيانًا توفير الوسائل المادية واللوجستية الضرورية لعملية التفاوض دون التدخل في المضمون ولا في تصميم المسار. وثمة المساعي الحميدة أين تبادر شخصية أو مجموعة من الشخصيات العامة التي لها وزن اعتباري وتحظى باحترام الجميع إلى لقاءات مكوكية بين الأطراف من أجل التوفيق

## عمليات التفاوض والوساطة

بينهم. وهناك ديوان المظالم الذي قد يتكفل بدور الوسيط.

— **فضاءات الوساطة:** إلى جانب أشكال الوساطة المذكورة ثمة فضاءات مختلفة إذا تم تصميمها جيداً وتم ضمان الطابع الجامع لممثليين عن كل الأطراف، يمكن أن تصبح فضاءات وساطة مفيدة في ترشيدهم للخلاف. مثل ذلك جلسات التحليل المشترك التي يمكن أن تقوم بها مجموعة مختلطة من فاعلين ينتمون إلى كافة أطراف الخلاف، التي غالباً ما تساهم في التقريب بين سرديات الأطراف ورواياتهم للخلاف. وثمة دورات التدريب على حلّ الخلافات إذا كانت جامعة فإنها تمدّ المشاركين من مختلف الأطراف بالأدوات التي تمكنهم من التوصل إلى معرفة مشتركة. كما يمكن اعتبار آليات الإنذار المبكر والاستجابة السريعة لفضاء للوساطة إذا تمّ تصميمها بشكل جامع.

### 3.3. ضرورة تحليل الخلاف قبل تصميم عملية الوساطة

كما أشرنا إليه في الفصل الرابع المخصص لأدوات تحليل الخلاف، فإن نجاح أيّ مقارنة لترشيدهم خلاف ما يعتمد على مدى قوة تحليل هذا الخلاف، وينطبق الأمر على مقارنة الوساطة. فلا يمكن للوسيط، أو لفريق الوساطة، أن ينجح في عملية الوساطة إلا إذا قام بتصميم العملية بناءً على تحليل متين. ومن التقنيات التي يستعملها الوسطاء عند تناولهم لخلاف معين ثمة ما يُسمّى بـ"إطار أ-م-س-ع" ( ACCP Framework) الذي يهدف إلى جمع أكبر قدر من المعلومات عن الخلاف، باستعمال الأدوات المعروضة في الفصل الرابع، ووضعها في أربع سبل:

- (1) الأطراف (Actors)، وهم أصحاب المصلحة، أيّ كلّ من هو معنيّ بالخلاف يؤثر فيه أو يتأثر به، وهذا يساعد على تحديد من يشارك في عملية الوساطة؛
- (2) المحتوى (Content)، أيّ مسألة الخلاف أو موضوعه أو القضايا التي تختلف بشأنها الأطراف؛
- (3) السياق (Context)، أيّ الظروف التي تحيط بالخلاف والعوامل التي تؤثر في

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

عملية الوساطة بشكل مباشر أو غير مباشر، والتي قد تخرج عن مجال تحكيم الوسيط؛ (4) العملية (Process)، أي كل المبادرات مما كان نوعها (تفاوض، وساطة، تدخّل، إلخ). السابقة أو الجارية التي حاولت أو تحاول فضّ الخلاف.

### 4.3. مراحل الوساطة



يمرّ مسار الوساطة بعدة محطات تبدأ بمرحلة "قبل المفاوضات" أين يعمل الوسيط على استكشاف قابلية أطراف الخلاف للتفاوض عبر محادثات ثنائية مع كلّ طرف على حدة. ثم تأتي مرحلة "قبل المفاوضات" أو "المحادثات عن المحادثات" وهي المرحلة التي تتفق فيها

الأطراف على أجندة المفاوضات أي قائمة المسائل التي يتمّ التعرّض لها أثناء عملية التفاوض. وتليها مرحلة "المفاوضات" والوصول إلى اتفاق، ثم مرحلة تطبيق الاتفاق.

هناك العديد من النماذج التي تسعى إلى تبين مراحل الوساطة، منها نموذج المراحل الخمسة وهي: (1) المحادثات التمهيدية، (2) الاستماع إلى مختلف السرديات، (3) استكشاف المسائل الخلافية، (4) بلورة الخيارات، (5) الاتفاق.

1. المحادثات التمهيدية أو افتتاح المسار: في هذه المرحلة يباشر الوسيط في بناء علاقة مع أطراف الخلاف ويشرح لهم العملية المزمع إطلاقها ويبيّن لهم الغاية منها. كما يتمّ الاتفاق معهم على القواعد التي ينبغي اتباعها في مسار التفاوض. ويقوم في هذه المرحلة كلّ طرف بتوضيح توقعاته واستعداده، ويتمّ الاتفاق بين الأطراف على هدف محدّد من الوساطة. ويتحصّل الوسيط في هذه المرحلة على موافقة الأطراف على الوساطة.

## عمليات التفاوض والوساطة

2. الاستماع إلى مختلف السرديات والتعرّف على وجهات النظر: يقوم في هذه المرحلة كلّ طرف برواية سرديته بشكل فردي أو جماعي بدون أن يقطع الطرف الآخر، وعلى الوسيط الإصغاء إلى السرديات باهتمام وتلخيصها. إذا كانت في السرديات لهجة عدوانية أو متشجّة قد يكون من المناسب أن يقوم الوسيط بإعادة صياغتها بلغة ملائمة. يُفضي النقاش في هذه المرحلة إلى فهم مشترك للخلاف.

3. استكشاف المسائل الخلافية: الهدف من هذه المرحلة الهامة في مسار الوساطة هو الانتقال من مواقف الأطراف المُعلن عنها أثناء عرض السرديات، إلى مصالحهم التي تكمن وراء المواقف. ويقوم الوسيط في هذه المرحلة بتشجيع التعارف والتفاهم المتبادل بين الأطراف، ويساعد على استكشاف المسائل الخلافية باستعمال تقنيات الأسئلة المختلفة (المفتوحة، المغلقة، الاختيارية، الإيجابية، الافتراضية)، وينبغي التوصل إلى اتفاق بشأن ماهية القضايا المختلف عليها.

4. بلورة خيارات للحل: يتم في هذه المرحلة عصف ذهني من أجل بلورة العديد من الخيارات قبل اتخاذ قرار، دون الحكم على أيّ منها أو انتقادها. ويقوم الوسيط بجمع المقترحات من الأطراف، ويتجنّب تقديم حلول جاهزة.

5. الاتفاق: يتم في هذه المرحلة التوافق على الخيارات المقبولة من جميع الأطراف، والاتفاق على صيغة للاتفاق وتقرير آلية التنفيذ والمتابعة وإضفاء الطابع الرسمي على الاتفاق.

تمرّ عملية الوساطة عادة بهذه المراحل الخمسة، وقد تتعرّث أحياناً وتبّاطاً في مرحلة من المراحل وهذا لا يعني أنّ العملية لا تتقدّم، لذلك يجب تجنّب فرض إطار زمني محدد. في بعض الحالات قد تنتهي العملية قبل تحقيق أهدافها من تلقاء نفسها أو بقرار من الأطراف أو الوسيط. ويجب التمسك بمبدأ "عدم الإضرار"، فعندما يكون خطر وقوع الضرر أكثر من النفع، يجب إنهاء العملية.

## 4. فضاء الوساطة الآمن

### 1.4. التعريف

كان التركيز في ما سبق من هذا الفصل على عمليات التفاوض والوساطة في الخلافات القائمة على أساس المصلحة. أما في ما يلي فسيكون التركيز على الخلافات القائمة على تباين الرؤى الكونية (اختلاف المرجعيات الأيديولوجية، تنافر الأصول الفكرية والعقدية). ومن الآليات التي تُستعمل في هذه الحالة ما يُسمى بفضاء الوساطة الآمن أو المحميّ (Safe Mediation Space)<sup>11</sup>. وتكون هذه الآلية فعالة شريطة أن تحدّد الأطراف متباينة الرؤى غاية مشتركة وتكون على استعداد للتعاون من أجل تحقيقها بغض النظر عن مرجعية كل طرف.

يُعرّف جون-نيكولا بيتر فضاء الوساطة الآمن بأنه "عملية يلتقي ويتواجه فيها خطابان (أو سرديتان)، أو أكثر، للبحث عن تنسيق العمل في مسار ترشيده الخلاف العنيف، سواءً كانت هذه العملية مدعومة من طرف ثالث أم لا"<sup>12</sup>. فالغاية من فضاء الوساطة الآمن هي توفير "فضاء اجتماعي آمن يمكن للأطراف أن تجتمع فيه لمناقشة وتطوير مشاريع مشتركة لعملية لمعالجة جوانب الخلاف، وهي مقارنة ملائمة للخلافات بين أطراف ذات رؤى كونية متباينة"<sup>13</sup>. ومن الضروري أن يشعر كل طرف في إطار هذا الفضاء بالأمن والأمان، ليس فقط بخصوص سلامته الجسدية، وإنما أن يطمئن على وجه الخصوص بأنّ رؤيته الكونية (معتقده) ليست معرضة للتهديد أو التحدي.

من الضروري التركيز على الممارسة المشتركة وتطوير وتنفيذ عمل مشترك، وينبغي أن يتم إنجاز العمل المشترك ولو جزئياً مباشرة بعد بدء عملية التفاعل، لأنّ ذلك من شأنه بناء التفاهم، وتطور السرديات والخطابات عن طريق التركيز على العمل المشترك

---

<sup>1</sup> "الممارسة لها جانبان محتمان في العملية: (1) بين الرؤى الكونية، يمكن أن يكون الاتصال صعباً لأنّ كل طرف

## عمليات التفاوض والوساطة

الذي يساهم في حلّ المشاكل. وكما بيّنه الشكل الآتي، يعمل فضاء الوساطة الآمن على تسهيل عملية بناء الثقة تدريجيًا بين أطراف الخلاف.



يبدأ المسار بلقاءٍ مباشرٍ بين أطرافٍ غالبًا ما تكون المزمة الأولى التي تجتمع فيها. وهي في معظم الأحيان لا تعرف بعضها البعض إلا عن طريق أطرافٍ ثالثة، وعبر وسائل الإعلام على وجه الخصوص، وتأتي الأطراف وقد شكّلت مع الوقت صورًا نمطية عن بعضها البعض عادة ما تكون مشيطة للآخر. فيكتشف كل طرف آدمية الطرف الآخر أثناء اللقاءات الأولى. وبعد التبادل يتم التعارف والتواصل الذي يؤدي إلى قبول الآخر. التعارف وقبول الآخر يؤديان بدورهما إلى الاستعداد النفسي للإصغاء، وهنا تبدأ عملية الحوار الحقيقي وليس المناظرة، والفرق شاسع بينهما ففي المناظرة عادةً ما يكتفي الطرف بالاستماع إلى الجمل الأولى من حديث الطرف الآخر ولا يُصغي إليه باهتمام بل يقضي الوقت في التفكير في الردّ المفحم حتى يتفوق عليه ويسجّل أهداف على حسابه. أمّا الحوار فهو مبنيٌّ أساسًا على حسن الإصغاء للآخر وطلب التوضيح من أجل فهم وجهة نظره والتعامل معها بالتي هي أحسن. بعد الحوار عبر الحديث المشترك (dialogue) الذي يمهد الطريق لبناء الثقة بين الأطراف، يأتي الحوار عبر الممارسة المشتركة (diapaxis) ليعزز الثقة ويجعلها أكثر صلابة

لا يفهم المعنى – أي النتيجة العملية – لما يقوله الآخر. ولا بدّ من المرور بالممارسة (من خلال أمثلة عملية) لفهم المعنى. على سبيل المثال، إذا تحدّثت مجموعة عن العدالة، فقد تتوافق مع عملية وحقيقة لا تفهماها مجموعة أخرى. لذلك يجب التبيين العملي للمعنى؛ (2) عندما يكون هناك بالفعل توتر وانعدام ثقة، فإنّ الحديث وحده لا يعزز الثقة". (جون-نيكولا بيتر. محادثة خاصة. 23 ديسمبر 2020).



## مدخل إلى ترشيده الخلاف

واستدامة، فكما يقول ابن الجوزي في صيد الخاطر "الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول".

### 2.4. التصميم

ثمّة بعض التوجيهات التي ينبغي الانتباه إليها واتباعها عند تصميم وإنشاء فضاء الوساطة الآمن نذكر منها الآتي<sup>14</sup>:

1. **صياغة رؤية مشتركة:** ينبغي أن تبدأ العملية بتحديد رؤية مشتركة مقبولة لدى جميع الأطراف، فهي الدافع للدخول في العملية. وغالبًا ما تكون الرؤية المشتركة واسعة المعالم مثل إرادة التعايش السلمي على المدى الطويل لدى الأطراف ونبذ العنف في معالجة الخلافات.

2. **تحديد خطوط السلامة:** يجب التوافق على ما لا ينبغي فعله أو التسامح معه داخل فضاء الوساطة الآمن. وهذا من شأنه أن يضمن شعور جميع الأطراف بالأمان عند المشاركة، ولا تخصّ هذه الخطوط مسائل الخلاف نفسها أو مواقف الأطراف المعنية. وتنطبق خطوط السلامة على جميع الأطراف، بما فيها الطرف الثالث.

3. **تجنّب فرض رؤية كونية:** إنّ تصورات الأطراف للعدالة الإجرائية والفعالية محكومة ومحدّدة بنظرتهم الكونية. ولذلك فإنّ إدماج - قدر الإمكان - أفضليات وأولويات الأطراف الإجرائية بطريقة متوازنة مع تحرير الأساليب الإجرائية والمعايير من التحيزات الدينية والثقافية والأيدولوجية الخارجية غير المبرّرة يمكن أن يساعد على تحريك العملية إلى الأمام بشكل أكثر سلاسة.

4. **التركيز على الجوانب العملية:** بدلاً من النظر في المبادئ العامة والقيم والنظريات والأفكار، التي من المحتمل أن يقع خلاف في تأويلها، يجب التركيز على كيفية شرح الأطراف لمواقفها بالإشارة إلى مسائل عملية حتى يمكن فهم النتائج العملية لآرائهم، والعمل على تطوير وتنفيذ أنشطة عملية مشتركة لمعالجة الخلاف (الممارسة المشتركة

(diapraxis -).

5. الحكم على الأفعال وليس على الأقوال: يجب على المقاربة أن تتفادى الحكم على الأقوال، وتقتصر على الحكم على الأفعال، مثل ممارسة العنف.

6. الإدماج والتشارك: يجب أن يكون الفضاء جامعًا وأن تُؤخذ تطلعات كلّ شرائح المجتمع بالاعتبار (النساء والرجال، الشباب والمستّين)، وينبغي التعامل مع الجميع وليس فقط مع "المعتدلين" وإدماج كل المفتحين على الحوار بما في ذلك الراديكاليين. في الواقع، كما يلاحظ جون نيكولا بيتر، "نظرًا لأنّ ما نبحت عنه هو التعايش السلمي بين الفاعلين والمجموعات والمجتمعات التي ترجع إلى رؤى كونية مختلفة، فمن المهم أن تشمل العملية الممثلين المعترف بهم من قِبل مجتمعاتهم كترجمين أوفياء لرؤيتهم الكونية، وكأوصياء عليها ومرّوجين لها. إنّ حضورهم أكثر أهمية من حضور "المعتدلين"، الذين هم عمومًا يجدون أرضية للتفاهم مع الأطراف الأخرى قبل تفعيل الجوانب الأقلّ مشاركة من القنوات."<sup>15</sup>

من البديهي أن يُعقد فضاء الوساطة الآمن بعيدًا عن الإعلام وبمعزل على وسائل التواصل الاجتماعي، مع احترام قاعدة تشاتام هاوس التي تقول: "حينما يعقد اجتماع أو جزء منه في إطار قاعدة تشاتام هاوس، فإنّ المشاركين يكونون أحرارًا في استخدام

---

<sup>1</sup> يجب التمييز بين الراديكالية والتطرّف، فبينما يسعى الراديكاليون السياسيون إلى العمق في التغيير السياسي والراديكاليون الدينيون إلى التمسك بالأصل في المعتقد والممارسة، يتنكح المتطرفون مبدأ الوسطية ويحيدون عن القيم والمبادئ المتفق عليها في المجتمع. أنظر في هذا الشأن "معالجة التطرف: أهمية المصطلح"، عباس عروة. معهد قرطبة للسلام بجنيف، أكتوبر 2019 (<https://bit.ly/3pZvsyV>). أنظر أيضًا المقال "Monsieur le président, ne passez pas de Ricoeur à Sarkozy! Jean Baubérot. *Le Nouvel Obs*. 28 novembre 2020. (<https://bit.ly/3hP2bnE>)"، أين يميّز الكاتب جون بوبرو، الملقّب بـ"مؤرّخ اللائكية" في فرنسا، بين "المستوى العقدي" و"المستوى المدني" ويلاحظ أنّ التنظيمات السياسية أو الدينية يمكن أن تُظهر تشدّدًا عقائديًا وتسامحًا مدنيًا في آن واحد، مستشهدًا بالتطوّر التاريخي للكنيسة الكاثوليكية والحزب الشيوعي في فرنسا.

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

المعلومات التي يحصلون عليها، لكن لا يجب كشف هوية أو انتماء المتحدثين أو أي شخص آخر من المشاركين".<sup>16</sup>

### 3.4. أمثلة عملية

تستعمل منهجية فضاء الوساطة الآمن للتجسير بين الأطراف التي تختلف في النظرة الكونية أو المرجعية الدينية وتطبق في مختلف المجالات مثل السياسة (الشخصيات والأحزاب السياسية) والعمل الوطني (منظمات المجتمع المدني) والعمل الخيري (المنظمات الخيرية / الإنسانية) وحقوق الإنسان (منظمات حماية وتعزيز حقوق الإنسان) والإعلام (الصحافيون والقنوات الإعلامية) والعمل النسوي (مجموعات تحسين وضع المرأة).

وقد أدار معهد قرطبة للسلام بجنيف في السنوات الأخيرة، بدعمٍ من وزارة الخارجية السويسرية، العديد من فضاءات الوساطة الآمنة على المستوى الوطني أو الإقليمي، تطرقت مثلاً إلى الآتي: التجاذبات الأيديولوجية في شمال أفريقيا ("منتدى قرطبة الآن"، آلية إنذار مبكر واستجابة سريعة في مصر تشرك مسلمين وأقباط، مواكبة المشاركة السياسية الجامعة التي تشمل تيارات أيديولوجية مختلفة بما في ذلك التيار السلفي)، التوترات العرقية في موريتانيا بين البيضان والسودان (العمل الإعلامي المشترك لتعزيز التماسك المجتمعي)، الاحتقانات الطائفية بين السنة والشيعة في لبنان (العمل الإنساني المشترك لإغاثة اللاجئين السوريين) وفي العراق (العمل المشترك حول قضية الاختفاء القسري وقضية اللاجئين العراقيين في تركيا).

### التوترات العرقية في موريتانيا



من بين خطوط التوتر في موريتانيا التجاذبات بين المكونات العرقية للمجتمع الموريتاني، والخلافات حول

## عمليات التفاوض والوساطة

قضايا الهوية وتقاسم السلطة والتعامل مع إرث الماضي وغياب مقاربات توافقية لتجاوز إشكالية العبودية وعدم فاعلية الأطر السياسية والقانونية الموجودة للتصدي للعنصرية والعصبيات الصاعدة ونواقص المشاركة السياسية للجميع. وخلال لقاءات "منتدى الساحل" الذي أداره معهد قرطبة للسلام بجنيف، أثار المشاركون الموريتانيون قضايا التعايش بين فئات مجتمهم وأوصوا بإنشاء إطار يجمع كافة مكونات الطيف الاجتماعي والثقافي والسياسي الموريتاني سبيلاً إلى خلق أجواء تسمح بالتبادل والنقاش الهادئ حول المشكلات والعوائق التي تعكّر التعايش المشترك. وبناءً عليه، تأسّس "فضاء التنوع والمواطنة" الموريتاني حول شخصيات وازنة من كلّ الإثنيات والمرجعيات في مجالات السياسة (نواب في الجمعية الوطنية وقادة رأي) والإعلام (صحفيون ومدوّنون)، والمجتمع المدني والمنتديات الدينية والثقافة (أساتذة جامعات وفنانون) والحقوق (محامون وناشطون في جمعيات حقوق الإنسان). وعقد "فضاء التنوع والمواطنة" عدّة لقاءات وجرى الاتفاق على أهمية الممارسة المشتركة والبدء بالعمل في المجال الإعلامي حيث يقوم الإعلاميون من مختلف الانتماءات معاً بإنتاج موادّ إعلامية تساعد على تعزيز التماسك المجتمعي. وقام معهد قرطبة للسلام بجنيف بتنظيم دورة تدريبية في مجالي "ترشيد الخلاف" و"إعلام السلام" في فبراير 2017 لتأطير رجال الإعلام في التغطية المعتدلة للقضايا المتعلقة بالعيش المشترك وتشجيع الحوارات البينية، وورشة تدريبية حول التغطية الموضوعية للانتخابات العامة لسنة 2019.



### المغتربون في العراق

في إطار البرنامج المخصّص لمنطقة غرب آسيا الذي بدأ في 2015، أطلق معهد قرطبة للسلام بجنيف فضاء وساطة آمن يضم فاعلين عراقيين من مختلف الخلفيات ومن شيعة وستّة على وجه الخصوص. كانت الفكرة الأولى هي العمل مع الزعماء الدينيين والقبليين للحدّ من التوترات الطائفية. وبعد المناقشة

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

والبعثات الاستكشافية، تم اقتراح مشروع في مدينة سامراء، المدينة ذات الأغلبية السنية التي تحتوي على مرقد شيعية مهمّة. تم تفجير المراقده عامي 2006 و 2007، مما أشعل فتيل الحرب الأهلية. كما عرفت سامراء توترًا كبيرًا بعد حقبة داعش، مع وجود توجس في كون السكان الستة دعموا داعش. ومن بين العديد من التوترات، مسألة "المغيّبين" أي المختفين بعد توقيفهم من طرف جهات أمنية رسمية أو غير رسمية. بدأ المشروع بعد موافقة كلّ من لجنة المصالحة الوطنية والمرجعية الشيعية، وتعاون السلطات المحلية (رئيس بلدية سامراء، إلخ) والقبائل. وأفضت الاجتماعات مع الجهات الفاعلة المحلية إلى قرار معالجة مصدر رئيسي للتوترات المحلية متعلق بملف "المغيّبين". وتم تشكيل مجموعة محلية (تضمّ محامين وزعماء قبائل وقوات الحشد الشعبي) لتقوم بتجميع قوائم المغيّبين. وتوسّع المشروع لاحقًا ليشمل مناطق أخرى في العراق ويأخذ طابعًا وطنيًا.

## العمل الإنساني في لبنان



دائمًا في إطار البرنامج المخصّص لمنطقة غرب آسيا الذي انطلق في 2015، نظّم معهد قرطبة للسلام بجنيف فضاء وساطة آمن يضم فاعلين لبنانيين من مختلف

الحلقات، وتمّ في إطاره مناقشة التوترات الطائفية التي عرفت تصعيدًا إثر اندلاع الحرب في سوريا. وبعد العديد من اللقاءات المنتظمة التي ساهمت في تقريب وجهات النظر، عكف المشاركون على تحديد مجال للممارسة المشتركة. وتمّ اختيار موضوعين الأوّل هو معالجة المعتقلين في لبنان في إطار المحاكم العسكرية والثاني معالجة أزمة اللاجئين السوريين الإنسانية. في الأخير تمّ الاتفاق على التعاون الإنساني كسبيل لتخفيف الاحتقان الطائفي. وفي شهر أغسطس 2017، التقت ست منظمات إنسانية مختلفة المشارب (سنية وشيعية وعلمانية) ووقّعت على مذكرة تفاهم (أنظر

## عمليات التفاوض والوساطة

نصّ المذكرة أسفله) لإطلاق "ملتقى الجمعيات الإنسانية" الذي أصبح يجتمع كلّ شهر لتبادل وجهات النظر بشأن تنفيذ أنشطة ملموسة استفاد منها اللاجئون السوريون والتجمّعات اللبنانية المضيفة لهم، مما يستدعي على وجه الخصوص ممارسة الإجماع على العديد من النقاط مثل اللوجيستيات، وتصميم المشروع، وتحديد المستفيدين، إلخ. قام الملتقى بين عامي 2017 و 2019 بتنفيذ ثماني مبادرات مشتركة، بما في ذلك: توزيع الملابس والوقود للاجئين، تنظيم ورش للشباب لتشجيع التعاون بين الشباب من خلفيات مختلفة، تنظيم منتديات حوار الأديان والثقافات، لتعزيز التعايش.

### مذكرة تفاهم

هذه المذكرة تم تنظيمها بين الجمعيات والشخصيات الموقعة عليها كل منهم في حدود ولايته وصلاحياته من أجل تنسيق التعاون في مجال العمل الإنساني في لبنان.

**تمهيد:** (1) نظرا للأزمة الإنسانية التي يمر بها لبنان واستضافته لعدد كبير من اللاجئين والحاجة الملحة لتقديم المساعدات الإنسانية فضلا عن احتياجات المجتمع اللبناني المضيف. (2) ولما كان العمل الإنساني يحتاج إلى أوسع حالة من التنسيق والتعاون بين المؤسسات والشخصيات الفاعلة في هذا المجال. (3) وحيث أن أطراف هذه المذكرة مهتمون بالعمل الخيري وتنفيذ المشاريع الخيرية المشتركة والنشاطات الثقافية والحوارية المشتركة. (4) وبما أن التعاون في مجال العمل الخيري والحواري مطلوب لتحقيق الفائدة القصوى التي تعم المشاركين والمستفيدين على حد سواء. فقد اتفق أطراف المذكرة على مايلي:

**المقدمة: أهداف الملتقى:** بمبادرة من مؤسسة قرطبة بجنيف [الاسم السابق لمعهد قرطبة للسلام بجنيف] تلاقت مجموعة من الجمعيات الإنسانية والحوارية على الرؤية الآتية: إيجاد فضاء حوارى وإنساني في عالم يعيش فيه المسلمون بعيداً عن الخلاف بطريقة لا عنيفة وترقية الحوار وتمكين الناس للوقاية من العنف وترشيد المجتمعات نحو حياة حوارية وإنسانية أفضل.

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

**المادة الأولى:** تعتبر المقدمة أعلاه والمرفقات والملاحق جزءاً لا يتجزأ من هذه المذكرة.

**المادة الثانية:** (1) يعمل أطراف المذكرة على تنسيق مشاريع ونشاطات مشتركة لتنفيذها خدمة للاجئين والنازحين والفئات المهمشة والمجتمع المضيف في لبنان. (2) وتكون هذه المذكرة مرفقة مع كل مشروع سيتم تنفيذه بين الأطراف بينما تكون هناك اتفاقية خاصة ومفصلة لكل مشروع مشترك.

**المادة الثالثة:** إن جهود أطراف هذه المذكرة موجهة بشكل أساسي لدعم السكان الذين يعانون من أوضاع إنسانية صعبة في لبنان سواء كانوا لبنانيين أو من جنسيات أخرى، بغض النظر عن انتمائهم السياسي أو الديني أو المذهبي أو العرقي وبكل مساواة وحيادية.

**المادة الرابعة:** يتعهد أطراف هذه المذكرة بأن تتماشى جهودهم مع أولويات التنمية الوطنية والمعايير الدولية الإنسانية للعمل الإنساني ولا تتعارض مع القوانين المتبعة.

**المادة الخامسة:** (1) اتفق الأطراف على أن يكون النشاط المنظم من خلال هذه المذكرة تحت اسم (ملتقى الجمعيات الإنسانية) وبالتنسيق مع مؤسسات خيرية ومؤسسة قرطبة بجنيف هي المنسقة لهذا المشروع. (2) وتبقى لكل من الأطراف استقلاليتها الكاملة وشخصيتها الاعتبارية المستقلة.

**المادة السادسة:** (1) لا ترتب هذه الاتفاقية أي التزامات مالية على أي من الأطراف. (2) ويتوجب عليهم أن يوقعوا اتفاقيات ملحقية في كل مشروع يرد تمويل له لصالح الملتقى ويمكن لأي من أطراف المذكرة أن يقوم بدعوة أي من الأطراف للمشاركة في نشاطاته.

**المادة السابعة:** (1) يحدد أطراف المذكرة طرق تنفيذ المشاريع المشتركة بما يضمن أقصى درجة من التكامل بينهم على أن تكون آليات التنفيذ إما تنفيذ مشترك أو

## عمليات التفاوض والوساطة

تنفيذ مباشر من خلال أحد الأطراف أو تنفيذ من خلال طرف ثالث. (2) ويتم الاتفاق على آليات التنفيذ بموجب اتفاقية محددة المجال أو المشروع.

**المادة الثامنة: (1)** يعتمد هذا الاتفاق على روح المحبة والتعاون والثقة المتبادلة بين الأطراف والتزام الشفافية في التعامل. (2) وإن أي خلاف أو نزاع حول تفسير أو تنفيذ المذكرة يتم حله بالحوار بين أطراف المذكرة وفي حال تعذر ذلك يتم اللجوء إلى التحكيم.

**المادة التاسعة: (1)** يتم قبول انضمام جمعيات ومؤسسات أخرى إلى هذا الملتقى من خلال موافقة جميع أطراف المذكرة المؤسسون خلال السنة الأولى من سريانها. (2) ومن خلال موافقة ثلثي أطراف المذكرة خلال السنة الثانية. (3) يتم تمثيل كل جمعية بصوت واحد فقط في المواضيع التي تحتاج إلى تصويت. (4) يتم تجديد هذه المذكرة بشكل سنوي تلقائياً ويتم إنتهاء العمل بها بتوافق إرادة جميع الأطراف على ذلك. (5) وفي حال رغبة أحد الأطراف الخروج من الاتفاقية يجب تقديم بلاغ خطي لبقية الأطراف قبل شهر من ذلك على الأقل. (6) ويمكن لهذه الاتفاقية أن تعدل في أي وقت من خلال اتفاق خطي بين جميع الأطراف. (7) يتم تقييم نتائج الجهود المبينة في هذه الاتفاقية على أساس اجتماع نصف سنوي اعتباراً من تاريخ سريان الاتفاقية. (8) وعلى هذا توافق أطراف الإتفاقية بعد أن اطلعوا على كامل مضمون المذكرة وهم محولون بتمثيل مؤسساتهم ووقعوا عليها.

تم توقيع هذه الاتفاقية بتاريخ 17 آب/أغسطس 2017

**الجمعيات الموقعة: (1)** المجمع الثقافي الجعفري للبحوث والدراسات الإسلامية وتعارف الأديان؛ (2) جمعية سوا للتنمية؛ (3) ائتلاف الجمعيات الخيرية في لبنان؛ (4) مؤسسة الخدمات الاجتماعية للمرجع السيد محمد حسين فضل الله؛ (5) جمعية الإرشاد والإصلاح الخيرية الإسلامية؛ (6) اتحاد الجمعيات الإغاثية التنموية.



## أوضاع المرأة في المغرب



نظم معهد قرطبة للسلام  
بجنيف فضاء وساطة آمن  
في المغرب،<sup>17</sup> من 2015  
إلى 2017، مع مجموعة من

الجهات الناشطة من أجل تحسين أوضاع المرأة في البلاد تنتمي إلى مرجعيات مختلفة علمانية (يسارية) وإسلامية (إخوانية وسلفية). ورغم أن هذه الجهات كانت تعمل لنفس الهدف وهو تحسين أوضاع المرأة في المغرب إلا أنها كانت في صراع أيديولوجي مستمرّ يتّضح في المناظرات الحادة والمظاهرات والمظاهرات-المضادة والتراشق الإعلامي إلى درجة أصبحت فيها قضايا المرأة مصدرًا للتوتر والاحتقان في المجتمع والتجاذب بين مكوناته. وشكّل ذلك الجوّ المشحون أيديولوجيًا عائقًا للعمل لصالح الفئات النسوية التي تعاني من نقص في المرافق الصحية والتعليمية خاصة في البوادي والأرياف. فكان الهدف من مسار الوساطة هو إتاحة الفرصة للجهات العاملة في مجال تمكين المرأة، باختلاف مشاربها، للتعرف وبناء الثقة والتعاون والعمل يدًا في اليد في مشاريع ومبادرات عملية من أجل تحقيق هدفها المشترك. بدأ القائمون على المشروع بزيارات ميدانية التقوا فيها وتشاوروا مع العديد من الفاعلين في المجال الحقوقي والاجتماعي والديني والتربوي من مختلف التوجهات. وأقنعوا مجموعة منهم بالانخراط في مسار الوساطة بصفة شخصية وليس جموعية حتى يتمكنوا من الحوار بأريحية. وأسفرت النقاشات التي دارت خلال اللقاءات بين المشاركين والتي بدأت بقدر كبير من الحدة إلى تغيير واضح في مواقف الأطراف من بعضهم البعض، وبناء الثقة إلى درجة أنهم مع الوقت باشروا بعض الأعمال المشتركة بهدف تحسين أوضاع المرأة المغربية.

## العمل المشترك في العالم العربي



عمل معهد قرطبة للسلام  
بجنيف على جمع أكثر من أربعين  
مشاركاً من الخبراء والقادة  
السياسيين من التيارات  
الإسلامية والعلمانية في أربع

ورشات<sup>18</sup>، على امتداد عام كامل، من فبراير 2016 إلى مارس 2017، من أجل التفكير في دور الدين في الشأن العام فضلاً عن استكشاف إمكانيات التخفيف من التجاذبات الأيديولوجية الحادة والتعاون لتحقيق التعايش السلمي. وأفضت النقاشات التي جرت في إطار الورشات إلى التوقيع على مذكرة تحت عنوان "نحو فضاء للتواصل والعمل المشترك" هذا نصها<sup>19</sup>:

إنّ الاستقطاب الحاد في سياقات الانتقال السياسي الهشة غالباً ما يؤدي إلى حالة الفوضى، مما يهدد الطريق لعودة أنظمة الاستبداد أو للاحتراب الداخلي. التقى أكثر من أربعين مشاركاً من الخبراء والفاعلين السياسيين من شمال أفريقيا، وغرب آسيا، ومنطقة الساحل، ينتمون إلى التيارات العلمانية والإسلامية، وناقشوا قضايا متعلقة ببناء الثقة وإرساء إطار للتعاون بين فاعلين ذوي منطلقات فكرية ورؤى كونية مختلفة.

وتمّ التركيز على أهمية إنتاج ثقافة سياسية جديدة مشتركة تستند إلى قيم الحرية والعدل والكرامة والتنوع والقبول بالآخر وعدم الإقصاء والمواطنة ونبذ العنف، من خلال بناء تحالفات عابرة للأيديولوجيات تسهم في إنجاح الانتقال السياسي السلمي في المنطقة.

اتفق المشاركون على أنّ التخفيف من الاستقطاب بين الإسلاميين والعلمانيين ينبغي أن يتجاوز الجدل الفلسفي ويركّز على ضرورة العمل المشترك لفائدة الصالح العام ومن أجل تقوية المجتمع وبناء الدولة، ويتوافق هذا الإطار مع "فضاء

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

مشترك" لا يقتضي تنازل أي طرف عن مرجعيته الفكرية أو خيائته لقضيته. فهذا الإطار للعمل المشترك والجهد الجماعي لخدمة المجتمع يمكن تأصيله انطلاقاً من المرجعيات الدينية والأيدولوجية لجميع الأطراف.

يمكن لجماعات ذات قواعد مختلفة في إطار أنظمتها القيمة ورؤاها الكونية أن تختار الانخراط في عمل مشترك مع جماعات أخرى مختلفة، ولكل منها أسبابها الخاصة. وهذه الكيفية، يمكن لمختلف الجماعات أن تعيش معاً في فضاء مشترك، وتجدر كل واحدة التبرير والحافز للقيام بذلك من منظور نظام قواعدها ومبادئها التوجيهية الخاصة بها. ويطلق الفيلسوف الأمريكي جون رولز على عملية الانخراط المشترك من مختلف الجماعات للتفاعل ضمن نفس الفضاء مصطلح "التوافقات المتداخلة".

ويفسح الإسلام مجالاً واسعاً لإمكانيات العمل المشترك من أجل مصلحة المجتمع. فالقواعد الدينية في مجال سياسة أمور المدينة/الدولة تشكل إطاراً يوقر التوجيه ويسمح بالإبداع. إن "صحيفة المدينة" دليل عملي، من منظور إسلامي، عن إمكانية التعايش والتفاعل الإيجابي في مجتمع متعدد الانتماءات القبلية والدينية. وقد نجحت هذه الصحيفة، التي سُميت بالوثيقة الدستورية الأولى في تاريخ البشرية، في القيام بذلك بإدخال مفهوم جديد للانتماء الاجتماعي مكون من ثلاث طبقات مختلفة: القبيلة المعترف بها كواقع اجتماعي، والانتماء الاجتماعي للدين الذي ينطوي على منظومة من القيم المشتركة، والانتماء إلى المدينة.

إن "فضاء التواصل والعمل المشترك"، المعرف بهذه الطريقة، لا يُنظر إليه من طرف المشاركين كشأن متصل بالضرورات الظرفية والمصالح الحزبية الضيقة والمناورات السياسية، بل كآلية مستديمة تبدأ في مرحلة الانتقال السياسي وتستمر طيلة مرحلة تشييد دولة القانون والحكم الراشد. أوصى المشاركون بأن ينصبّ مجهود العمل المشترك على الرهانات الكبرى التي تواجهها شعوب المنطقة فيما يخص المشاركة المواطنة والانخراط المجتمعي للشباب، والتعليم، وكذا بناء ثقافات سياسية جديدة.

## عمليات التفاوض والوساطة

**المشاركون:** أبو يعرب المرزوقي (تونس)، أحمد أرحموش (المغرب)، احميدة النيفر (تونس)، إسلام الغمري (مصر)، آمال قرامي (تونس)، آمال موسى بلحاج (تونس)، أمية الصديق (تونس)، جاهد طوز (تركيا)، جعفر الشايب (السعودية)، حامد إدريس (المغرب)، حسام حافظ (سوريا)، حكيم صاحب (الجزائر)، خديجة رياضي (المغرب)، ربيع حداد (لبنان)، رضا جوادي (تونس)، رياض الشعبي (تونس)، زياد خياطة (سوريا)، سامي الساعدي (ليبيا)، سعد الدين العثماني (المغرب)، سعد وفائي (سوريا)، سمية بنخلدون (المغرب)، سيلفان أوديني (سويسرا)، صلاح الدين الجورشي (تونس)، طارق الزمر (مصر)، عبد الرؤوف العيادي (تونس)، عبد العلي حامي الدين (المغرب)، عبد الفتاح محمد (قطر)، عبد الفتاح مورو (تونس)، عطية عدلان (مصر)، مجاهد مخللاقي (سوريا)، محمد الأحمري (قطر)، محمد حمداوي (المغرب)، محمد خوجة (تونس)، محمد زاهد جول (تركيا)، محمد عبد الوهاب رفيقي (المغرب)، مرسيل شحوارة (سوريا)، مريم بن سالم (تونس)، معاذ الخطيب (سوريا)، المعطي منجب (المغرب)، معن كوسا (سوريا)، موسى باه (مالي)، نبيلة منيب (المغرب)، نور الدين الخادي (تونس)، هشام برغش (مصر)، يوسف الشوري (لبنان).

وفهم المشاركون هذا الالتزام المشترك باعتباره الخطوة الأولى من العملية التي يجب أن تستمر من خلال الأنشطة الملموسة والمشاركة (diapraxis)، مما يعني العمل على المستوى المحلي (الوطني مقابل الإقليمي).

وبناءً عليه، حدّد المشاركون عددًا من المواضيع التي يمكن أن تُدرج في إطار الممارسة المشتركة منها ظاهرة العنف السياسي في تونس، والتجسير بين التعليم الديني والتعليم الرسمي، وتعزيز المشاركة السياسية والانخراط المدني للشباب التونسي، وتدبير التعددية والتخفيف من العنف في الأوساط الجامعية المغربية، إلخ.

### 5. خلاصة

من أهمّ آليات ترشيد الخلاف الحوار الذي يهدف إلى الوصول إلى اتفاق بين أطراف الخلاف يحقق لهم جميعًا حدًا أدنى من الأهداف المشروعة (الحلّ الوسط) أو يمكنهم

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

من الوصول إلى السيناريو المثالي "رايح-رايح" / "منتصر-منتصر". يُسمى هذا النوع من الحوار الذي يحدّد هدفًا منذ انطلاق المسار "التفاوض" إذا بادرت إليه الأطراف ويُسمى "الوساطة" إذا تدخّل طرفٌ ثالث لتسهيله. وقد تأخذ الوساطة أشكالًا مختلفة حسب السياق وطبيعة الأطراف وموازن القوة بينهم وطبيعة الوسيط والمنهجية المتبعة. وحدّد أهل الاختصاص شروطًا لنجاح التفاوض كالتكافؤ والمشروعية والتمثيلية والشرعية والمرجعية. ومن أهمّ مدارس التفاوض المبني على المصالح مدرسة هارفارد التي تحدّد أربعة مبادئ للتفاوض وهي فصل الشخص عن المشكل، والتركيز على المصالح وليس على المواقف، والاتفاق على معايير موضوعية، وبلورة خيارات متعدّدة. كما هناك العديد من المواصفات التي يجب أن يتحلّى بها الوسيط لضمان نجاح العملية كالإرادة والتجرّد والمصادقية والمعرفة والتواضع وعدم التحيزّ والقدرة والتريث والمرونة والإبداع والوفاء بالوعد. ونظرًا لكون أهمية المسار تماثل أهمية المحتوى، يجب التصميم والإعداد الجيّد لعملية الوساطة واحترام عدم تجاوز أيّ مرحلة من مراحلها من محادثات تمهيدية أو استماع إلى مختلف السرديات وتعريف على وجهات النظر واستكشاف المسائل الخلافية وبلورة خيارات للحل. أمّا بخصوص الخلافات القائمة على تباين الرؤى الكونية فإنّ من أهمّ الآليات التي تُستعمل لترشيدها "فضاء الوساطة الآمن" حيث تحدّد الأطراف غاية مشتركة وتتعاون من أجل تحقيقها، بغض النظر عن مرجعية كلّ طرف، ويتمّ التركيز في فضاء الوساطة الآمن على الممارسة المشتركة لبناء الثقة. وينبغي اتباع عدّة توجيهات عند تصميم الفضاء كصياغة رؤية مشتركة، وتحديد خطوط السلامة، وتجنّب فرض رؤية كونية معيّنة، والتركيز على الجوانب العملية، والحكم على الأفعال وليس على الأقوال، والإدماج والتشارك.

---

---

## الفصل الثامن مسار المصالحة

---

---

### المحتويات

1. مقدّمة ..... 142
2. توقيت المصالحة في مسار ترشييد الخلاف ..... 142
3. خصائص وركائز المصالحة ..... 143
4. آليات وأدوات المصالحة ..... 148
5. تصميم عملية المصالحة ..... 151
6. خلاصة ..... 153

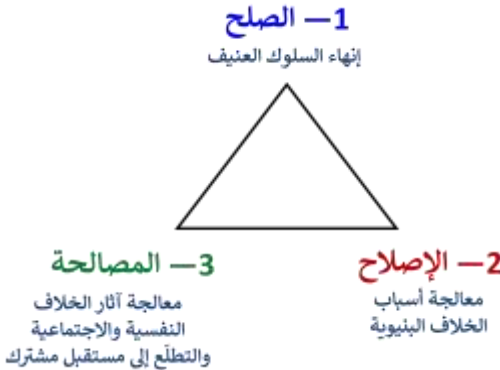
## 1. مقدمة

عملية المصالحة مرحلة هامة وحساسة من مراحل ترشيد الخلاف وبناء السلم وضمان عدم تكرار تجربة العنف داخل المجتمع. وثمة عدة نظريات للمصالحة طوّرها فقهاء الخلاف والسلم، فقد أحصت مجموعة من الباحثين اثنتي عشرة مقاربة للمصالحة في كتاب مشترك بعنوان "المصالحة: تصفية الماضي وبناء المستقبل"<sup>1</sup>.

يهدف هذا الفصل إلى تبين مكانة عملية المصالحة وتوقيتها في مسار ترشيد الخلاف وإلى عرض خصائص المصالحة ودعائمها وآلياتها وأدواتها، كما يتعرّض لمتطلبات تصميم عملية المصالحة.

## 2. توقيت المصالحة في مسار ترشيد الخلاف

تمرّ عملية ترشيد الخلاف بثلاث مراحل: (1) التوصل إلى الصلح (تُسمى هذه المرحلة أيضًا تسوية الخلاف)، أي إلى إنهاء السلوك العنيف (على سبيل المثال وقف إطلاق النار)؛ (2) والإصلاح أي فض الخلاف بمعالجة أسبابه الجذرية؛ و (3) المصالحة، أي معالجة الآثار النفسية والاجتماعية للخلاف والتطلع إلى مستقبل مشترك.



من البديهي أنه في حالة خلاف عنيف مفتوح تكون تسوية الخلاف أمرًا مُلحًا ومستعجلًا، لوضع حدٍّ للعنف المباشر (إنهاء الاقتتال مثلاً). لكن إذا اقتصر الأمر على هذه الخطوة الأولى، فسيؤدي ذلك إلى "سلام سلمي"<sup>2</sup> فقط لا تضمن استمراريته. بل إن استئناف العنف المباشر في وقت لاحق أمرٌ شبه أكيد إذا لم تُتبع مرحلة "تسوية الخلاف" بمرحلة "حلّ الخلاف"، ثم مرحلة "المصالحة"، مما يمكن من تحقيق "السلام الإيجابي" المستديم. كما لا يستقيم الأمر إذا تمّ المرور من مرحلة "تسوية الخلاف" إلى مرحلة "المصالحة" والقفز على مرحلة "حلّ الخلاف" وعدم معالجة جذوره ومسبباته. وقد أثبتت التجارب في دول مختلفة أن التلمّص من عملية "حلّ الخلاف" وإخفاء المسائل الخلافية "تحت البساط" والشروع في عملية "مصالحة صورية" لا يجدي، بل يساهم في إطالة عمر الخلاف العنيف.

غالبًا ما تتمّ "تسوية الخلاف" بين قادة أطراف الخلاف ويُعقد الصلح بينهم، فيُتفق مثلاً على إنهاء إطلاق النار على مستوى القيادات المدنية والمسليحة. بينما مرحلة "حلّ الخلاف" تتطلب مشاركة قادة أطراف الخلاف وشراخٍ محدودة من المجتمع، وهي بذلك تحتاج إلى وقت أطول من مرحلة "تسوية الخلاف". أما مرحلة "المصالحة" فهي تتطلب مشاركة جميع أطراف الخلاف وشراخٍ واسعة من المجتمع وهي عملية بطيئة وطويلة قد تستغرق سنوات أو حتى عقودًا لأنها تستوجب تحويل الحوافز والأهداف والاعتقادات والاتجاهات والعواطف والسلوكات لدى الأغلبية المرتبطة بجميع الأطراف، وتغيير المواقف إزاء الخلاف والذات والطرف الآخر.

### 3. خصائص وركائز المصالحة

قد تقتصر عملية المصالحة على معالجة الآثار النفسية والاجتماعية للخلاف عبر آليات محدّدة لكنّها لا تقوم بترميم العلاقة بين أطراف الخلاف فتعايش سلميًا بالموازاة بدون تفاعل بينها، فتُسمّى حينئذٍ "مصالحة سلبية". أما إذا تجاوزت العملية معالجة الآثار إلى ترميم العلاقات بحيث تتفاعل الأطراف وتتطلّع إلى مستقبل مشترك، فتُسمّى



## مدخل إلى ترشيده الخلاف

حينئذ "مصالحة إيجابية".

قد تركز عملية المصالحة على واحد من الجوانب الثلاثة: (1) الجانب الفكري الثقافي، (2) الجانب النفسي الديني (الروحي)، و(3) الجانب الإجرائي. وهي في نهاية الأمر تقارب لسرديات الأطراف وإجماع فكري بينهم في رؤية وتقييم الماضي بهدف تجاوزه والنظر إلى المستقبل.

تقوم المصالحة على أربع ركائز وهي الكشف عن الحقيقة والحفاظ على الذاكرة وتحقيق العدالة وممارسة العفو.



أظهرت التجارب الدولية السابقة أنّ القفز على إحدى هذه الركائز وتجاوزها يقوّض عملية المصالحة برمتها، بحيث يكون من المرجح جدًا أن يتكرر العنف. وتُصنّف الركائز الأربعة في زوجين اثنين: "الحقيقة/الذاكرة" و "العدالة/العفو"، فالذاكرة يجب أن تُبنى على الحقيقة، وينبغي أن تُحكم العدالة بالعفو وإلا فإنها تتحوّل إلى مجرد عدالة جزائية انتقامية عوض أن تكون عدالة ترميمية.

### ألف) الحقيقة

من المهم أن يعرف المجتمع الذي يمرّ بمرحلة انتقالية وعملية مصالحة ما حدث بالضبط ومن فعل ماذا في الفترة المظلمة من تاريخه البعيد أو القريب، فللحقيقة مفعولٌ مخفّف وتساوم في التئام الجروح. وإذا كانت الحقيقة حقًا للفرد، ولا سيما الضحية وعائلته،

والمجتمع ككل، فهي أيضاً واجبٌ على كل فرد من أفراد المجتمع.

وفي المجتمع المسلم، من المنتظر أن يساهم الجميع في كشف الحقيقة واكتشافها. فإخفاؤها يُعتبر من كبار الذنوب. ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>3</sup>، ﴿لَمْ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>4</sup>. كما يرى أهل العلم أن الساكت عن الحق شيطان أخرس والمتكلم بالباطل شيطان ناطق.

### باء) الذاكرة

لكل مجتمع الحق وعليه واجب الحفاظ على ذاكرته الجماعية. فالحفاظ على الذاكرة لاستدعاء أحداث العنف في تاريخ المجتمع مفيد لتجنب تكرار الأحداث العنيفة، وعلى حد قول الفيلسوف إسباني الأصل خورخي سانتايارنا (George Santayana): "الذين ينسون ماضيهم محكومٌ عليهم بتكراره".

تبرز أهمية الذاكرة في الإسلام لكونها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعملية التذكر التي يؤكد القرآن الكريم على فضائلها التربوية. ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>5</sup>، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>7</sup>. إن من واجب المسلمين التعلّم من تاريخهم ومن تاريخ غيرهم، ويحتوي القرآن على العديد من قصص الشعوب القديمة، لكي يتأمل المسلمون في مصيرهم وتجاربهم ويستخلصون منها الدروس والعبر: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>8</sup>. ويؤكد القرآن الكريم على أنّ هذه القصص الثرية بالدروس مبنية على الحقائق وليس على تزييف التاريخ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾<sup>9</sup>.

### جيم) العدالة

إنّ العدالة شرطٌ أساسيٌّ لأيّ عملية مصالحة، فهي حقٌ لكلٍ من الضحية والمجتمع، تمنع الإفلات من العقاب الذي يؤدي إلى تكرار العنف. وثمة تمييز بين الحقوق "الفردية" أو "الخاصة" و"الحقوق" الجماعية" أو "العامة"، وفي حين يمكن للدولة أن

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

تتعامل مع "الحقوق الجماعية" وتمنح العفو لمن أساءوا إليها (بتشاور مسبق مع المواطنين من خلال الاستفتاء على سبيل المثال)، لا يمكن لها أن تتدخل في حالة "الحقوق الفردية"، فالشخص الذي تعرّض لانتهاك حقوقه الخاصة (أو ذووه) هو الطرف الوحيد الذي يمكنه منح العفو لمرتكب الجريمة.

في المجتمعات التي تمرّ بعملية مصالحة (المجتمعات الانتقالية، أنظر الفصل التاسع عن "عملية الانتقال الديمقراطي")، ينبغي للعدالة أن تكون رمزية وتعويضية وتصالحية أكثر منها جزائية (عقابية)، وقد تتحوّل إلى عدالة انتقامية في غياب المعايير الأخلاقية الصارمة، مما يتنافى مع التعاليم الإسلامية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ عَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۚ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلُونَا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾<sup>10</sup>، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>11</sup>، ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۚ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>12</sup>.

إن العدالة الترميمية تعطي الضحايا إحساسًا بالإنصاف من خلال الاعتراف - شفهيًا أو من خلال أفعال رمزية - بوقوع ظلم في حقهم وتعرّضهم للضرر. كما يجب أن يكون التركيز على استرداد الخسائر والتعويضات وجبر الضرر. ومن الواضح أنّ هذا النهج يتطلب المشاركة الطوعية للضحية والجاني والمجتمع نحو هدف مشترك ألا وهو إعادة العلاقات المحطّمة وتضميد الجراح ومنع تكرار العنف.

## دال) العفو

العفو أداة أساسية في أيّ عملية مصالحة، لأنه يمكن من استعادة الصلة المقطوعة بين الضحية والجاني والمجتمع بشكل عام، ويمكن أن يؤدي إلى نوع من التحويل الأخلاقي

وتحرير كل من الجاني والضحية.

والغفران قيمة أساسية في جميع الثقافات والتقاليد الدينية. ففي الإسلام مثلاً، ترتبط العديد من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى بالمغفرة: الرحمن، الرحيم، الغفار، التواب، العفو، الغفور.

وبما أنه بالنسبة للمسلمين صفات الله تعالى هي مراجع مطلقة وحدود إرشادية لسعيهم نحو الكمال، فهم يعتبرون الغفران البشري وسيلة للتعبير عن مغفرة الله والاقتراب منه. علاوة على ذلك، فإن العفو عملٌ من أعمال الأنبياء الذين هم قدوة يتبعها المؤمنون. فبعد الاضطهاد الذي تعرّض له من قومه، خاطب السيد المسيح عليه السلام الله قائلاً: "اغْفِرْ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ"<sup>13</sup>، وهذه هي نفس الكلمات التي استخدمها النبي محمد صلى الله عليه وسلم في مدينة الطائف التي قصدها للبحث عن مأوى، إلا أنه استقبل بازدراء ووعول بعنف فزمي بالحجارة وأدمي وجهه وقدماه وكسرت بعض أسنانه، لكنّه مع ذلك رفع يديه إلى السماء وهو يمسخ الدم عن وجهه الكريم، وقال: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ".

والآيات القرآنية التي تحث على العفو كثيرة: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾<sup>14</sup>، ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>15</sup>، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>16</sup>، ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>17</sup>، ﴿إِن تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ نَخَفُوا أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾<sup>18</sup>.

لكن العفو في الإسلام خيارٌ يجب أن يتم طوعاً وبكل حرية. ولا يمكن الأمر به بمرسوم أو الحصول عليه تحت الضغط أو التهديد. فحق الضحية في معاقبة الجاني مضمون، حتى وإن تمّ حثّه على تبني نهج ترميمي أكثر منه جزائيًا. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۗ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾<sup>19</sup>.

كما يشير القرآن إلى أن قانون الثأر الذي نصت عليها التوراة مصحوبٌ بدعوة للعفو الذي يُعتبر بمنزلة الصدقة: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>20</sup>، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ۗ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾<sup>21</sup> والسلطان الذي جعله الله لولي الضحية هو قرار المطالبة بالعقاب أو الصَفْح، وتحت الآيه على عدم المبالغة في المطالبة بالانتقام وعلى انتهاج العفو. بالإضافة إلى ذلك، يتعين على الجاني الذي حصل على العفو أن يبادر بلفتة لجر الضرر تجاه الضحية أو عائلته، على النحو الذي أوصت به الآيه القرآنية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ۗ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۗ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>22</sup>.

ثمّة شروط مسبقة للعفو، فيجب على الضحية أولاً معرفة الحقيقة وفهم ما حدث ولماذا. كما يجب أن يظهر الجاني إشارات تدلّ على استعداده لتلقي العفو، والاعتراف بخطئه والندم عليه<sup>أ</sup>.

#### 4. آليات وأدوات المصالحة

بالإمكان الاطلاع على التقرير<sup>23</sup> الذي أعدّه لوي جوانيه (Louis Joinet) للجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة (مجلس حقوق الإنسان حالياً) سنة 1996، الذي يناقش الآليات التي ينبغي اتباعها لإنجاح عملية المصالحة، والتقرير<sup>24</sup> الذي نشره مركز دراسات الأمن بزورخ سنة 2009 بخصوص التعامل مع إرث الماضي.

<sup>أ</sup> استخدمت لجنة الحقيقة والمصالحة (TRC) في جنوب أفريقيا مبدأ C3 مقابل A، أي الاعتراف (Confession)، والندم (Contrition)، والتعويض (Compensation) مقابل العفو (Amnesty).

## ألف) الحق الفردي والجماعي في معرفة الحقيقة

يتم استخدام عدد من الآليات والأدوات لحماية حق/واجب الحقيقة مثل:

— الاعتراف الرسمي والعلني وربما الاعتذار، فالإقرار بالمسؤولية يطفى نوعًا ما الأحقاد ويخفف من حدة العواطف العدوانية؛

— لجان الحقيقة وبعثات تقصي الحقائق. تقوم لجان الحقيقة بالتحقيق في أنماط الجرائم التي اقترفت خلال مرحلة الخلاف العنيف، وفي سلوك المؤسسات، وفي أسباب وآثار الجرائم والمظالم. وتحاول الإجابة على أسئلة من قبيل: ما هي الحقوق التي انتهكت؟ من طرف من؟ كيف؟ متى؟ أين؟ لماذا؟ وتعتبر لجان الحقيقة منابر وأرضيات للضحايا تُسمع فيها مصائبهم وشكاواهم، ويُعترف بالآلم، وذلك يخفف من أضرارهم النفسية. كما أنّ لجان الحقيقة أدوات لإعادة بناء الأسس الأخلاقية لمجتمعات ما بعد الخلاف العنيف. فخلال الحرب وأثناء القمع، تنهار القيم الأخلاقية والمدنية، ويتفشى القتل والظلم والفساد، وينتشر الشعور بمشاركة كل المجتمع في الجرائم وفي الانهيار الأخلاقي الواسع. ويفضي كشف الحقائق إلى تحديد المسؤوليات، وفكّ المسؤوليات الفردية من المسؤوليات الجماعية، وذلك من شأنه أن يساهم في إعادة البناء الأخلاقي للمجتمع. إذن لجان الحقيقة هي لحظات تأسيسية للنظام الجديد الذي يتبع الخلاف العنيف؛

— الوصول إلى الأرشيف، والاطلاع على سجلات الأمن والعسكر والمخابرات؛

— الحفاظ على الأدلة وحمايتها من الإتلاف لتظل في متناول السلطة القضائية؛

— الأنثروبولوجيا الجنائية والطبّ الشرعي لتحديد هوية الجثامين والتعرّف على مصير المفقودين.

## باء) الحق في الحفاظ على الذاكرة الجماعية

يمكن استخدام عدد من الآليات والأدوات لحماية حق/واجب الذاكرة: جمع الشهادات وتدوينها، التوثيق والأرشفة والحفاظ على المستندات المتعلقة بالانتهاكات الجسدية لحقوق الإنسان، المتاحف المتخصصة، الأضرحة والمقامات التذكارية كشواهد على الجبروت والقمع والعنف، وعلى البطولات وسير الشهداء، الاحتفالات الوطنية والمحلية، استخدام الأدب وتوظيف الفن، إعداد المناهج المدرسية الملائمة، إلخ.

## جيم) الحق في العدالة

من أجل حماية الحق في العدالة، يجب تحديد المسؤوليات في الجرائم المرتكبة وفي انتهاكات حقوق الإنسان وتحديد هوية الجناة، ويجب محاكمة المسؤولين عن الجرائم التي تُعتبر جسيمة في القانون الدولي لحقوق الإنسان ولا يجوز فيها العفو، في حين يجب استبعاد الآخرين (بشكل مؤقت أو دائم) من مناصب المسؤولية. كما يجب صياغة سياسة وطنية للعفو في ما يخص الحق العام بناءً على حوار وطني جامع، والحثّ على العفو في ما يخص الحق الخاص وما يجوز فيه العفو.

## دال) الحق في التعويض المعنوي والمادي

يجب جبر الضرر الفردي والجماعي عبر عدد من الآليات:

— إعادة الاعتبار للضحايا ليستعيدوا مناصبهم المهنية ومراكزهم السياسية ومواقعهم الاجتماعية السابقة؛

— تعويض الضحايا عن الضرر البدني أو العقلي، بما في ذلك التعويض عن الفرص الضائعة، وعن الأضرار المادية، وما نجم من أذى عن حملات التشهير؛

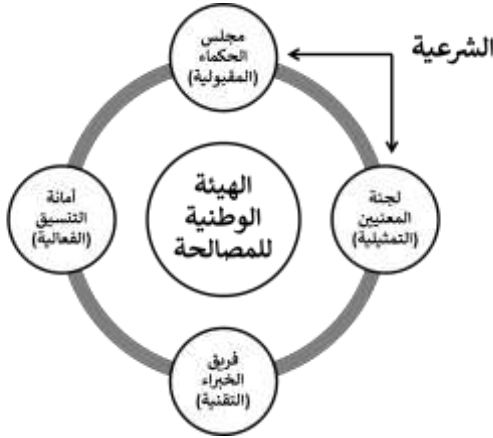
— تعويض الضحايا عن تكاليف المساعدة القانونية وإعادة التأهيل، أي كل ما يدخل ضمن تكاليف الرعاية الطبية، بما في ذلك الطب النفسي.

## هاء) الحق في تأمين عدم تكرار الانتهاكات

يتم ذلك بتطهير مؤسسات الدولة بإبعاد المتورطين في الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان من مراكز المسؤولية، وإعادة تنظيم القوات المسلحة لتخضع لرقابة ممثلي الشعب، وبإصلاح مؤسسات الدولة وفقاً لقواعد الحكم الرشيد وسيادة القانون.

### 5. تصميم عملية المصالحة

لا بد لأي مشروع مصالحة أن يكون: (1) وطنياً: أي أن يتحكّم أهل البلد في كلّ مراحلها مع الاستعانة بالخبرات الأجنبية والاستفادة من التجارب الدولية، بتكليفها مع السياق السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي المحلي؛ (2) مؤسستياً: أي أن يعتمد على عمل مؤسساتي غير مرتجل؛ (3) جامعاً: أي شاملاً لا يقتضي شريحة أو فئة من المجتمع معنية بمسألة المصالحة؛ (4) متكاملًا: أي أن يُقارب مسألة المصالحة من كافة جوانبها. ويجب أن يلبّي مشروع المصالحة مواصفات المقبولية والتمثيلية والشرعية والتقنية والفعالية. ويمكن اعتماد النموذج الآتي لتأسيس هيئة وطنية للمصالحة:



يضمن مجلس الحكماء مقبولية الهيئة الوطنية للمصالحة، وتضمن لجنة المعننين التمثيلية للهيئة، ويضمن المجلس واللجنة معاً شرعية الهيئة الوطنية للمصالحة. ويضمن لها فريق



## مدخل إلى ترشيح الخلاف

الخبراء التقنية، وأمانة التنسيق الفعالية.

### ألف) مجلس الحكماء

يتكوّن مجلس الحكماء من أعيان مشهود لهم بالاستقامة والنزاهة، يحظون بالاحترام محليًا ووطنًا، ويتشكّل أساسًا من ممثلين عن كافة مكونات المجتمع (المناطق والقبائل والإثنيات، إلخ.). يمكن للمجلس أن يضم عددًا محدودًا من الشخصيات الاعتبارية الأجنبية المقبولة محليًا، بصفة فخرية أو كمرقبين.

يقوم مجلس الحكماء بالآتي: (1) اعتماد سياسيات وخطط عمل الهيئة؛ (2) تلقي آراء ومقترحات لجنة المعنيين وفريق الخبراء؛ (3) الإشراف على آليات الحقيقة والعدالة والذاكرة والعفو.

### باء) لجنة المعنيين

تتكوّن لجنة المعنيين من ممثلين عن كافة شرائح وفئات المجتمع المعنية بعملية المصالحة ومنها: (1) الضحايا وأهالي الضحايا؛ (2) الجرحى وأهاليهم؛ (3) الدوائر الحكومية (العدل، الدفاع، الداخلية، الشهداء، المالية)؛ (4) الأحزاب السياسية؛ (5) رجال الدين؛ (6) منظمات المجتمع المدني (الحقوقية والخيرية والنسوية والشبابية).

تقوم لجنة المعنيين بالآتي: (1) طرح انشغالات وتطلّعات كافة شرائح وفئات المجتمع؛ (2) إبداء الرأي في سياسيات وخطط عمل الهيئة؛ (3) المساهمة في دعم تطبيق قرارات الهيئة.

### جيم) فريق الخبراء

يتكوّن فريق الخبراء من أخصائيين في دراسات السلم وتحويل الخلاف وفي علم الاجتماع وعلم النفس وفي السياسة والتاريخ. ويتشكّل من خبراء محليين ومتعاونين

أجانب ثقافات.

يقوم فريق الخبراء بالآتي: (1) جرد كل ما تطرحه تركة الماضي من إشكالات؛ (2) اقتراح الإصلاحات الواجب اتخاذها.

### دال) أمانة التنسيق

تتكوّن أمانة التنسيق من موظفين إداريين وتقوم بالآتي: (1) دور همزة وصل بين مجلس الحكماء ولجنة المعنيين وفريق الخبراء؛ (2) التواصل بين الهيئة والسلطات المحلية والوطنية المدنية والعسكرية؛ (3) تقديم الدعم اللوجستي لمجلس الحكماء ولجنة المعنيين وفريق الخبراء؛ (4) تنظيم اللقاءات ودورات التوعية والتدريب.

### 6. خلاصة

المصالحة مرحلة هامة وحساسة من مراحل ترشيده الخلاف - تلي مرحلة التوصل إلى صلح ومرحلة الإصلاح/فض الخلاف - هدفها معالجة الآثار النفسية والاجتماعية للخلاف والتطلع إلى مستقبل مشترك.

تقوم المصالحة على أربع ركائز وهي الكشف عن الحقيقة والحفاظ على الذاكرة وتحقيق العدالة وممارسة العفو. ولإنجاح عملية المصالحة يجب استعمال الآليات والأدوات التي تضمن الحق الفردي والجماعي في معرفة الحقيقة، والحق في الحفاظ على الذاكرة الجماعية، والحق في العدالة الترميمية، والحق في التعويض المعنوي والمادي، والحق في تأمين عدم تكرار الانتهاكات. ولا بد لأي مشروع مصالحة، لكي يكون له حظ من النجاح، أن يكون وطنياً، مؤسسياً، جامعاً ومتكاملاً.

مدخل إلى ترشييد الخلاف

---

---

# الفصل التاسع

## عملية الانتقال الديمقراطي

---

---

### المحتويات

156.....	1. مقدمة
156.....	2. أنظمة الاستبداد والفساد
157.....	3. ثنائية الحفرة/الحفرة: عرضان لنفس المرض الاجتماعي
160.....	4. الانتقال السياسي
160.....	1.4 أشكال الانتقال
162.....	2.4 تحديات المرحلة الانتقالية
163.....	3.4 الحوار الوطني
163.....	1.3.4 تعريف الحوار الوطني
164.....	2.3.4 إطلاق الحوار الوطني
164.....	3.3.4 هيكلية الحوار الوطني
165.....	4.3.4 عوامل نجاح أو فشل الحوار الوطني
166.....	5. خلاصة

## 1. مقدمة

تؤدي أنظمة الاستبداد والفساد إلى انعدام الاستقرار داخل المجتمعات وإلى احتقان عادة ما يؤدي إلى العنف. وقد تنتهج هذه المجتمعات طرقًا مختلفة للتغيير السياسي والانتقال من وطأة هذه الأنظمة إلى سعة دولة القانون والحكم الراشد، منها الناجع ومنها ما دون ذلك.

يعرض هذا الفصل خصائص الأنظمة التسلطية الفاسدة وتداعياتها على المجتمع، وأشكال الانتقال السياسي وتحدياته العويصة، كما يؤكد على ضرورة نهج الحوار الوطني الجامع أثناء المرحلة الانتقالية ويبيّن شروط نجاحه.

## 2. أنظمة الاستبداد والفساد

تعيش العديد من الشعوب تحت نير أنظمة تفتقد إلى الشرعية وتتسم بالتسلط والقمع والفساد. وبدلاً من القيام بمهمتها الأساسية المتمثلة في ضمان الاحتياجات الأساسية لمواطنيها خاصة الغذاء والسلام والأمن، فإنّ همتها الوحيدة هي السيطرة على السلطة السياسية، واحتكار ثروة الأمة، مستعملة لتلك الغاية، كما هو مبين في الرسم البياني الآتي، القوات المسلحة ورجال الدين والمال العام لإقامة الدكتاتورية ونشر الفساد.



### 3. ثنائية الحفرة/الحرق: عرضان لنفس المرض الاجتماعي

ينجم عن تحكّم الأنظمة التسلطية الفاسدة في المجتمعات قدرٌ عالٍ من العنف الهيكلية أو البنيوي، أيّ كلّ ما من شأنه أن يحول دون تلبية الاحتياجات الأساسية لحياة الفرد والجماعة، ويُطلق على هذا النوع من العنف في الدول المغاربية لفظ "الحفرة" (من الاحتقار) الذي يشير إلى الإحساس بالظلم والشعور بالإهانة في آن واحد. وتتمثّل مظاهر الحفرة في عدم ضمان الاحتياجات الأساسية، وانتهاك حقوق الإنسان، والظلم الاجتماعي والانحدار الاقتصادي وتدهور الخدمات العامة وانعدام الحياة الكريمة، وعدم الاعتبار، والثراء الفاحش المحيط والغنى السريع، والبطالة، وانتشار الفقر المصطنع، وانعدام المشاركة السياسية، والتزوير الانتخابي، والقهر والقمع، والفساد وهشاشة الدولة أو فشلها وفقدان الشرعية، إلخ. ممّا يؤدي إلى الإحباط والقيود، وانعدام الأمل والحلم، وانسداد الأفق لدى المواطنين، ومنه إلى انعدام التضامن، وانتشار الأنانية، والعزلة، والفساد القسري في المجتمع.

ولمواجهة هذه الحفرة فإنّ ردّة فعل المجتمعات، خاصة شريحة الشباب، تكون في غالب الأحيان إما سالبة أو موجبة عنيفة. وللتعبير عن ردّة الفعل هذه يُستعمل لفظ الحرق، وقد صيغت هذه الكلمة لأول مرة من قبل الشباب المغربي الذي يقرّ من شمال أفريقيا للبحث عن حياة أفضل في أوروبا، عابراً البحر الأبيض المتوسط في قوارب هشة. وعندما تصل القلّة منهم الذين لا يموتون غرقاً، إلى الضفة الأوروبية، يقومون على الفور بحرق أوراق هويتهم، لتجنّب التعرّف على جنسياتهم من طرف السلطات الأوروبية وتحويلهم إلى بلدانهم الأصلية.

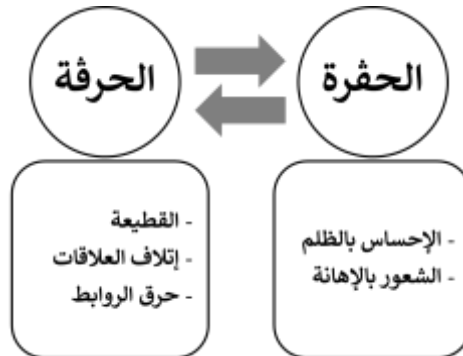
غير أن مصطلح الحرق يمكن استعماله لتوصيف فئة واسعة من ردود الفعل السالبة أو الموجبة العنيفة على العنف الهيكلية (الحفرة). فالحرق تعيد القطيعة واتلاف العلاقات وإحراق الروابط. ويمكن أن تشير الحرق إلى واحد من المواقف والسلوكات الآتية:

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

- مغادرة الفضاء السياسي والاجتماعي: الانسحاب واعتزال الشأن العام
- مغادرة الفضاء المدني: المقاومة المسلحة
- مغادرة الوطن: الهجرة بأنواعها وخاصة نزيف الأدمغة ولاجئي القوارب
- مغادرة الحياة: الانتحار بأنواعه وخاصة إحراق النفس

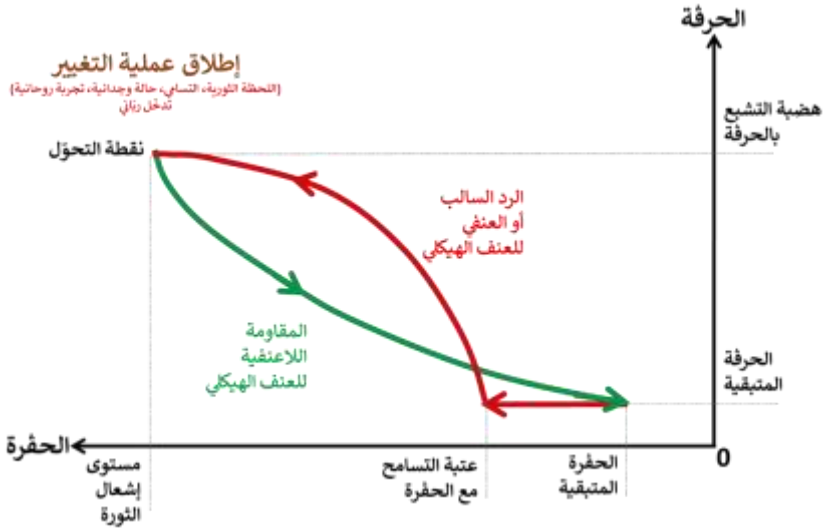


يوضح الرسم البياني الآتي العلاقة بين الحفرة والحفرة الذين يمثلان عرضين لنفس المرض الاجتماعي، يغذيان بعضهما البعض.



## عملية الانتقال الديمقراطي

لا يوجد مجتمع مثالي (طوبوي) في الواقع، فكل المجتمعات، حتى التي يسود فيها القانون والحكم الرشيد، تعيش مع وجود درجة معينة متبقية من ثنائية الحفرة/الحرقة. وعندما تتفاهم الحفرة يصبر عليها المجتمع إلى ما يمكن تسميته بـ"عتبة تحمل" الحفرة والتسامح معها، كما يبيّنه الشكل الآتي.



وبعد تجاوز هذه العتبة يلجأ بعض أعضاء المجتمع إلى ردود فعل سلبية أو موجبة عنيفة كما سبقت الإشارة إليه. وبتزايد انتشار وشدة هذا النوع من ردود الفعل إلى أن يصل المجتمع إلى درجة عالية من الإرهاق (هضبة التشعب بالحرقة). ثم تأتي لحظة مناسبة يحدث فيها انعطاف للمنحنى. وينطلق شكل آخر من أشكال ردة الفعل على العنف الهيكل: العمل اللاعنفي الذي يعيد المجتمع إلى حالته الطبيعية (أنظر الفصل الحادي عشر عن "اللاعنف في العالم العربي والإسلامي"). ويكون مستوى الحفرة المرتبط بمستوى اشتعال الانتفاضة/الثورة وتوقيت انطلاق التغيير اللاعنفي محددًا بالسياق ولا يمكن التنبؤ به.



#### 4. الانتقال السياسي

مسار الانتقال أو التحوّل أو العبور السياسي أو الديمقراطي هو عملية المرور من نظام الاستبداد والفساد إلى دولة القانون والحكم الرشيد.



أثناء المرحلة الانتقالية يكون الحديث عن المجتمع الانتقالي والتحديات الانتقالية والعدالة الانتقالية، وثمة حتى مجال تخصص في العلوم السياسية يُسمّى علم الانتقال (Transitology).

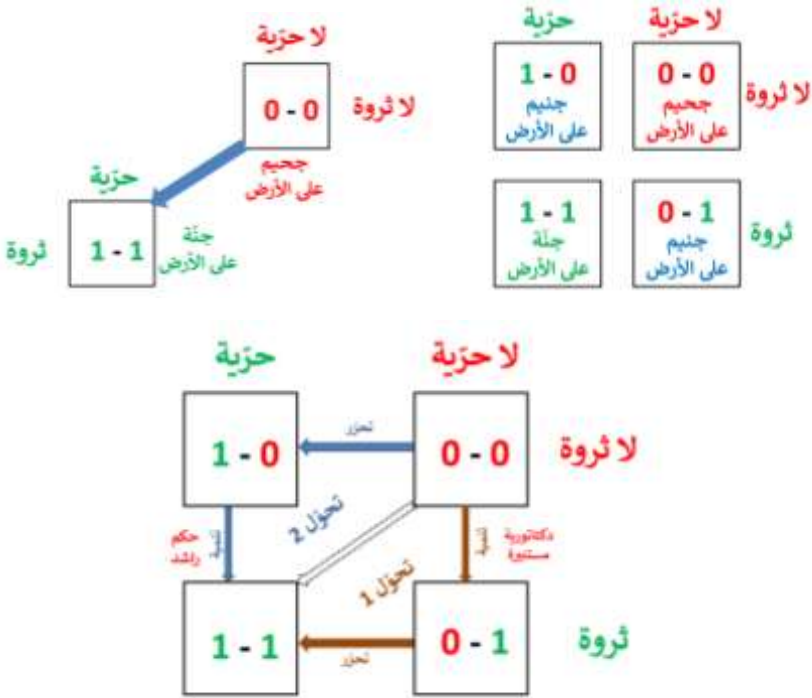
وتُعرف العدالة الانتقالية بأنها مجموعة الأساليب التي يمكن للدول استخدامها لمعالجة انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان، وتشتمل على توجهات قضائية وغير قضائية. فهي مجموعة من السياسات والإجراءات والمؤسسات التي يمكن أن تُسنّ في مرحلة تحوّل سياسي من فترة عنف وقمع إلى فترة استقرار سياسي.

#### 1.4 أشكال الانتقال

يمكن استعمال مقياسين اثنين لتقييم النظام السياسي الذي يسود مجتمع ما: توقّر الحرية للجميع وتوقّر الثروة الموزّعة بالقسط على الجميع، أو عدم توقّر الحرية والثروة. ويمكن بناءً عليه اعتبار أربع حالات كما يبيّنه الشكل الآتي: (1) عدم توقّر لا الحرية ولا الثروة؛ (2) توقّر الحرية وعدم توقّر الثروة؛ (3) توقّر الثروة وعدم توقّر الحرية؛ (4) توقّر كلّ من الثروة والحرية. فيكون الهدف من الانتقال هو الاتجاه من الحالة الأولى إلى الحالة الرابعة. والانتقال مباشرة من (1) إلى (4) أمرٌ صعب، بل قد يكون مستحيلًا. لذلك فإنّ عمليات الانتقال تتمّ عادةً بمرحلتين: إمّا (1) مرحلة ضمان الثروة (التنمية) تليها مرحلة ضمان الحرية (الديمقراطية)، ونجاح هذا السيناريو مشروط بتوقّر

## عملية الانتقال الديمقراطي

دكتاتورية مستنيرة تدير عملية التنمية؛ أو 2) مرحلة ضمان الحرية (الديمقراطية) تليها مرحلة ضمان الثروة (التنمية)، ونجاح هذا السيناريو مشروط بتوقّر حكم راشد يرافق الديمقراطية.



يبين الجدولان الآتيان بعض سيناريوهات الانتقال من الدكتاتورية إلى الديمقراطية.

القوة النسبية للنخب والجمهير ←	كلمة النخب هي العليا	كلمة الجماهير هي العليا
إستراتيجية الانتقال ↓	(من فوق إلى أسفل)	(من تحت إلى أعلى)
القوة	إكراه	ثورة
التوافق	اتفاق	إصلاح

Terry Lynn Karl. Dilemmas of Democratization in Latin America.

Comparative Politics Vol. 23, No. 1, pp. 1-21 (1990).

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

لا عنف	عنف	الطريقة
		← الجهة الفاعلة ↓
تسليم	انقلاب عسكري	السلطة
تفاوض	تحالف ثنائي	السلطة + المعارضة
مقاومة مدنية	مقاومة مسلحة	المعارضة
ثورة لونية	تحالف ثنائي	المعارضة + طرف خارجي
إقناع ناعم	تدخل عسكري	طرف خارجي
وساطة	تحالف ثلاثي	السلطة + المعارضة + طرف خارجي

نلاحظ أنّ أفضل السيناريوهات هو "التسليم"، مثل ما حدث في إسبانيا في الفترة (1975-1977)، بينما أسوأ السيناريوهات هو "التدخل العسكري" الخارجي، مثل ما حدث في العراق (2003).

### 2.4. تحديات المرحلة الانتقالية

يعمل الاستبداد على كبت الحريات وهضم الحقوق، فتكون التناقضات خفية والخلافات كامنة. وعندما يجلّ مناخ الحريات، يتخلّص المجتمع من الخوف ويبادر أصحاب المصالح والحقوق والحاجيات إلى المطالبة بها. تُعدّ إذن مرحلة الانتقال (التحوّل، العبور) الديمقراطي فترة حرجة محفوفة بالمخاطر، تكون فيها الدولة في وضع هشّ، ممدّدة بالعديد من الخلافات التي قد تؤوّل إلى العنف. وغالبًا ما تساهم أطراف داخلية وخارجية في تأجيج الخلافات والدفع بها إلى العنف من أجل إفشال الانتقال الديمقراطي.

ومن تحديات المرحلة الانتقالية أنّ القائمين عليها مطالبون بالتعامل مع الماضي والحاضر والمستقبل في آن واحد. يتمّ التعامل مع الحاضر بضمان الحاجيات الأساسية للمواطنين

## عملية الانتقال الديمقراطي

وذلك عبر إنتاج وحماية الثروة وتوزيعها توزيعاً عادلاً، وحماية وترقية مكونات الهوية للأفراد والمجموعات. ويتم التعامل مع الماضي (البعيد والقريب) بإطلاق مصالحة حقيقية. أما التعامل مع المستقبل فيتم عبر بناء المؤسسات وتعزيزها.



### 3.4. الحوار الوطني

#### 1.3.4. تعريف الحوار الوطني

الحوار الوطني هو إطار تفاوضي رسمي جامع واسع وتشاركي يُستعمل لحلّ أزمة سياسية والتحضير للدخول في مرحلة انتقالية، وهو طريقة لإعادة تعريف العلاقة بين الدولة والفاعلين السياسيين والمجتمع ككلّ عبر التفاوض للوصول إلى عقد اجتماعي جديد. ومن مزايا الحوار الوطني أنه يعمل على تحويل المظالم والمطالب من الشوارع والساحات العمومية إلى مسار رسمي، وهو بذلك يقي من مخاطر العنف، إذ يفتح مجالاً لمعالجة القضايا ذات الاهتمام الوطني التي برزت خلال الانتفاضات السياسية السلمية أو العنيفة.

جرت في العالم العربي منذ 2011 عدة حوارات وطنية منها ما كُمل بالنجاح ومنها ما كان مصيره الفشل<sup>1</sup>.

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

### 2.3.4. إطلاق الحوار الوطني

تفيد التجارب التاريخية للحوار الوطني بأنه خلال الانتفاضات الكبرى التي تهدف إلى التغيير السياسي والاجتماعي، تبرز قوى داعمة للتغيير (مدنية وعسكرية) وقوى مقاومة للتغيير (مدنية وعسكرية). وعادة ما ترى النخب الحاكمة (جزءاً منها مقاوم للتغيير) الحوار الوطني كأداة لاستعادة الشرعية والتحكم في مسار التفاوض ومخرجاته. بينما تعتبر القوى التي تسعى إلى التغيير الحوار الوطني فرصة لإعادة النظر في مستقبل الدولة. وقد استفادت الحوارات الوطنية التي أفضت إلى مرحلة انتقالية مستديمة من: (1) توافق بين النخب؛ و (2) مساندة الجماهير؛ و (3) الدعم الدولي.

ولا بدّ لإطلاق الحوار الوطني من إجراءات مسبقة لبناء الثقة مثل استقلالية القضاء، وحرية الصحافة والإعلام، وفتح مجال العمل السياسي والجمعوي، والكف عن المضايقات والمتابعات، وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين وسجناء الرأي.

### 3.3.4. هيكله الحوار الوطني

الحوار الوطني عملية ينبغي أن تكون ذات هيكله واضحة. وهو عادة يتكوّن من جلسات عامة ومجموعات عمل تشتغل بالموازاة على ملقات محدّدة. كما ينبغي أن يخضع الحوار الوطني لقواعد وإجراءات محدّدة لمساره ولعملية اتخاذ القرار. إنّ إجراءات إعداد وإنجاز الحوار الوطني وتنفيذ مخرجاته وخاصة طرق اختيار المشاركين وقواعد اتخاذ القرار، تحدّد مدى مقبولية العملية واعتبارها تمثيلية وشرعية.

إنّ الطابع الجامع للحوار الوطني وانخراط كافة شرائح المجتمع فيه يضمن تبنى مخرجاته واستدامة تنفيذها، ولذلك يجب أن يشارك فعلياً في الحوار الوطني النخب الحاكمة (المدنية والعسكرية) والنخب المعارضة (السياسية والمسليحة)، ومنظمات المجتمع المدني، ورجال الدين والأعيان، والنساء والشباب، وقطاع الأعمال.

يجب أن تكون مخرجات الحوار الوطني نتائج المداولات وليست معطيات مسبقة. ترافق الحوار مشاورات واسعة في المجتمع تصبّ مخرجاتها التي تعبّر عن مطالب

## عملية الانتقال الديمقراطي

الشعب في عملية الحوار الرسمية: نقاشات الشباب والاتحادات المهنية، ورشات العمل، عمل اللجان، إلخ.

### 4.3.4. عوامل نجاح أو فشل الحوار الوطني

في دراسة حديثة (2017) لتجارب عالمية شملت 17 حوارًا وطنيًا في 12 دولة جرت بين 1990 و 2014، تهدف إلى تحديد عوامل نجاح أو فشل الحوارات الوطنية، توصل الباحثون<sup>2</sup> إلى تحديد 14 عاملاً: 6 متعلقة بالسياق السياسي و 6 متعلقة بتصميم مسار الحوار الوطني.

### ألف) السياق السياسي

1- رفض أو دعم النخب الوطنية لمبادرة الحوار الوطني: الحوارات الوطنية الأقل نجاحًا هي التي استعملتها النخب الوطنية كأداة لكسب الشرعية السياسية.

2- الدعم الشعبي للحوار: الدعم حيوي في كلّ مراحل الحوار من الإعداد إلى تنفيذ المخرجات. وقد يضعف الدعم في حالات انخفاض الشرعية أو التذمّر من عدم إحراز تقدّم.

3- دعم أو مقاومة الأطراف الإقليمية والدولية: العديد من الأطراف الإقليمية والدولية تتدخل في عملية الحوار الوطني مباشرة أو بالوكالة.

4- توقّر ثقافة الحوار والخبرة في إدارته: تجارب الحوار السابقة على المستوى الوطني وتوقّر الخبرة التقنية في الوساطة والتيسير.

5- تجارب وخبرات مفاوضات سابقة: القدرة على الاستفادة من الدروس المستخلصة من تجارب الحوار الوطني في سياقات أخرى خاصة القريبة.

6- العنف: عامل أساسي يحدّد القدرة على الوصول إلى توافق وتنفيذ مخرجات الحوار.

## باء) تصميم المسار

1- التمثيل وعدد وطريقة اختيار المشاركين: من أقلّ من 100 مشارك إلى ما يقارب 3000.

2- إجراءات اتخاذ القرارات: تحدّد شرعية المخرجات (توافق أو أغلبية).

3- اختيار المسيرين/الميسرين للحوار: الشرعية والمصادقية والتجرد وعدم التحيز والإرادة والمهارات والإحاطة بالسياق والتواضع والصبر والمرونة والإبداع والصدق.

4- مدة الحوار: من أسبوع إلى أكثر من سنة.

5- الهياكل الداعمة للأطراف المشاركة: الأطراف المشاركة قد لا تحيط بتفاصيل كلّ القضايا المطروحة للنقاش وتحتاج لدعم واستشارة من ذوي الاختصاص. أهمية مرافقة الحوار بمشاورات واسعة.

6- بناء التحالفات بين الأطراف المشاركة: يساهم في تسهيل عملية التفاوض.

## 5. خلاصة

تمثل أنظمة الاستبداد والفساد خطرًا على المجتمعات لأنها تحول دون أمنها وتهدد استقرارها وتعرقل ازدهارها، وتدفع بالمواطنين إلى انتهاج العنف كوسيلة للتغيير السياسي أو إلى الانزواء والابتعاد السلبي عن الشأن العام. وللتخلّص من هذه الأنظمة تنهج المجتمعات طرقًا مختلفة للتغيير أحسنها وأقلها كلفة هو النهج اللاعنفي التشاركي الذي لا يتطلب التدخل الخارجي. تمرّ المجتمعات التي تسعى إلى التغيير السياسي لإقامة دولة القانون والحكم الراشد بمرحلة انتقال مليئة بالتحديات يتعيّن خلالها على النظام الجديد التعامل مع تركة الماضي ومتطلبات الحاضر وتطلّعات المستقبل. ويُعتبر الحوار الوطني الجامع أهم آلية للتعامل مع هذه التحديات.

---

---

## الفصل العاشر

# التجاذب الأيديولوجي والتماسك المجتمعي

---

---

### المحتويات

169.....	1. مقدّمة .....
170.....	2. التجاذب الأيديولوجي والانتقال الديمقراطي .....
170.....	1.2. الجزائر .....
172.....	2.2. مصر .....
174.....	3.2. ليبيا .....
174.....	4.2. المغرب .....
175.....	5.2. تونس .....
177.....	3. المشهد السياسي في شمال أفريقيا .....
177.....	1.3. الموقف والسلوك السياسي: أربعة مقاييس للتمييز .....
178.....	أ) التصرف تجاه العسكرة .....
179.....	ب) مقارنة العلاقة بين الحكم والدين .....
179.....	ج) حجم التغيير الاجتماعي والسياسي المطلوب .....
180.....	د) الموقف من العنف .....



## مدخل إلى ترشيده الخلاف

- 2.3. تطبيق المقاييس على الحالة الجزائرية ..... 180
4. تعزيز التماسك في المجتمعات التعددية ..... 185
- 1.4. التماسك المجتمعي ..... 185
- 2.4. "التوافقات المتداخلة" لجون رولز ..... 187
- 3.4. "التعددية التعاهدية" حسب مؤسسة تمبلتون ..... 188
- 4.4. "الأصل والطريق والغاية" عند ابن قيم الجوزية ..... 189
- 5.4. مستويات الانتماء في صحيفه المدينة ..... 189
5. خلاصة ..... 192

## 1. مقدمة

من الطبيعي أن تضمّ المجتمعات البشرية تيارات أيديولوجية مختلفة تعكس التنوع الفكري داخلها، الذي يضمنه الحق في حرية المعتقد. وعندما تتفاعل التيارات الأيديولوجية المتباينة بشكل صحي، وتتعاون لخدمة الصالح العام، فإنها تشكل بذلك ثراءً فكرياً وتساهم في تقدّم المجتمع ونموّ الدولة. أمّا حين يصبح الاختلاف الأيديولوجي سبباً في التجاذب بين أجزاء من المجتمع وفي الاستقطاب الحادّ الذي يؤدي إلى اتّخاذ الآخر خصماً، بل عدواً، عوض اعتباره شريكاً، فإنّ ذلك يشكل تهديداً للتماسك المجتمعي وعائقاً للتطوّر.

تسعى الأنظمة التسلطية في كثير من الأحيان إلى تغذية كلّ أنواع الاستقطاب والاحتقان بهدف تمزيق وتفثيت المجتمع ليسهل التحكم فيه. فتعمل على عزل مكونات المجتمع العرقية واللغوية والدينية والفكرية ووضع كلّ مكون في "علبة" محكمة الإغلاق، فيقطع التواصل بينها ويستحيل التعارف والحوار، فتتقدم شروط بناء الثقة المتبادلة، ويُشكّل كلّ مكون في ذهنه الجمعي صورة نمطية سلبية عن المكون الآخر تساهم في تكريسها وسائل الدعاية الرسمية. ويتقلّد النظام التسلّطي بحكم الواقع مهمة "الوساطة" بين مكونات المجتمع وتحكيم الخلافات التي تنشعب بينها وإدارة العنف الذي ينجم عن ذلك، وذلك من شأنه أن يضعف كلّ الأطراف، فيحافظ النظام على قوّته النسبية، وعلى سيطرته المطلقة على المجتمع.

تمثّل التجاذبات الأيديولوجية تحدياً صعباً أثناء الانتقال الديمقراطي تحدّد كيفية التعامل معه نجاح أو فشل عملية الانتقال. فعادة عند التحوّل من حالة الدكتاتورية إلى الانفتاح السياسي تُسرّع مكونات المجتمع في تنظيم نفسها في جمعيات وأحزاب وتهرول إلى التنافس السياسي وهي لاتزال مكبّلة في "علب مغلقة"، لا يربطها شيء سوى الريبة والخاوف وانعدام الثقة المتبادلة الموروثة عن الماضي السياسي التسلّطي، فينقلب التنافس إلى تخاصم حادّ يجهض عملية الانتقال ويفتح المجال لعودة النظام

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

التسلطي من جديد وبوجه أبشع، متستراً وراء ذريعة أن المجتمع ليس جاهزاً للحرية السياسية وأنه (النظام) السد المنيع ضد حالة الفوضى.

يحاول هذا الفصل بداية تبيين الأثر السلبي للتجاذبات الأيديولوجية الحادة على الانتقال الديمقراطي مستشهداً بتجارب من شمال أفريقيا (الجزائر ومصر وليبيا والمغرب وتونس). ثم يتعرض للمشهد السياسي في شمال أفريقيا وللتجاذبات الأيديولوجية داخله، ويشدد على الحاجة إلى عدم اعتبار التيارات الأيديولوجية في هذه المنطقة كتناً متجانسة، بل النظر إليها كأطياف واسعة تضم جهات فاعلة ذات مواقف وسلوكيات سياسية متنوعة. ويقدم أيضاً نماذج يمكن الاسترشاد بها من أجل التعامل مع الاختلاف وتعزيز التماسك في مجتمع تعددي، مستمدة من التقاليد الغربية والإسلامية.

## 2. التجاذب الأيديولوجي والانتقال الديمقراطي

أثناء مراحل الانتقال من الحرب إلى السلم أو من نظام تسلطي إلى دولة القانون، وحين يكون البلد في وضع هش، من أكبر التحديات التي يوجهها المجتمع هو حسن تدبير التنوع الأيديولوجي والحيلولة دون أن يصبح ذلك التنوع تجاذباً واستقطاباً يمزق المجتمع ويفتته. وقد بينت التجارب، خاصة في شمال أفريقيا، أن سوء إدارة العلاقة بين التيارات الأيديولوجية المختلفة من شأنه أن يزعج بالبلد في أتون حرب أهلية أو يمكن النظام التسلطي من الاستمرار أو العودة من جديد إلى سدة الحكم. ولعلّ أبين الأمثلة عن ذلك هو ما وقع في الجزائر في نهاية ثمانينيات وبداية تسعينيات القرن الماضي، وما جرى في مصر بين 2011 و2013، وما عرفته ليبيا منذ ثورة فبراير 2011 وعرفه المغرب في 2011-2012، وما حدث في تونس قبل وأثناء وبعد ثورة ديسمبر 2010.

### 1.2. الجزائر

عرفت الجزائر ربيعها السياسي الأول في نهاية الثمانينيات من القرن الماضي. فالانتفاضة

## التجاذب الأيديولوجي والتماسك المجتمعي

التي عرفتها البلاد وبلغت أوجها في أكتوبر 1988، والتي وُوجهت في البداية بقمع شديد ذهب ضحيته المئات من الشباب الجزائري، أرغمت النظام على الانفتاح السياسي. فعُدِّل الدستور بما يناسب المرحلة الجديدة، وكُرِّست الحريات وأنشئت الأحزاب وأُسِّست الصحف وعرفت البلاد جُؤًا من الحيوية والانبعاث وعاد الأمل إلى نفوس المواطنين في إمكانية تحكّمهم في مصيرهم، وتفجّرت الطاقات فأصبح الجميع يرى خروج الجزائر من دائرة التخلف مسألة وقت قصير.

لم يتمّ التصميم لمرحلة انتقالية بشكل متقن فسارعت القوى السياسية ذات التوجهات الأيديولوجية المختلفة إلى التنافس السياسي البحت دور التفكير معًا في التواصل والتعارف وبناء الثقة وتصميم الإطار القيمي الذي يجري فيه هذا التنافس، ففانم التجاذب الأيديولوجي خاصة بين التيارين الإسلامي والعلماني (اللائيكي)، الذي كان قائمًا قبل الانفتاح السياسي واستثمر فيه النظام في السبعينيات والثمانينيات لضرب الأطراف بعضها ببعض والتفترغ لاحتكار السلطة والثروة. وساهم في استفحال التجاذب الإسلامي-العلماني المتطرفون المغالون المنتطعون من كلا الطرفين بخطاباتهم الحادّة تجاه الآخر التي وصلت في بعض الأحيان إلى حدّ التكفير الديني أو الأيديولوجي وإلى درجة الشيطنة والتخوين والإقصاء من دائرة الوطنية. بالإضافة إلى الاستقطاب الأيديولوجي برز تجاذبٌ حدّ بين قوى سياسية تنتمي إلى نفس المرجعية داخل التيار الإسلامي وداخل التيار العلماني وتنافسٌ على تمثيل التيارات الفكرية في المجتمع. كلّ ذلك أدى إلى انعدام الثقة المتبادل وإلى المخاوف المتبادلة. ولم تُطلق حينها أيّ مبادرة جادّة من أجل تبديد المخاوف وإعادة بناء الثقة.

نُظمت أوّل انتخابات محلية تعدّدية في 12 جوان 1990، ثمّ تلتها انتخاباتٌ تشريعية جرى دورها الأوّل في 26 ديسمبر 1991. لم تقبل القيادة العسكرية بانتخابات حرّة ونزيهة نتأجها خارجة عن سيطرته فقررت إيقاف العملية الانتخابية والمسار الديمقراطي برمّته، وقامت بانقلاب على الشرعية الشعبية. فانجّر جزءٌ من التيار العلماني لمساندة الانقلاب العسكري، بل طالب به، مبرّرًا ذلك بالمخاوف التي يشعر

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

بها تجاه الطرف الإسلامي. كما انخرط جزء من التيار الإسلامي في العملية الانتقالية - نكاية بمنافسيهم الإسلاميين الذين فازوا في الانتخابات - وأضافوا شرعية على الهياكل الانتقالية بقبولهم الانضمام إلى برلمان وحكومة عيّنها العسكر، مُثنيين على "الدبابة التي حمت الديمقراطية".

سمح الاستقطاب الأيديولوجي والتجاذب السياسي الذي وأكب المرحلة الانتقالية في الفترة 1989-1991 للنظام العسكري من إعادة النموذج والعودة إلى التحكم في الشأن السياسي بشكل أكثر فحاجة من قبل. وتلا الانقلاب عشرية حمراء من العنف والعنف المضاد، وحرب قذرة راح ضحيتها ما يقارب ربع مليون جزائري وجزائرية.

منذ منتصف تسعينيات القرن الماضي تم إطلاق العديد من المبادرات للتجسير بين التيارات الجزائرية العلمانية والإسلامية.<sup>1</sup> ويفضل هذه المبادرات والدروس المستفادة من الربيع الجزائري الأول، عندما انتفض الجزائريون في 22 فبراير 2019 وأطلقوا الحراك الذي لا يزال مستمرًا، تبثوا مبادئ أساسيين وهما النهج اللاعنفي والوحدة في إطار التنوع، وهذا ما حاول النظام منذ بداية الحراك، ويجاول إلى الآن، ضربه بكل ما أوتي من وسائل.

### 2.2. مصر

شهدت مصر بين 2011 و2013 سيناريو سياسي مشابه لما حدث في الجزائر قبل عقدين من الزمن. وقد سبقت ثورة 25 يناير 2011 مبادرات تهدف إلى تجاوز التجاذب الأيديولوجي لعلّ من أهمها مبادرة الحركة المصرية من أجل التغيير "كفاية" التي ظهرت في مصر صيف 2004 كحركة معارضة لمبدأ التمديد لحسني مبارك لعهدته خامسة آنذاك، وأيضاً لمبدأ توريث الحكم لابنه جمال مبارك، فرفعت شعار "لا للتمديد لا للتوريث". ونشأت "كفاية" على شكل تجمع لـ 300 من المثقفين من أساتذة جامعات ومحامين ورموز سياسية وفكرية وثقافية ونقابية ومجتمعية على اختلاف

## التجاذب الأيديولوجي والتماكك المجتمعي

اتجاهاتها الأيديولوجية هدفهم المشترك هو "مواجهة المخاطر والتحديات الهائلة التي تحيط بأممتنا" والتصدي لـ"الاستبداد الشامل في حياتنا الذي أصاب مجتمعا [والذي] يستلزم إجراء إصلاح شامل سياسي ودستوري يضعه أبناء هذا الوطن وليس مفروضاً عليهم تحت أي مسمى".<sup>2</sup>

غير أنّ مثل هذه المبادرات لم تتمكّن من التخفيف من التوترات القائمة على الاختلافات الأيديولوجية والتي تفاقمت يوماً بعد يوم عقب سقوط نظام مبارك، خاصة بعد انتخاب محمد مرسي رئيساً للجمهورية. وتجدر الإشارة إلى أنّ مرسي وجماعة الإخوان المسلمين، الذين لم يكونوا يرغبون في البداية في خوض الانتخابات الرئاسية وكانوا يفضلون تكريس أنفسهم لتعزيز الإصلاح، لم يتمكّنوا من الحفاظ على الحوار مع قوى الثورة الأخرى، ممّا أضعف المعسكر الثوري، وعزز صفوف الثورة المضادة، وسهّل مهمّة العسكر الذين أرادوا التمسكّ بالسلطة وتحالفوا مع بعض الأنظمة العربية التي كانت تخشى الديمقراطية الوليدة في مصر، وتلقّوا مساعدة مباشرة أو اتّفاق ضمني من عدة قوى أجنبية.

بعثت ثورة 25 يناير روحاً جديدة في المشهد السياسي المصري وتمكّنت الجماهير المعتصمة بميدان التحرير من تجاوز الاختلافات الدينية والأيديولوجية وتوحّدت في كتلة ثورية صلبة لمواجهة نظام مبارك، لكنّ لما سقط النظام فشلت النخب السياسية في المحافظة على وحدة الصف بالعمل المشترك على وضع قواعد توافقية لتجاوز المرحلة الانتقالية بسلام. وأدّى الاستقطاب الشديد الذي عرفته مصر في عهد محمد مرسي والذي أدّكت ناره قوى النظام القديم المتمركزة في الجيش والأمن والإدارة والإعلام والقضاء إلى عودة الحكم العسكري بشكل استبدادي أوسع ممّا كان عليه نظام حسني

---

<sup>1</sup> استطاعت حركة كفاية استقطاب العديد من الشخصيات من أبرزها عزيز صدقي وطارق البشري وعبد الوهاب المسيري وجورج إسحاق وأميين إسكندر وأبو العلا ماضي وأحمد بهاء الدين شعبان وكمال خليل وعبد الحليم قنديل وعبد العزيز محيون ويوسف شاهين.

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

مبارك. ومثلما وقع في الجزائر في بداية 1992، ساند جزء كبير من التيار العلماني المصري - بشقيهِ البرالي واليساري - الانقلاب العسكري، وانخرط جزء من التيار الإسلامي (حزب النور) في العملية الانتقالية نكاهة بمنافسيهم الإسلاميين مثل الإخوان المسلمين وأحزاب ذات مرجعية سلفية كحزب الوطن وحزب العدالة والتنمية.

### 3.2. ليبيا

فتحت ثورة فبراير 2011 في ليبيا بابًا واسعًا للأمل في مستقبل زاهر لليبيين بعد أكثر من أربعة عقود من حكم تسلطي يفتقد إلى شروط الرشد. لكن في وقت مبكر بعد سقوط نظام معمر القذافي خاب أمل الليبيين في نخيم السياسية والعسكرية في القدرة على تسير المرحلة الانتقالية بسبب الخلافات السياسية والتوترات القبلية والمناطقية والتجاذبات الأيديولوجية التي لم يكونوا أهلًا لتجاوزها والتوحد من أجل تحقيق العبور الديمقراطي السلس. وأدى ذلك العجز لدى النخب إلى كوارث لا يزال يعاني منها الشعب الليبي إلى يومنا هذا من احتراب وتوفير المناخ لعودة النظام القديم وفتح المجال للتدخلات الإقليمية والدولية في الشأن الليبي. ولا شك أن عدم قدرة النخب الليبية على تجاوز الخلافات البينية يعود إلى انعدام فضاءات التواصل بينها لعقود طويلة من جزاء نظام حكم قانع للحريات الأساسية.

### 4.2. المغرب

إن المجتمع المغربي، مثل كل المجتمعات في شمال أفريقيا، تعبره تيارات أيديولوجية متنوّعة، إسلامية وعلمانية، معتدلة وراдикаلية، تنخرط أحيانًا في صدامات من خلال أحزابها السياسية ومنظمات المجتمع المدني التابعة لها. وتتحوّل هذه الاشتباكات أحيانًا إلى عنف، كما يحدث على سبيل المثال في حرم بعض الجامعات المغربية.<sup>3</sup> ويعمل بعض الفاعلين في المجتمع المدني، مثل المؤرخ والمدافع عن حقوق الإنسان د. المعطي منجب، منذ سنوات على بناء جسور بين التيارات الإسلامية والعلمانية، مما يعرضهم

## التجاذب الأيديولوجي والتماسك المجتمعي

إلى مضايقات من قبل السلطات.<sup>4</sup>

من بين تجارب التبادل بين ممثلي مختلف التيارات الأيديولوجية المغربية، تجدر الإشارة إلى سلسلة الحوارات<sup>5</sup> التي نظمها "مجلس المواطنين" بين مارس 2007 ويونيو 2008 (الفرع المغربي لمجلس المواطنين بالشرق الأوسط) وحضرها 600 مشارك، وانخرطت فيها قوى سياسية مختلفة مثل حركة العدل والإحسان الإسلامية وحزب النهج الديمقراطي ذي التوجه الماركسي.

لم يكن انطلاق "الربيع العربي" في أواخر 2010 - أوائل 2011 ليترك المجتمع المغربي غير مبالٍ. حيث دعت مجموعة من الشباب المغربي الناشط على شبكات التواصل الاجتماعي إلى مظاهرة يوم 20 فبراير 2011 للمطالبة بإصلاحات دستورية، فكانت ولادة "حركة 20 فبراير" التي دعمتها نحو عشرين هيئة من منظمات حقوقية مثل الجمعية المغربية لحقوق الإنسان و نقابات عمالية وقوى سياسية من مختلف التيارات الأيديولوجية: اليسار (الحزب الاشتراكي الموحد وحزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي)، اليسار الراديكالي (حزب النهج الديمقراطي)، التيار الإسلامي (حركة العدل والإحسان)، التيار الماركسي (حركة إلى الأمام). وعارضت "حركة 20 فبراير" أحزاب سياسية أخرى من خلفيات أيديولوجية مختلفة كما كان الحال مع حزب العدالة والتنمية المنتمي لحركة الإخوان المسلمين. وردت السلطة المغربية بإجراءات استجابات جزئياً لمطالب الحركة، من خلال تنظيم انتخابات تشريعية مبكرة وتعديل دستوري وتكليف حزب العدالة والتنمية بتشكيل حكومة. أدت هذه الإجراءات وكذا التناقضات التي ظهرت مع مرور الزمن بين مختلف مكونات "حركة 20 فبراير" إلى إضعاف هذه الأخيرة وحتى زوالها.

### 5.2. تونس

استفادت النخب التونسية الإسلامية والعلمانية من التجارب الجزائرية والمصرية والليبية فسعت بعد سقوط نظام بن علي إلى التواصل والحوار وبناء الثقة والتخفيف



## مدخل إلى ترشيح الخلاف

من التجاذب الأيديولوجي من أجل إيجاد صيغ للتعاون لإنجاح الانتقال الديمقراطي الذي لا يزال مستمرًا بعد عقدٍ من الزمن رغم الانتكاسة التي عرفها بقرار الرئيس قيس سعيد في 25 يوليو 2021. ولم يكن الأمر سهلاً بسبب الوضع الاقتصادي الهش وتدخّلات القوى الإقليمية والدولية في المسار الانتقالي وضغوطاتها الدبلوماسية والمالية. ويعزو العديد من المراقبين للمشهد التونسي نجاح الحوار بين التيارات الأيديولوجية التونسية المتباينة، وحتى نجاح عمل الترويكا المشكّلة من أحزاب التكتل والمؤتمر من أجل الجمهورية وحركة النهضة، إلى المشاورات التمهيدية التي بدأت بين العلمانيين والإسلاميين في 2005 في تونس وفي الخارج وأفضت إلى تأسيس "هيئة 18 أكتوبر" من أجل الحقوق والحريات.

تأسست الهيئة في سياق سياسي متوتر كان يجري فيه التحضير لتنظيم الشوط الثاني للقمّة العالمية حول مجتمع المعلومات في تونس في الفترة 16-18 نوفمبر 2005، التي دُعِيَ إليها رئيس وزراء إسرائيل آنذاك، آرييل شارون، مما أدّى إلى إضرابٍ عن الطعام من طرف مجموعة من المعتقلين السياسيين، واحتجاجات طلابية عمّا اعتُبر إضافةً للشرعية من طرف الأمم المتحدة على نظام بوليسي ينتهك حقوق الإنسان الأساسية.

تشكّلت "هيئة 18 أكتوبر" من العديد من القوى السياسية والتنظيمات الحقوقية من بينها التكتل من أجل العمل والحريات، وحركة النهضة، والحزب الديمقراطي التقدمي، وحزب العمال الشيوعي التونسي، والمؤتمر من أجل الجمهورية، والوحدويون الناصريون، وحركة الديمقراطيين الاشتراكيين، واللجنة الدولية لدعم المساجين السياسيين، والجمعية التونسية المناهضة للتعذيب، والمجلس الوطني للحريات في تونس، إلخ. كما ضمّت الهيئة أعضاء بصفة شخصية.

كانت "هيئة 18 أكتوبر" بمثابة الإطار الجامع المتنوع الذي عُوّجت فيه العديد من القضايا الجوهرية في الخلافات الإسلامية-العلمانية كعلاقة الدين بتسيير الدولة، ووضع

المرأة في المجتمع، إلخ. وصدر عن الهيئة عددٌ من الوثائق التي حدّدت إطار التعاون بين الأطراف ذات المرجعيات المختلفة ووضعت أرضيةً للعمل السياسي المشترك وتوفير شروط التغيير الديمقراطي في تونس.<sup>6</sup>

### 3. المشهد السياسي في شمال أفريقيا

يضم المشهد السياسي في شمال أفريقيا معظم التيارات الفكرية والدينية والأيديولوجية من إسلاميين بشتى مدارسهم، وعلمانيين بمختلف أصنافهم، ووطنيين، وقوميين، وعروبيين، وقوميين أمازيغيين، ويساريين، ولبراليين، إلخ. ومن المطبّات المنهجية والأخطاء السياسية الشائعة اعتبار هذه التيارات الأيديولوجية كتلاً متجانسةً تُعارض بعضها البعض. فهذه المقاربة اللاتمييزية للتيارات الأيديولوجية تساهم في تكريس المواقف المتشجّجة للتنظيمات السياسية المتوجّسة من بعضها البعض، وكثيراً ما تُستعمل اختصارات سهلة من قبيل "الإسلامي في جوهره ظلامي والعلماني في جوهره حداثي"، أو "العلماني معادٍ للدين والإسلامي معادٍ للديمقراطية"، أو "العلماني معتدلٌ مسلم والإسلامي متطرّفٌ عنيف". ذلك ما تشجّعه وتغذّيه بعض الأنظمة التسلطية وتستغلّه سياسياً لتمزيق المجتمع وتفتيته وإحكام قبضتها عليه. ومن الضروري، في هذا السياق كما في غيره، لفتح إمكانيات الحوار والتوافق، عدم اختزال الأشخاص في التيارات التي يتحرّكون في إطارها.

ومن أجل تبيين أنّ التيارات الأيديولوجية ليست كتلاً متجانسةً، كما قد يتوهم البعض، إنما تمثّل أطباقاً عريضة، من المفيد وضع مقاييس تمكّن من التمييز بين الفاعلين السياسيين في المجتمع وفقاً لموقفهم وسلوكهم السياسي.

#### 1.3. الموقف والسلوك السياسي: أربعة مقاييس للتمييز

ليس الانتماء الأيديولوجي في حدّ ذاته، ولا الخطاب الأيديولوجي الذي يعتبر عنه<sup>أ</sup>

<sup>أ</sup> عادة ما استخدمت حركات إسلامية شعارات "دولة إسلامية!" و "لا ميثاق، لا دستور، قال الله، قال

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

إنّما التفسير العملي للأيدولوجيا وترجمتها الملموسة إلى عمل سياسي على الأرض هو الذي له تبعات على التماسك المجتمعي وتأثير إيجابي أو سلبي على احترام الحريات الأساسية والتنوع والتفاعل الإيجابي بين مختلف مكونات المجتمع. إنّ التركيز على الفعل السياسي وليس على المرجعية الأيدولوجية يجعل من الممكن تجاوز الانقسامات الأيدولوجية وتصور تحالفات عابرة للأيدولوجيا بالتعاون على بناء مجتمع حرّ وتشديد دولة القانون.

توجد اختلافات جوهرية في المواقف والسلوكيات السياسية بين الكيانات ذات الخلفية الأيدولوجية الواحدة في: (أ) طريقة تصرفها تجاه العسكرة؛ (ب) مقاربتها لعلاقة الحكم بالدين؛ (ج) حجم التغيير الاجتماعي والسياسي الذي ترغب فيه؛ (د) موقفها من العنف. وبناءً على هذه المقاييس الأربعة يمكن تصنيف الفئات الآتية:

### أ) التصرف تجاه العسكرة

• مقاومة العسكرة: أيّ السعي إلى إرساء دولة قانون تقوم فيها القوات المسلحة بمهامها الدستورية تحت رقابة السلطات المدنية المنتخبة، ولا تتدخل في الشأن السياسي والاقتصادي.

• التكيف مع العسكرة: أيّ قبول تحكّم القوات المسلحة من جيش ومخابرات وشرطة سياسية في الحياة العامة (السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والدينية، إلخ).

---

الرسول! "مما أخاف المعسكر العلماني الذي خشي قيام دولة ثيوقراطية. لكن مع حلول "الربيع العربي"، كانت الترجمة العملية لهذه الشعارات الأيدولوجية براغماتية وليست عقائدية. وشهد المشهد السياسي العربي ظهور العديد من التشكيلات السياسية حتى من المدرسة السلفية، التي تُعتبر الأكثر راديكالية داخل التيار الإسلامي. اختارت هذه التشكيلات السياسية المشاركة السياسية مع تشكيلات من التيارات الأيدولوجية الأخرى، مما أدى إلى إزالة الغموض عن الجدل حول الانقسامات الأيدولوجية وأظهر أنه في سياق الحرية تزدهر التعددية وتتشكل تحالفات عابرة للخطوط الأيدولوجية لخدمة الصالح العام.

## التجاذب الأيديولوجي والتماسك المجتمعي

### ب) مقارنة العلاقة بين الحكم والدين

• الديمقراطية المؤصلة في المرجعية الدينية أو الأيديولوجية: أي نظام سياسي قائم على حق المواطنين في اختيار ممثلهم وسنّ القوانين التي تحكمهم والتي تتماشى مع معتقداتهم الديني أو الأيديولوجي، مع احترام تعددية المجتمع ومبدأ احترام الآخر والعيش المشترك. وكما يلاحظ جون-نيكولا بيتر، في مثل هذا النظام "لا يتعين على الحكومة فرض دين أو أيديولوجية. بل يجب أن يكون الاتجاه الذي يتبعه المجتمع نتيجة خيار تشاوري بين المواطنين، والكّل مدعو إلى الالتزام بهذا الخيار على أساس دينه وقيمه في إطار الاحترام. ولا تتخذ الحكومة الناتجة عن اتفاق حول قواعد اللعبة موقفاً مؤيداً أو معارضاً للقرارات العملية للمواطنين الذين يمكن أن تكون لديهم دوافع دينية"<sup>7</sup>.

• اللاهوتية (الشيوقراطية) أو اللاتقراطية (laicracy) المؤصلة في المرجعية الدينية أو الأيديولوجية: أي نظام سياسي لا يعترف بحق المواطنين في اختيار ممثلهم وسنّ القوانين التي تحكمهم، فتقوم الفئة التي تستحوذ على السلطة بسنّ القوانين وفرضها بدون تشاور وبممارسة الحكم مدعية تمثيل المرجعية الدينية أو الأيديولوجية. "إنها سلطوية مشرعة (شبه)دينية حيث تتدخل الحكومة في مسألة الشرعية الأيديولوجية، بل وتتخذ موقفاً وتفرض خطاباً"<sup>8</sup>.

### ج) حجم التغيير الاجتماعي والسياسي المطلوب

• التغيير الفعلي: أي الانخراط في تغيير اجتماعي وسياسي حقيقي، إما تدريجي من خلال معارضة النظام التسلطي من الداخل، أو جذري من خلال مقاومة النظام التسلطي من الخارج.

• التغيير الشكلي: أي دعم تغيير لواجهة النظام من طرف حكم تسلطي، دون المساس بطبيعة النظام الجوهرية، مع الحفاظ على الأوضاع كما هي للإبقاء على المناصب والامتيازات.

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

### د) الموقف من العنف

• اللاعنفة: أي استخدام اللاعنفة الاستراتيجي بشكل حصري لإحداث التغيير الاجتماعي والسياسي.

• العنف: أي الانخراط في أعمال عنف أو دعمها وتبريرها لإحداث التغيير الاجتماعي والسياسي، أو للإبقاء على الوضع الراهن عنوة.

تشكل المقاييس الأربعة، والفئات الثمانية (2 + 2 + 2 + 2) المنبثقة عنها والتي تم عرضها، أداة تمكن من التمييز بين الأفراد والتنظيمات داخل التيارات الأيديولوجية المختلفة، وتجتب جمعهم معًا في كتلة واحدة. وتفتح هذه المقاييس مجالًا يتسع لستة عشر مجموعة أو احتمال نظري (2 × 2 × 2 × 2)، امتدادًا من المجموعة 1 (المقاومة، الديمقراطية، التغيير الفعلي، اللاعنفة) إلى المجموعة 16 (التكيف، الشيوعية/اللاتقراطية، التغيير الشكلي، العنف)، كما بيّنه الجدول أدناه.

### الاحتمالات النظرية التي تتيحها المقاييس التمييزية الأربعة

الموقف	حجم التغيير	مقاربة العلاقة بين	المجموعة التصرف	
من	الاجتماعي	الحكم والدين	تجاه	
العنف	والسياسي المطلوب		العسكرة	
اللاعنف	التغيير الفعلي	الديمقراطية	المقاومة	1
العنف	التغيير الفعلي	الديمقراطية	المقاومة	2
اللاعنف	التغيير الشكلي	الديمقراطية	المقاومة	3
العنف	التغيير الشكلي	الديمقراطية	المقاومة	4
اللاعنف	التغيير الفعلي	الشيوعية/اللاتقراطية	المقاومة	5

## التجاذب الأيديولوجي والتماسك المجتمعي

العنف	التغيير الفعلي	الشيوقراطية/اللائقراطية	المقاومة	6
اللاعنف	التغيير الشكلي	الشيوقراطية/اللائقراطية	المقاومة	7
العنف	التغيير الشكلي	الشيوقراطية/اللائقراطية	المقاومة	8
اللاعنف	التغيير الفعلي	الديمقراطية	التكيف	9
العنف	التغيير الفعلي	الديمقراطية	التكيف	10
اللاعنف	التغيير الشكلي	الديمقراطية	التكيف	11
العنف	التغيير الشكلي	الديمقراطية	التكيف	12
اللاعنف	التغيير الفعلي	الشيوقراطية/اللائقراطية	التكيف	13
العنف	التغيير الفعلي	الشيوقراطية/اللائقراطية	التكيف	14
اللاعنف	التغيير الشكلي	الشيوقراطية/اللائقراطية	التكيف	15
العنف	التغيير الشكلي	الشيوقراطية/اللائقراطية	التكيف	16

### 2.3. تطبيق المقاييس على الحالة الجزائرية

لو اعتبرنا في السياق الجزائري، على سبيل المثال، التيار الإسلامي والتيار العلماني فقط، من أجل التبسيط:

(1) لوجدنا في كليهما من يقاوم عسكرة الدولة ويناضل من أجل تدميرها وهو حال المعارضة الحقيقية، وأيضاً من يتكيف معها وهو حال القوى الموالية للنظام والمعارضة المزيفة.

<sup>أ</sup> القصد من تمدين الدولة هو العملية التي تؤدي إلى وضع تكون فيه مؤسسات الدولة تحت حكم سلطة مدنية منتخبة، ولا تتدخل القوات المسلحة في الشؤون السياسية والاقتصادية، وتمسك بصلاحياتها الدستورية لا تتجاوزها، وتعمل تحت تحكّم ديمقراطي فعال.

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

### نط الدولة

عسكراتية	مدنية	
عسكره إسلامية	تمدين إسلامي	إسلامية
عسكره علمانية	تمدين علماني	علمانية

**المرجعية**

(2) ولوجدنا من العلمانيين ومن الإسلاميين من يناهدين بديمقراطية حقيقية، وأيضاً من الإسلاميين من يطالب بتيوقراطية فيحرم الانتخاب ولا يعترف بحق ممثلي الشعب في سنّ القوانين وإن كانت تتوافق مع تعاليم الدين، ولا يقبل أصلاً بفكرة الدستور، ومنهم حتى من يطالب بعدم الخروج عن حاكم متغلب غاصب للسلطة، بصفته ظلّ الله في الأرض. ومن العلمانيين أيضاً من يطالب بلائقراطية (laicracy)، أي نوع من "التيوقراطية اللائكية"، ويسعى لتطبيق عقيدة علمانية ولو بدون موافقة الشعب وفرضها بالقوة.

### نظام الحكم

تسلّطي	ديمقراطي	
تيوقراطية	ديمقراطية إسلامية	إسلامية
لائقراطية	ديمقراطية علمانية	علمانية

**المرجعية**

يمثل الصنفان الأخيران أقلية داخل التيارين الإسلامي والعلماني في الجزائر، الأول (الإسلامي) متأثر بفكر غريب عن الجزائر مستورد أساساً من الخارج نظراً لسياسة منتهجة منعت بروز مؤسسات وطنية لإنتاج العلم الديني، مما أدى إلى انعدام مرجعية دينية وطنية قوية وذات مصداقية.

أما الصنف الثاني (العلماني) فهو متأثر بالمقاربة الفرنسية للعلمانية التي انخرقت عن غايتها الأصلية وتحولت إلى "علمانية لتصبح بمثابة دين الدولة"، كما أشار إليه جاك

## التجاذب الأيديولوجي والتماكك المجتمعي

بيدي (Jacques Bidet) في مقاله "الإسلاموية والعلمانية"<sup>9</sup>. واعتاد أتباع هذا "الدين الجديد" في فرنسا بشكل متزايد للتعبير عن معتقدتهم على توسيع شعار الجمهورية الفرنسية في مداخلاتهم العامة ليشمل عقيدة ذات أربع ركائز: "حرية، مساواة، أخوة، لائكية".

في الواقع، ليس النموذج الفرنسي للعلمانية (*laïcité*) هو الوحيد في العالم فالعلمانية (*secularity*) علمانيات<sup>10</sup> وكلّ نموذج مرتبط بالسياق التاريخي الذي نشأ فيه. ففي الولايات المتحدة الأمريكية تهدف العلمانية إلى حماية الدين من تعسف الدولة، بينما في فرنسا كان هدف اللائكية في الأصل حماية الدولة من تعسف الكنيسة وضمان حياد أجهزة الدولة تجاه مختلف المعتقدات المتواجدة في المجتمع. وفي جميع الأحوال فإنّ مفهوم العلمانية يخصّ موقف الدولة من المواطنين وممارسة أجهزتها وليس تصرف المجتمع أو الفرد.

ولا شكّ أن تواجد هذه الأقليات الفكرية الإقصائية وسط التيارين الإسلامي والعلماني في الجزائر مردّه شرحٌ ثقافيّ تسبّب فيه 132 عامًا من الاستعمار الفرنسي الذي أحدث قطيعة ثقافية مع الماضي ومنع المجتمع الجزائري من التطوّر الفكري الطبيعي. كما ساهم في تعزيز الشرخ وتعميقه نظام الحكم التسلسليّ بعد الاستقلال الذي كتم الأفواه وكبّل العقول وأعاق تداول الأفكار داخل المجتمع بشكل سليم وأدّى إلى تصحير الساحة الفكرية في البلاد.

(3) ولوجدنا من العلمانيين ومن الإسلاميين من يطالب بتغيير سياسي فعلي وحققي يؤسّس لجزائر جديدة تسودها دولة القانون، ولوجدنا أيضًا من العلمانيين ومن الإسلاميين من يسعى إلى الإبقاء على الوضع الراهن للحفاظ على الامتيازات والمصالح المادية والمعنوية غير المشروعة، وإن ذكر التغيير فهو تغيير سطحي للديكور السياسي الذي يستعمله النظام العسكري، الذي يستحوذ على السلطة الفعلية، كواجهة مدنية.



## مدخل إلى ترشيده الخلاف

نمط التغيير		
شكلي	فعلي	
تغيير شكلي إسلامي	تغيير فعلي إسلامي	إسلامية
تغيير شكلي علماني	تغيير فعلي علماني	علمانية

المرجعية

(4) ولوجدنا من العلمانيين ومن الإسلاميين من ينبذ العنف بكل أشكاله كنهج للتغيير السياسي ويلتزم بممارسة اللاعنف، ولوجدنا أيضاً من العلمانيين ومن الإسلاميين من لا يجد حرجاً في استعمال العنف أو تبريره وشرعنته أكان عنف جماعات أو عنف دولة.

نهج التغيير		
عنفي	لا عنفي	
عنف إسلامي	لا عنف إسلامي	إسلامية
عنف علماني	لا عنف علماني	علمانية

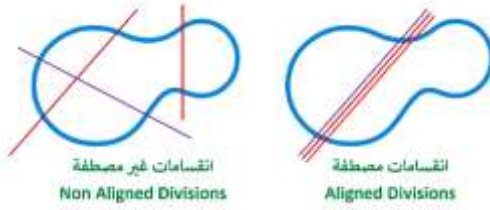
المرجعية

يتبين مما سبق أنه بالإمكان أن يجد إسلاميون وعلمانيون أنفسهم في نفس المجموعة المحددة بالمقاييس المذكورة آنفاً، مثل مجموعة (مقاومة، ديمقراطية، تغيير فعلي، لاعنف) أو مجموعة (تكيف، ثيوقراطية/لائقراطية، تغيير شكلي). وبناءً عليه، إذا تم التركيز على الفعل السياسي فإنه بالإمكان تجاوز المرجعيات، والعمل المشترك من أجل تحقيق الأهداف المشتركة وفق المناهج المتفق عليها، وذلك لا يعني البتة خيانة المعتقد أو المرجعية فبالإمكان التأسيس لنفس الفعل السياسي من منطلقات فكرية متباينة.

#### 4. تعزيز التماسك في المجتمعات التعددية

##### 1.4. التماسك المجتمعي

لا يوجد مجتمع متجانس كلياً (عرقياً ولغوياً وفكرياً ودينيًا) خاصة في عصر التواصل وتنقل الأفراد والأفكار، فخلّ الدول تضم أعرافاً عديدة ولغات مختلفة ومعتقدات متنوعة. ولا ينعم المجتمع بالأمن والاستقرار والازدهار إلا إذا تمكّن من تعزيز تماسكه والتحكّم في التجاذبات بين مكوناته التي إذا احتدّت ولم تجد من يعمل على حسن تديرها آلت حتمًا إلى تمزّقه وتفكّته واندثاره.

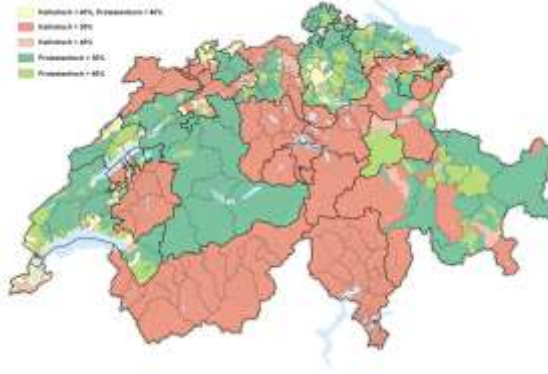


وترتفع شدّة الشرخ المجتمعي أو تنخفض حسب ترتيب مختلف خطوط الانقسام داخل المجتمع وعلاقتها ببعضها البعض: التجاذبات

الأيديولوجية أو السياسية، والاستقطابات اللغوية أو الجهوية، والاحتقانات الدينية أو الطائفية، والتوترات العرقية أو القبلية. فإذا كانت الانقسامات مصطفة، أي الشروخ متطابقة، صعب التعامل معها، وإذا كانت غير مصطفة سهل ذلك. ويوضح الوضع السويسري حالة عدم اصطفاف الانقسامات اللغوية والدينية، كما هو مبين في الخريطتين الآتيتين اللتين تعرضان التوزيع الجغرافي للغات والأديان في سويسرا.



## مدخل إلى ترشيده الخلاف



© Office fédéral suisse de la statistique et Wikipédia

غالبًا ما تكون الانقسامات المصطقة مجرد تصوّر وهمي لا حقيقة لها في واقع المجتمع، ويتم أحيانًا تعزيز هذا التصوّر عن قصد من قبل بعض الفاعلين، من الداخل أو من الخارج، واستغلاله لأغراض سياسية. لذلك فمن الضروري تفكيك هذا النوع من التصوّر من خلال كشف التركيبة المعقدة للمجتمع التي تساهم في تعزيز تماسكه.

إنّ خير وسيلة لتعزيز التماسك المجتمعي هو تشييد الدولة على أساس المواطنة التي تتجاوز مختلف الانتماءات وتضمن نفس الحقوق والواجبات للجميع وتمكّنهم من المشاركة في إدارة الشأن العام دون إقصاء أو تمييز. ولا يثبت التماسك المجتمعي إلا إذا شعرت كافة مكونات المجتمع أنّها تتقاسم السلطة (الصلبة والناعمة) بكافة أنواعها السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية، فالتضارب الطبقي (Rank

أ في الجزائر، على سبيل المثال، ثمة محاولات لعزو جانبٍ من جوانب الأزمة التي تمرّ بها البلاد إلى تطابق خطّي انقسام، أحدهما عرقي-لغوي "عربي-قبائلي" والآخر أيديولوجي "إسلامي-علماني". ولو كان الأمر كذلك، لكان الوضع أكثر خطورة على تماسك المجتمع الجزائري. الواقع أنّ الوضع الجزائري أكثر تركيبيًا وتعقيدًا لأنّ كلا التيارين الإسلامي والعلماني يضمّ "عربًا" و"قبائل".

ب التضارب الطبقي هو حالة يحتكر فيها أحد مكونات المجتمع أشكالًا معينة من السلطة بينما يحتكر المكوّن الآخر أشكالًا أخرى، على سبيل المثال المجتمع الذي تمتلك فيه الأغلبية العددية السلطة السياسية والعسكرية

## التجاذب الأيديولوجي والتماسك المجتمعي

(discordance) يؤدي إلى عدم الاستقرار، والتباين الكامل (Full asymmetry)، أي الوضع الذي يمتلك فيه مكون واحد في المجتمع كل أشكال القوة، يؤدي إلى استقرار غير مستديم، والتوزيع العادل (Even distribution) يؤدي إلى استقرار مستديم. ولا يتم التوزيع العادل للسلطة إلا في حالة: 1) تكافؤ الفرص (Equal opportunities)، و2) دولة القانون (Rule of law)، و3) الحكم الراشد (Good governance).

في ما يلي ثلاثة نماذج يمكن الاسترشاد بها لتجاوز التجاذبات الأيديولوجية وتعزيز التماسك المجتمعي والتفاعل الإيجابي بين مكونات المجتمع.

### 2.4. "التوافقات المتداخلة" لجون رولز

في تحليله المعمق لكيفية خروج أوروبا من حروبها الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت وكيفية وصولها للتعايش السلمي، ميز الفيلسوف الأمريكي جون رولز (John Rawls – 1921-2002) بين مستويين من الحقائق:<sup>11</sup> مستوى القواعد الملزمة (عالم القيم واللغة) ومستوى تطبيق هذه القواعد (عالم التجريب والممارسة). وبين المستويين يوجد مجال واسع من الإمكانيات.

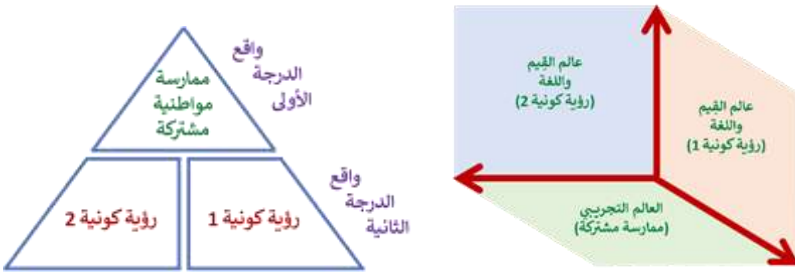
وحسب رولز يمكن لجماعات ذات قواعد مختلفة في إطار أنظمتها القيمية ورؤاها الكونية أن تختار الانخراط في عمل مشترك ولكلٍ منها أسبابها الخاصة. وبهذه الكيفية، يمكن لمختلف الجماعات أن تعيش معًا في فضاء مشترك، وتجد كل واحدة التبرير والحافز للقيام بذلك من منظور نظام قواعدها ومبادئها التوجيهية الخاصة بها. ويطلق جون رولز على عملية الانخراط المشترك من مختلف الجماعات للتفاعل ضمن نفس الفضاء مصطلح "التوافقات المتداخلة" (Overlapping consensus).<sup>12</sup>

---

Johan Galtung. Violence, Peace, and : أنظر: .Peace Research. Journal of Peace Research, Vol. 6, No. 3 (1969), pp. 167-191

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

ولذلك فإنّ هذا النموذج يجعل من الممكن تجاوز الاختلافات الأيديولوجية بين مكونات المجتمع وتصوّر تعاون في عالم الممارسة المواطنة دون إحداث تغيير في عالم القيم. ويجد كلٌّ مكوّن مشارك في الممارسة المواطنة تأصيل وتبرير هذه الممارسة في إطار قيمه الخاصة به التي يظلّ وفيّاً لها (انظر تعريف فضاء الوساطة المحمي في الفصل السابع المخصّص لـ "عمليات التفاوض والوساطة").



شكلان بيانان للتوافق المتداخلة

### 3.4. "التعددية التعاهدية" حسب مؤسسة تمبلتون

تقترح مؤسسة تمبلتون مصطلح "التعددية التعاهدية" (covenantal pluralism) وعدم الاكتفاء بحالة التنوع (diversity) في المجتمع، الذي يعني وجود الاختلاف داخله، بل تعدّيه إلى حالة التعددية (pluralism) التي تعني التعامل الفعلي مع الاختلاف، وتجاوز التسامح والتعايش السلبي مع الآخرين إلى التفاعل الإيجابي معهم.

ويُعرف كريستوفر ستيوارت وزملاؤه التعددية التعاهدية كآلاتي: "تتجاوز فلسفة التعددية التعاهدية الدعوات المبتدلة للتعايش السلمي، فهي بدلاً من ذلك تشير إلى نموذج قوي وعلائقي وغير نسبي للعيش معاً بسلام وإنتاجية في سياق اختلافاتنا العميقة. تقدّم التعددية التعاهدية رؤية شاملة للمواطنة تؤكّد على المساواة القانونية والتضامن الجوّاري. أي أنها تدعو إلى نظام دستوري يتسم بالمساواة في الحقوق والمسؤوليات وثقافة المشاركة التي تتميز بعلاقات الاحترام والحماية المتبادلة."<sup>13</sup>

#### 4.4. "الأصل والطريق والغاية" عند ابن قيم الجوزية

تمت الإشارة في الفصل الثالث إلى أنّ الخلاف قد يكون مرتبطًا بالمصالح، كما قد يكون مرتبطًا بالمبادئ والقيم وهو ما يُطلق عليه مصطلح الخلاف المبني على تباين الرؤى الكونية أو المرجعيات، وأنّ الإمام ابن القيم ميّز بين "الأصل" و"الطريق المسلوكة" و"الغاية المطلوبة". والمقصود هنا بـ"الأصل" المصدر المرجعي الذي يخضع للتفسير حسب السياق. ويشكّل التفسير السياقي للمصدر الرؤية الكونية ويحدّد "الطريق المسلوكة" للوصول إلى "الغاية المطلوبة". إنّ هذا التمييز بين الأصل والطريق والغاية مفيدٌ جدًّا في تعزيز تماسك المجتمع التعدّدي، لأنه يشير إلى أنّ مجموعتين من المجتمع لهما مراجعتان مختلفتان، يمكنهما الاتفاق على هدف مشترك والعمل معًا من أجل تحقيقه.



#### 5.4. مستويات الانتماء في صحيفة المدينة

صيغت الصحيفة (التي تسمى أيضًا الوثيقة، الكتاب، الميثاق، الدستور) في السنة الأولى للهجرة وظلّت سارية إلى نهاية الخلافة الراشدة (أي نحو 40 سنة). وهي مكونة من نحو 50 مادة أو بندًا (من 47 إلى 57 حسب الاجتهادات في تصنيف الفقرات - أنظر الملحق).

كانت المدينة قبل الهجرة تُسمى يثرب ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾<sup>14</sup>، وكانت تضمّ من 10 إلى 15 ألف نسمة، أي العتبة المعتبرة اليوم

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

لتصنيف المدينة، موزعة على ما يقارب 22 قبيلة (نصفها عرب ونصفها يهود). وكانت تقع خلافات متواصلة، منها المسلحة، بين مختلف القبائل (مثل الأوس والخزرج)، وكان من المعتاد أن تطلب أطراف الخلاف الدعم من خارج المدينة. أما بعد هجرة أوائل المسلمين إليها فقد تغير اسمها إلى المدينة، ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ﴾<sup>15</sup>، وظلت الهجرة واجبة على المسلمين حتى فتح مكة سنة 8 هـ «لا هجرة بعد الفتح»، بحيث وفد إليها عدد كبير من النازحين من الجزيرة العربية، فكان عدد سكان المدينة عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم نحو 30 ألف نسمة (تضاعفت ساكنتها ثلاث مرات خلال عقد من الزمن).

وقد نُشرت العديد من الدراسات<sup>16</sup> حول صحيفة المدينة تتناول الوثيقة من عدة زوايا: حقوق الإنسان، الفقه الدستوري، تعايش الأديان، ترشيده الخلافات، ترقية التعايش والتفاعل الإيجابي داخل البلد الواحد.

**الصحيفة كُخرج لعملية ترشيده الخلافات:** من الأسباب التي ساهمت في نجاح عملية إصلاح ذات البين أنه كثيراً ما كان العرب يستعينون بوسطاء خارجيين، وكانت للرسول عليه الصلاة والسلام شهرة كوسيط أمين (وكان ذلك لقبه) في مكة (وساطة الخلاف حول إعادة الحجر الأسود إلى مكانه). وأيضاً كون خطوط التوثيق كانت ذات طابع قبلي، فساهم إدخال البعد الديني في التخفيف منها (الانقسامات غير المصطفية). وقد تمكن الرسول صلى الله عليه وسلم في الأشهر الأولى من هجرته من تحديد أطراف الخلاف (وهي الخطوة الأولى في عملية تحليل الخلاف)، وكان عليه الصلاة والسلام خلال صياغة الصحيفة يستشير شيوخ القبائل ويصغي لاحتياجات وأهداف ومصالح كل قبيلة. كما تمكن من وضع أهداف مشتركة بين الجميع، ومن تجزئة المسائل محل الخلاف مما يسهل معالجتها (وهي تقنية حديثة في التعامل مع الخلاف).

**الصحيفة كيثاق للتعايش والتفاعل الإيجابي داخل البلد الواحد:** إن صحيفة المدينة من

## التجاذب الأيديولوجي والتماسك المجتمعي

أهمّ النماذج للتعایش والتفاعل الإيجابي داخل البلد الواحد الذي تجسّد في المدينة المنوّرة. ويتبيّن من تحليل هذه الصحيفة أنّها تحدّد ثلاثة مستويات للانتماء تتداخل وتكمّل بعضها البعض: الانتماء إلى القبيلة، والانتماء إلى جماعة المؤمنين الذي يحدّد من الشوفينية القبلية، والانتماء إلى المدينة الذي يخفّف من التعصّب الديني.



كان الغرض من الصحيفة هو تنظيم الترابط بين المجتمع القبلي والمجتمع الديني والمجتمع المدني، لضمان حقوق المواطن في المدينة (المدني) وتحديد واجباته، وضمان التفاعل الإيجابي والمنسجم بين ساكنة المدينة التي كانت في السنة الأولى للهجرة تضمّ بضع مئات من المؤمنين (المهاجرون والأنصار)، وخمسة إلى سبعة آلاف يهودي، وأربعة إلى سبعة آلاف من العرب المشركين. فكانت الأمة المدنية تتسع للجميع، مؤسّسة على مفهوم المُمادنة هي الاشتراك في المدينة (مدنَ الشخص أيّ أتى المدينة، ومادَن أيّ اشترك في المدينة)، ويقابلها باللغات الأخرى Bürgerchaft, Citizenship, Citoyenneté المشتقة من Burg, City والتي يُعبّر عنها في المصطلح الحديث بالمواطنة، فتاريخيًا المدينة هي نواة الدولة وأصل الوطن، ولذلك نجد في اللغة الألمانية مثلاً Stadt هي المدينة، وStaat هي الدولة. ومثمة من يعتبر وثيقة المدينة أوّل دستور في تاريخ البشرية - ستة قرون قبل المافناكارتا في 1215 - أسّس للمدينة-الأمة خلال الفترة 622-661، ألف سنة قبل مفهوم الدولة-الأمة الحديث (اتفاقيات وستفاليا 1648).



## 5. خلاصة

الاختلاف الأيديولوجي ظاهرة طبيعية في كل المجتمعات، لكن التجاذب الأيديولوجي الحاد، أي عدم القدرة على إدارة الخلاف الفكري وتديره مضرًا بالتاسك المجتمعي وعائق لبناء دولة القانون، وتحدي كبير للانتقال الديمقراطي أ قد يجهضه قبل استوائه، ويساهم في عودة النظام التسلطي من جديد. لذلك فإن من واجب قوى المجتمع، والنخب الفكرية والسياسية على وجه الخصوص، العمل على التخفيف من التوتّرات الأيديولوجية والتجسير بين التيارات المختلفة.

لا تمنع المرجعيات الفكرية المتباينة من إيجاد فضاء للعمل المشترك لتحقيق أهداف أساسية مثل العيش المشترك السلمي متفق عليها مسبقًا والتوافق على أرضية من القيم العملية والمبادئ التي تحظى بالإجماع ويلتزم بها جميع الشركاء، فيقوم كل طرف بالتأصيل للأرضية وللتعاون انطلاقًا من مرجعيته. ويُعتبر "فضاء الوساطة الآمن" من أفضل الآليات للتوصل إلى بناء الثقة عبر التركيز على الجوانب العملية في التعاون.

من أجل ترسيخ تماسك المجتمعات وبناء دول القانون يجب تشجيع تأسيس أكبر عدد من فضاءات الحوار والعمل المشترك في جميع القطاعات وعلى جميع مستويات المجتمع. هذه الفضاءات التي ينبغي أن تخصّ تحديدًا القوى السياسية والنيابات والطلاب والجهات الفاعلة في المجتمع المدني والنساء والشباب، ليست فقط مكانًا للتعرف والاعتراف المتبادل وقبول الغير، إنّما تمثل أيضًا مخبر لاستكشاف سبل التعاون في مشاريع ملموسة، كل في مجال اختصاصه، لخدمة المجتمع وطنيًا ومحليًا.

كما يجب على التيارات الأيديولوجية المتواجدة في المجتمع أن تشجّع الحوارات الداخلية

---

أ "الديمقراطية" آلية تتغذى من عمليات التشاور والحوار واتخاذ القرار التي يقبلها الجميع، ويمنع الاستقطاب الأيديولوجي هذه الآلية. هذا ما تفهمه بعض الأنظمة التسلطية: لاستبعاد مشاركة المواطنين في الحكم، فإنها تمنع الآليات التي تسمح بهذه المشاركة من خلال تأجيج الاستقطاب. (جون-نيكولا بيتر. اتصال خاص. 23 ديسمبر 2020).

## التجاذب الأيديولوجي والتماسك المجتمعي

التي لا تشمل المعتدلين فحسب، بل أيضًا الأطراف الراديكالية من أجل إقناعها بأهمية الانخراط في عملية التجسير الأيديولوجي. إنَّ انخراط الراديكاليين ضروري للحؤول دون أن يتحوّلوا إلى مشوّشين على المبادرات، بمحض إرادتهم أو تحت تأثير معارضي التغيير.

### ملحق: صحيفة المدينة<sup>17</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

1- هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم.

2- أنهم أمة واحدة من دون الناس.

3- المهاجرون من قريش على ربتهم يتعاقلون بينهم، وهم يقدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

4- وبنو عوف على ربتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

5- وبنو ساعدة على ربتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

6- وبنو الحارث (من الخزرج) على ربتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

7- وبنو جشم على ربتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

8- وبنو النجار على ربتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

9- وبنو عمرو بن عوف على ربتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

- بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
- 10- وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
- 11- وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
- 12- وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.
13. وأن لا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه.
- 14- وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم، أو إثما، أو عدوانا أو فسادا بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه، جميعا ولو كان ولد أحدهم.
- 15- ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن.
- 16- وأن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أديانهم، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.
- 17- وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم.
- 18- وأن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم.
- 19- وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا.
- 20- وأن المؤمنين يبئ بعضهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.
- 21- وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه.
- 22- وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن.
- 23- وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به، إلا أن يرضى ولي المقتول (بالعقل) وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه.
- 24- وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وأمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه، وأن من نصره، أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.
- 25- وأنكم مها اختلقتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله وإلى محمد.

## التجاذب الأيديولوجي والتماكك المجتمعي

- 26- وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.
- 27- وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.
- 28- وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف.
- 29- وأن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف.
- 30- وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.
- 31- وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف.
- 32- وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.
- 33- وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.
- 34- وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم.
- 35- وأن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وأن البر دون الإثم.
- 36- وأن موالي ثعلبة كأنفسهم.
- 37- وأن بطانة يهود كأنفسهم.
- 38- وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد.
- 39- وأنه لا ينحجز على ثأر جرح، وأنه من فتك فبنفسه وأهل بيته إلا من ظلم وأن الله على أبر هذا.
- 40- وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.
- 41- وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه وأن النصر للمظلوم.
- 42- وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.
- 43- وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.
- 44- وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.
- 45- وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.
- 46- وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

- مردده إلى الله وإلى محمد رسول الله، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره.
- 47- وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها.
- 48- وأن بينهم النصر على من دهم يثرب.
- 49- وأنهم إذا دعوا إلى صلح يصلحونه ويلبسونه فإنهم يصلحونه ويلبسونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين.
- 50- على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.
- 51- وأن يهود الأوس ومواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وأن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.
- 52- وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وآثم، وأن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله.

---

---

# الفصل الحادي عشر اللاعنف في العالم العربي والإسلامي

---

---

## المحتويات

198	1. مقدمة
199	2. تجذّر اللاعنف في الإسلام
199	1.2. الدفع الحسن
200	2.2. عملية تغيير الذات وتحويل الغير
203	3.2. مفهوم الرفق واللين
204	4.2. مذهب ابن آدم الأول
205	5.2. مثال عبد الغفار خان
207	3. اللاعنف في العالم العربي
207	1.3. اللاعنف في المصطلح العربي
207	2.3. اللاعنف في المكتبة العربية
208	3.3. الانتفاضات اللاعنفية في العالم العربي قبل 2011
210	4.3. "الربيع العربي"
212	4. الخلاصة

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

"لا يحتاج المسلمون إلى غاندي أو إلى الغربيين ليعلموهم  
اللاعنف المتجدر أصلاً في الإسلام"<sup>1</sup> البروفيسور يوهان  
غالتونغ، مؤسس دراسات السلم.

### 1. مقدمة

بعد انطلاقة الانتفاضات الشعبية اللاعنفية في العالم العربي عام 2011 ارتفعت بعض الأصوات، منها التابعة لأنظمة تسلطية، تندد بتعرض العالم العربي إلى موجة جديدة من "الثورات الملوثة" التي، حسب زعمهم، تُديرها في الخفاء الإدارة الأمريكية، وتدعمها بعض المراكز الأجنبية - غالباً ما تُذكر منظمة "أوتبور" الصربية كمثال على ذلك - ويعمل على تنفيذها في الدول العربية إما خونة مأجورون من طرف "الإمبريالية الأمريكية"، أو مواطنون سدّج، غير مطلعين على الخطط التآمرية العالمية التي تُحك في الظلام، ويمكن التلاعب بعقولهم بسهولة من طرف قوى الشرّ التي تهدف إلى تفكيك دُولنا وتدمير مجتمعاتنا.

إنّ مثل هذا التفسير، الذي ينسب أيّ مبادرة شعبية للتغيير السياسي والاجتماعي في العالم العربي والإسلامي إلى عامل خارجي، يُنكر النضج السياسي لمواطني هذه المنطقة ويسلبهم الرغبة المشروعة في التحرّر من الأنظمة التسلطية ويتجاهل الإرادة الراسخة في الطبيعة البشرية للعيش بحرية وكرامة. علاوة على ذلك، فهذا النوع من التأويل الذي ينسب إلى القوى الغربية كامل السيطرة على أيّ موقف أو سلوك، لا سيما النهج اللاعنف في التغيير، الذي تبنته الشعوب العربية والإسلامية في انتفاضاتها المشروعة، يدعم الأطروحات التي تقوم بنشرها العديد من الدوائر الفكرية والسياسية الغربية والتي تنسب إلى المسلمين الطبع الجوهري العنيف.

لا يوجد دين أو ثقافة أو عرق أو قومية مسالمة أو عنيفة في جوهرها. وقد ارتبطت في السابق مثلاً المسيحية والإسلام في الخطاب العام بالعنف والبوذية بالسلم. لكن الأحداث الدموية في سريلانكا والتبت وميانمار واضطهاد الأقليات الدينية، خاصة

## اللاعنف في العالم العربي والإسلامي

المسلمين، من طرف البوذيين، كل ذلك أظهر أنّ البوذية ليست أقلّ ولا أكثر عنفاً من الديانات الأخرى. فجميع الأديان تدعو إلى السلام وتسمح، في نفس الوقت، باستخدام العنف عندما يكون له ما يبرّره وبضوابط صارمة. لكن أتباع الأديان، والمجتمعات المرتبطة بها، هم بشر، أي كيانات معقدة تتداخل فيها النزعة إلى العنف والتطلّع إلى السلام.

صحيح أنّ اللاعنف الاستراتيجي تمّ التنظير له في العقود الخمسة الماضية من قِبل غربيين، خاصة من طرف العالم السياسي الأمريكي جين إمر شارب الذي خصّص مجلّلات لهذا الموضوع<sup>2</sup>. لكن أفكار شارب لم تأت من فراغ، بل تغدّت من استكشاف تجارب النضالات اللاعنفية التي عرفتها البشرية على مرّ القرون، بما في ذلك في العالم العربي الإسلامي.

إنّ الغرض من هذه الفصل هو تبين أنّ النهج اللاعنفى للتغيير السياسي والاجتماعي، الذي هو ليس حكراً على أمة أو ديانة بل يتقاسمها جميع أفراد الأسرة البشرية، متجدّد بشكل خاص في التقاليد الإسلامية وممارسه المسلمون في الماضي.

## 2. تجذّر اللاعنف في الإسلام

حاول العديد من المفكرين المسلمين تسليط الضوء على التأسيس الإسلامي لمفهوم اللاعنف، إمّا من خلال تحديد المبادئ الإسلامية الداعية إلى اللاعنف، أو من خلال عرض أمثلة عملية عن مواقف وسلوكيات نماذج لاعنفية من التاريخ الإسلامي.

### 1.2. الدفع الحسن

يستحضر القرآن الكريم الجدلية بين إرادة التعدي على حقوق الغير وإرادة المقاومة لهذا التعدي ويعتبرها مواجحة أبدية بين الخير والشر. والمصطلح المستعمل للتعبير عن إرادة التعدي على الحقوق هو النزاع أو النزاع الذي يشير إلى الرغبة في انتزاع حقوق الآخرين والانخراط في خلاف ذي هدف غير مشروع. أما المصطلح



## مدخل إلى ترشيده الخلاف

المستعمل للتعبير عن مقاومة التعدي على الحقوق فهو الدفع أو الدفاع الذي يشير إلى صد العدوان وحماية الحقوق الذاتية وحقوق الغير. وذلك سلوك دفاعي مشروع. وكما تمت الإشارة إليه في فصل سابق، فالنزاع مذموم في الإسلام طبقاً للآية الكريمة: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>3</sup> بينما الدفاع محمود كما تشير إليه الآيتان: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾<sup>4</sup>، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَادَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ، وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾<sup>5</sup>، مع التأكيد على الإحسان في الدفع: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾<sup>6</sup>، ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾<sup>7</sup>، وتشير نهاية الآية الأخيرة إلى فضيلة "الدفع الحسن"، بما في ذلك الشكل اللاعنفي، وقدرته التحويلية للخصم.

يحرم الإسلام بشدة كافة أشكال الظلم، لا سيما العدوان والبغي والطغيان، ويدعو إلى مقاومة هذه الأشكال من الظلم والتي هي أحسن. وفي السياق الحالي للعالم العربي والإسلامي، تعيش غالبية المجتمعات تحت قمع أنظمة غير شرعية وتسلطية وفاسدة، أقامتها وتدعمها قوى أجنبية. وعندما تنتفض الشعوب العربية والإسلامية من أجل تغيير أوضاعهم باستخدام أساليب لاعنفية، فإنهم لا يقومون سوى بممارسة الدفع الحسن تماشيًا مع تعاليم دينهم.

### 2.2. عملية تغيير الذات وتحويل الغير

يُعتبر المفكران الجزائريان مالك بن نبي ومحمود بوزوزو من بين الشخصيات التي كان لها تأثير في الحركة الوطنية، فقد ساهما لعدة عقود في إيقاظ وتوعية الجزائريين القابعين تحت وطأة الاحتلال الفرنسي. ويشترك كلاهما في المعرفة العميقة والواسعة بالثقافتين الإسلامية والأوروبية، وكان كلاهما مهتمًا بالتغيير الاجتماعي.

## اللاعنف في العالم العربي والإسلامي



مالك بن نبي من مواليد 1 يناير 1905 بقسنطينة، توفي في 31 أكتوبر 1973 بالجزائر العاصمة. هو الذي اقترح مفهوم "القابلية للاستعمار"، الذي يعني أنه عندما يكون ثمة استعمار، فهناك بالضرورة استعداداً في المجتمع لقبول المستعمر، والخطوة الأولى في عملية إنهاء الاستعمار هي إدراك هذا الوضع ومحاولة تغييره. كما تعرّض بالتفصيل للآية القرآنية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>8</sup>. كان مالك بن نبي الذي تلقى تكويناً في الهندسة الكهربائية دائماً يقارن دور المسلم بدور "المحول الاجتماعي"<sup>9</sup>، وكان يُلح على الحاجة إلى التركيز على الواجبات أكثر من الحقوق، فالحقوق في نظره هي النتيجة المنطقية والحمية للواجبات. كما كان معجباً بعمل غاندي الذي التقى به خلال زيارة المهاتما إلى باريس عام 1932، وكانت تربطه علاقة بأبي الكلام آزاد<sup>10</sup>، عالم الدين المسلم والمناضل، صديق غاندي، وكان قد سبق هذا الأخير في رئاسة المؤتمر الوطني الهندي، وهو أول وزير للتربية في الهند المستقلة. وفي عام 1953، أي قبل عام من اندلاع حرب الاستقلال الجزائرية (فاتح نوفمبر 1954)، أصدر بن نبي ثلاث افتتاحيات عن اللاعنف والتجربة الهندية: "إجلالاً لرسول اللاعنف"<sup>11</sup>، "رومان رولاند ورسالة الهند"<sup>12</sup>، "علمية اللاعنف"<sup>13</sup>. وفي عام 1972 كتب تصديراً لمساهمة من تأليف جودت سعيد، أحد أهم منظري اللاعنف في العالم العربي، بعنوان "حتى يغيروا ما بأنفسهم".



محمد بوزوزو، من مواليد 22 فبراير 1918 ببجاية، توفي في 27 سبتمبر 2007 بجنيف. كان مدرّساً ومديراً في أوائل الخمسينيات لمجلة المنار، ورئيساً ومرشداً عامّاً للكشافة الإسلامية الجزائرية (1947-1954). فكّر بإسهاب في مسألة التحويل، أي كيفية كسب قلب الخصم، في وقت كان فيه الاتجاه العام في الجزائر نحو المقاومة المسلحة. اضطلع محمد بوزوزو من قبل الشرطة الفرنسية التي اعتبرته قائداً روحياً للثورة، فمعظم الذين أطلقوها تدرّبوا في

إطار الكشافة الإسلامية الجزائرية. غادر محمود بوزوزو الجزائر عام 1955 وانضم إلى حركة "إعادة التسليح الأخلاقي"، المعروفة الآن باسم "مبادرات التغيير"، في مدينة كويسيرية، وكان لهذه التجربة بالغ الأثر في نفسه. ففي عام 1958، كتب ما يلي: "يمكننا أن نناضل من أجل الحق بدون حقد. وفي حالتنا، فهمتُ أنّ علاج الحقد هو حلّ نصف المشكلة. أمّا النصف الآخر، الذي له صلة بأصل الحقد، فيمكن في روح الهيمنة التي لا تقلّ قابلية للعلاج. وبعد أن رأيتُ أنّ غريبًا متحرّرًا من روح الهيمنة وأفريقيًا متحرّرًا من الحقد يمكن أن يصلا إلى الوحدة، اكتشفتُ أنّ نضال أحدهما من أجل الآخر أكثر فائدة للإنسانية من نضال أحدهما ضد الآخر، وأنّ تحويل الأعداء إلى أصدقاء هو أسمى عمل أخلاقي في العلاقات الإنسانية." <sup>14</sup> بالنسبة لمحمود بوزوزو، تكمن مهمّة الأنبياء ومن يقتدي بهم في تحويل الخصم وليس هزيمته، في كسب القلوب وليس الاستعباد. أمّا في ما يتعلّق بنضاله من أجل تحرير الجزائر، فيتساءل محمود بوزوزو: "كيف يمكننا أن نحقق حرية حقيقية للجزائر؟ إنّ عبود روح الهيمنة والاستغلال والاستعلاء لا يمكن أن يمنحوها إياها. كما أنّ عبود الطموحات والخاوف والضغائن لا يستطيعون منحها إياها. فقط الأحرار حقًا، ذوو القلوب النقية والأيدي الطاهرة، يمكنهم جلب هذه الحرية الحقيقية إلى بلادهم وإلى العالم. من أجل هذه الحرية قررتُ النضال." <sup>15</sup>

على الرغم من التزامهم باللاعنف، دعم مالك بن نبي ومحمود بوزوزو الكفاح المسلح خلال حرب الاستقلال الجزائرية، لأنهم أدركوا أنه الوسيلة الوحيدة التي بقيت للشعب الجزائري للتخلّص من الاستعمار الفرنسي بعد عقود من النضال السياسي الذي لم يأت بنتيجة. في الواقع، بعد عدوان القوات الفرنسية واحتلال الجزائر وأكثر من نصف قرن من حملات "التهدئة" الدموية، أظهر الاستعمار الفرنسي وجهه البشع

---

<sup>14</sup> تأتّف محمود بوزوزو، على سبيل المثال، لكون الشعب الجزائري لم يستطع تحويل الفرنسيين الذين احتلّوا الجزائر لمدة 132 سنة، كما فعل مسلمو بلاد ما بين النهرين مع المغول. (محادثة شخصية، 2005).

## اللاعنف في العالم العربي والإسلامي

لنصف قرن آخر من خلال قمعه للشعب الجزائري، إضافة إلى الاضطهاد الثقافي والديني. لقد اعتبرت باريس الجزائر جزءاً لا يتجزأ من فرنسا ولم يكن الفرنسيون مستعدين لمغادرة هذا البلد. وفي إشارة إلى غاندي بتة مالك بن نبي في إحدى محاضراته إلى الفرق بين الاستعمار البريطاني والفرنسي، وقال إن غاندي لم يكن ليُستقبل في باريس كما تم استقباله في لندن<sup>16</sup>. أما محمود بوزوزو فعبر عن أسفه لكون الاستعمار الفرنسي لم يتجاوب مع النضال السلمي، السياسي والتقني، للحركة الوطنية الجزائرية وكتب في الفتح من فبراير 1952 قبيل اندلاع ثورة التحرير الجزائرية: "والاستعمار لا يدعن إلا عند مقابلة السلاح بالسلاح، والعنف بالنعف، والقوة بالقوة، ولا يفهم غير لغة القوة والجبروت."<sup>17</sup>

### 3.2. مفهوم الرفق واللين



وُلد المفكر الإسلامي محمد الشيرازي في النجف الأشرف (العراق) عام 1928 وتوفي في قم (إيران) في 17 ديسمبر 2001. واستخدم الشيرازي مفهوم الرفق للإشارة إلى اللاعنف. ووفقاً لأهم القواميس العربية، الرفق في اللغة هو نقيض العنف وضده: "الرَّفْقُ ضِدُّ العُنْفِ" (لسان العرب لابن منظور)، "الرَّفِقُ هو اللُّطْفُ وهو ضِدُّ العُنْفِ" (تاج العروس لمرتضى الزبيدي)، وبالتالي يمكن استخدام لفظ الرفق بدلاً من صيغة اللاعنف السالبة (المرفقة بلا). وثمة العديد من الأحاديث الشريفة التي تحث على الرفق: "إن الله يحب الرفق في الأمر كله"<sup>18</sup>؛ "إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف"<sup>19</sup>؛ "من يُحرم الرفق يُحرم الخير"<sup>20</sup>؛ "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه"<sup>21</sup>، "اللهم من وُلِّي من أممي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ومن وُلِّي من أممي شيئاً فرفق بهم فافرق به"<sup>22</sup>.

كما أنّ مفهوم اللين له نفس معنى الرفق تقريباً ويمكن استخدامه أيضاً كمكافئ لللاعنف.

يخبرنا القرآن الكريم كيف أمر الله موسى وأخاه هارون بالذهاب إلى فرعون ومخاطبته: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْسًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾<sup>23</sup>. كما لفت القرآن الكريم انتباه النبي إلى حقيقة أنّ نجاحه في جمع أصحابه من حوله كان بسبب منهجه اللين: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۗ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾<sup>24</sup>.

#### 4.2. مذهب ابن آدم الأول



جودت سعيد هو أول مفكر مسلم حاول تطوير نظرية إسلامية عن اللاعنفة على أساس قصة ابني آدم قابيل وهاييل. ولد جودت سعيد عام 1931 في بئر عجم، وهي قرية في مرتفعات الجولان في سوريا. تابع دراسته الثانوية في الأزهر (القاهرة) وتخرج من كلية اللغة العربية. تأثر جودت

سعيد بفكر مالك بن نبي الذي قابله خلال إقامته في مصر، ولا سيما بنظريته في التغيير الاجتماعي. يروي القرآن الكريم قصة ابني آدم على النحو الآتي: ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَا نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۗ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ ۗ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>25</sup>. ويروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كن كخير ابني آدم"<sup>26</sup>.

جودت سعيد، الذي كان يرى أنّ موقف وسلوك الابن الأول لآدم يجب أن يكون هو المعيار في أيّ مجتمع متحضّر، قام بتطوير أطروحته في العديد من المساهمات، مثل "مذهب ابن آدم الأول" (1964)، "حتى يغيروا ما بأنفسهم" (1972)، "كن كابن آدم" (1996)، "رياح التغيير" (1998).

وأظهر جودت سعيد بعد انطلاق "الربيع العربي" ثباتاً في الموقف، فقد أدان في عام 2012 عسكرة الثورة السورية التي بدأت باحتجاجات سلمية لدرجة أنها وُصفت

## اللاعنف في العالم العربي والإسلامي

بـ"ثورة الإنشاد"، لكون الحشود السورية احتجت لعدّة أشهر في الشوارع والساحات العامة منشدين توفهم للحرية. لكن للأسف، دُفع بالثورة السورية إلى العسكرية من جرّاء القمع العنيف الذي قام به النظام السوري. وصرّح جودت سعيد علنًا أنه "إذا نجحت الثورة السورية بالسلّاح، سنظّل محكومين بالسلّاح الذي تُحكم به منذ 1400 سنة"<sup>27</sup>.

### 5.2. مثال عبد الغفار خان



من أحسن الأمثلة عن التغيير اللاعنف في التاريخ الإسلامي الحديث هو مناهضة الاستعمار البريطاني في الهند بقيادة عبد الغفار خان، المسمّى "غاندي الحدود"، فهو من الحدود الهندية الشمالية الغربية للهند (أصله باشتوني، وُلد في هاشتناغار في 6 فبراير 1890 وتوفي في بيشاور في 20 يناير 1988). أسّس عبد الغفار خان

في عشرينيات القرن العشرين حركة "خوداي خدمتغار" (خدّام الله) اللاعنفية المناهضة للاستعمار البريطاني للهند التي تجاوز عدد أعضائها 100 ألف، ولعبت دورًا رئيسيًا في تحرير شبه القارة الهندية. وكما كان عليه حال صديقه مهندس غاندي، تبنّى عبد الغفار خان اللاعنف كوسيلة للنضال، وقال لمؤيديه "سأدلكم على سلاح لا تستطيع الشرطة ولا الجيش مواجتهته. إنه سلاح النبي صلى الله عليه وسلّم، لكنكم لستم على وعي به. هذا السلاح هو الصبر والاستقامة. لا يمكن لأيّ قوة على وجه الأرض أن تتصدّى له"<sup>28</sup>.

إنّ قسم "خدّام الله"، الذي يُشترط أن يؤدّيه أيّ شخص يرغب في الانضمام إلى الحركة، وهو قسم أمام الله، وليس تجاه رمز أو قائد أو هيئة، يتمّ واليد موضوعة على المصحف الشريف، يعطي فكرة واضحة عن التزام "خدّام الله" باللاعنف:

"— أنا خديم الله، ولأنّ الله لا يحتاج لأيّ خدمة فخدمة خلقه هي خدمته؛

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

- أتعهّد بخدمة الإنسانية في سبيل الله؛
- أتعهّد بنبذ العنف والانتقام؛
- أتعهّد بالعمو عمّن يضطهدين أو يعاملني بقسوة؛
- أتعهّد بالامتناع عن المشاجرات والمخاصات وعن زرع العداوة؛
- أتعهّد بالتعامل مع كل بشتوني كأخ وصدق؛
- أتعهّد بالتخلي عن العادات والممارسات المعادية للمجتمع؛
- أتعهّد أن أعيش حياة بسيطة وأن أمارس الفضيلة وأمتنع عن الرذيلة؛
- أتعهّد بالتمسك بالأخلاق الحميدة والابتعاد عن الكسل؛
- أتعهّد بتخصيص ما لا يقل عن ساعتين يوميًا للعمل الاجتماعي؛
- إني أعرض اسمي بأمانة وصدق لأصبح خادماً حقيقياً لله؛
- سأضحى بثروتي وحياتي وراحتي من أجل حرية أمي وشعبي؛
- لن أكون أبداً طرفاً في الفصائل أو الكراهية أو الغيرة ضد شعبي؛ وسأقف مع المظلوم ضد الظالم؛
- لن أنظّم لأيّ منظمة منافسة أخرى، ولن أنخرط في الجيش؛
- سأطيع بأمانة جميع الأوامر المشروعة الصادرة عن جميع قياداتي في كلّ وقت؛
- سأعيش وفق مبادئ اللاعنّف؛
- سأخدم كلّ مخلوقات الله على حدّ سواء؛ وسيكون هدفي تحقيق حرية بلدي وديني؛
- سأحرص دائماً على فعل الخير؛
- لن أرغب أبداً في الحصول على أيّ مكافأة مقابل خدمتي؛
- سيكون كلّ حمد أبذه لمرضاة الله، لا لسمعة أو غنيمة.<sup>29</sup>

### 3. اللاعنف في العالم العربي

#### 1.3. اللاعنف في المصطلح العربي

ثمة العديد من الصيغ المستخدمة في المصطلح العربي الحديث لتسمية "اللاعنف" مركبة من صفة وموصوف تحمل في طياتها بعداً دينياً أو لادنياً. أما الألفاظ المستعملة بخصوص الموصوف فهي: المقاومة والنضال والمغالبة والجهاد والاحتساب. وأما بخصوص الصفة فالألفاظ المستعملة هي: لاعنفي وسلمي ومدني، مما يؤدي إلى التركيبات الخمسة عشر الواردة في الجدول الآتي:

احتساب	جهاد	مغالبة	نضال	مقاومة	
احتساب	جهاد	مغالبة	نضال	مقاومة	لاعنفي
لاعنفي	لاعنفي	لاعنفيه	لاعنفي	لاعنفيه	
احتساب	جهاد	مغالبة	نضال	مقاومة	سلمي
سلمي	سلمي	سلمية	سلمي	سلمية	
احتساب	جهاد	مغالبة	نضال	مقاومة	مدني
مدني	مدني	مدنية	مدني	مدنية	

#### 2.3. اللاعنف في المكتبة العربية

منذ ستينيات القرن الماضي، ثمة اهتمام متزايد في العالم العربي باللاعنف كوسيلة للتغيير السياسي والاجتماعي، خاصة لإحياء النظرية الإسلامية لللاعنف. وتعرض العديد من الباحثين والمؤلفين والصحفيين والسياسيين للموضوع منهم على سبيل المثال: جودت سعيد، محمد الحسيني الشيرازي، خالص جلبي، خالد القشطيني، بشار حميض، محمد مهدي شمس الدين، حسن الصفار، محمد محفوظ، محمد تقي باقر، منصف المرزوقي، طارق البشري، محمد أبو الفرم، زينب ليث، كمال حبيب، أحمد فتحي، أسعد الإمارة. بالإضافة إلى ذلك، تحتوي المكتبة العربية على العديد من



الأعمال<sup>30</sup> التي تتناول موضوع العنف واللاعنف بطريقة أصيلة، لا تقتصر على ترجمة الإنتاج الغربي حول هذا الموضوع.

### 3.3. الانتفاضات اللاعنفية في العالم العربي قبل 2011

في دراسة للحركات الاجتماعية اللاعنفية<sup>31</sup> عبر العالم، صنف الباحث ستيفن زونس وزملاؤه العديد من الانتفاضات في العالم العربي كتجارب لاعنفية، مثل انتفاضة 1919 في مصر، والمقاومة في الجولان المحتلّ في أوائل الثمانينات، وانتفاضة 1985 في السودان، والانتفاضة الفلسطينية الأولى التي انطلقت في ديسمبر 1987، وانتفاضة أكتوبر 1988 في الجزائر. وتجدر الإشارة أيضاً إلى أنه في السياق الجزائري، كانت مظاهرات ديسمبر 1960، التي قمعتها قوات الاحتلال الفرنسية بشدة، مثلاً واضحاً على فعالية العمل اللاعنفية. لقد كانت نقطة تحوّل تاريخية في النضال من أجل الاستقلال في وقت بدأ فيه العمل العسكري المباشر يظهر حدوده وحين كان من المقرر مناقشة القضية الجزائرية في الجمعية العامة للأمم المتحدة.

خلافًا لدعاية بعض النخب السياسية والإعلامية في العالم العربي والإسلامي وفي الغرب، التي لا تقبل بالعمل السياسي ذي المرجعية الدينية، فإنّ الأحزاب السياسية التي تُعلن انتماءها إلى الحركة الإسلامية وتطالب بالحق في المشاركة السياسية لبناء المجتمع وتشديد الدولة، تؤكد في بياناتها التأسيسية رفض العنف كوسيلة للعمل، ويوضح ذلك مثالان هما "جماعة العدل والإحسان" في المغرب و"الجبهة الإسلامية للإنقاذ" في الجزائر.

تجعل الوثيقة التي تعرض أهداف ووسائل "جماعة العدل والإحسان" المغربية من الإحسان أحد أهمّ الأهداف بتداعياته العقدية والسياسية، فالجماعة تحصر على "الإحسان لتطمئنّ خطانا إلى الله وخطواتنا في مواجهة الحقائق المرعبة في المجتمع، وبوجوده لن ندعو أبداً إلى الحلّ الصراعي العنيف"<sup>32</sup> وفي القسم المخصّص للوسائل، تشير الوثيقة إلى رفض العنف: "تجنّب العنف في القول والعمل لاعتقادنا أنّ العنف

## اللاعنف في العالم العربي والإسلامي

والدعوة لا يجتمعان من جهة، وليقيننا أنّ ما انبنى على العنف لا يُجنى منه خير، ولا يمكن أن يدوم، وخسارته محققة ورجح بعيد الاحتمال من جهة، ولأننا أمرنا في زمن الفتنة - وهذا منطلقنا - بحضن الدماء والعفو عن المسلمين.<sup>33</sup>

ومن خصائص الجبهة الإسلامية للإفناذ الجزائرية المنهجية المشار إليها في البيان التأسيسي الذي يعرض مشروع الحزب والمؤرخ بـ 29 رجب 1409 الموافق لـ 7 مارس 1989، "الاعتدال والوسطية والعالمية؛ والتكامل والتوازن بين المطالبة والمغالبة السلمية بلا تشدد ولا تفريط". وذلك ما يفسر رفض الجبهة الإسلامية للإفناذ في مقاومتها لانقلاب يناير 1992 تبتي أي عمل مسلح.

وقد سبق تبتي اللاعنف كاستراتيجية للتغيير قبل انطلاقة "الربيع العربي" في عدة دول، وظهرت عدة حركات في العقد الأول من هذا القرن تصرّح باعتماد اللاعنف كسبيل إلى التغيير السياسي. ومن بين هذه الحركات: "تيار المجتمع المدني" (لبنان، 2001)، "حركة كفاية" (مصر، 2004)، "هيئة 18 أكتوبر" (تونس، 2005)، "تجمع إعلان دمشق" (سوريا، 2005)، "جماعة لاعنف" (العراق، 2006)، "حركة رشاد" (الجزائر، 2007).

يجدر القول بأنّ إقناع الناس بفعالية اللاعنف الاستراتيجي في السياق العربي الإسلامي تستغرق الكثير من الوقت والجهد وتتطلب كثيراً من البيداغوجية. فعلى سبيل المثال، حركة رشاد الجزائرية، التي تأسست في أبريل 2007، وحددت مهمتها في العمل على أن "تكون السلطة السياسية التي تحكم الجزائر شرعية، مدنية، ذات سيادة، منصفة، اجتماعية، متبصرة، تقوم على الفعالية والشفافية والمساءلة أمام الشعب".<sup>34</sup> معتمدةً "لتحقيق أهدافها كلّ الوسائل اللاعنفية للنضال السياسي"<sup>35</sup>، لماً باشرت عملها منذ انطلاقتها في شرح فضائل اللاعنف وتبيين مزاياه النسبية مقارنة بطرق التغيير الأخرى (الثورة المسلحة والانتقال والتدخل الأجنبي)، وُصف مؤسسو الحركة من طرف البعض بالسذاجة، وبأنهم يتشبهون بغاندي في جزائر لا

علاقة لها بالهند. وكانت حجة المشككين في نجاعة اللاعنف في الجزائر هي كون المزاج "الحر" الأمازيغي العربي للجزائريين يمثل عقبة حقيقية أمام العمل اللاعنف. وشرعت رشاد في جهود توعوية طويلة لتفكيك هذه المسلمات، من خلال كتابات عديدة، وسلسلة من الأفلام الوثائقية<sup>36</sup> التي بثتها الحركة على قناة رشاد التلفزيونية، وكذا عبر التداخلات المنتظمة لأعضاء الحركة في وسائل الإعلام.

#### 4.3. "الربيع العربي"

مثال آخر يوضح كيف يمكن للاعنف أن يحدث التغيير في مجتمع عربي مسلم هو تجارب "الربيع العربي"، في نسختي 2011 و 2019.

ففي أواخر عام 2010، انطلقت شرارة محمد البوعزيزي الذي قام بإضرام النار في نفسه لتدشن عهدًا جديدًا في المنطقة، تميز بالانتفاضات السلمية لاستعادة الحرية والكرامة. وأظهر فاعلو هذه الانتفاضات، خاصة الشباب، عمليًا، أنّ اللاعنف الاستراتيجي يمكن أن ينجح أيضًا في العالم العربي الإسلامي. لكن وحشية الأنظمة، وترسخ "الدول العميقة" وقوى الثورة المضادة، وتدخل القوى العالمية والإقليمية، وقبل كل ذلك عدم كفاءة النخب السياسية الوطنية التي تولت السلطة بعد الثورات، حال دون وصول الانتفاضات السلمية غايتها في بعض السياقات، وأدى إمامًا إلى عودة النظام القديم بصورة أشرس (مصر)، أو إلى حالة من الفوضى (اليمن وسوريا وليبيا).

جاءت الموجة الثانية من الانتفاضات في عام 2019، لا سيما في الجزائر، لتثبت مرة أخرى، لمن لا زالت تراوده الشكوك، أنّ الشعوب العربية الإسلامية، ومنها الشعب الجزائري، قادرة أيضًا على التطلع إلى الكرامة والخروج من دوامة "الحفرة/الحرقة"، والانخراط في حراك متحضر أهب العالم بطابعه اللاعنفى المستديم رغم كل استفزازات النظام العسكري الجزائري. واستمر الحراك منذ 22 فبراير 2019، حتى مع التعليق الطوعي للمسيرات الأسبوعية منذ شهر مارس 2020 بسبب جائحة كوفيد-19، لأنه

## اللاعنف في العالم العربي والإسلامي

يخترم خمسة مبادئ أساسية<sup>37</sup>:

1. الوحدة في إطار التنوع: لقد كسر الحراك جميع الحواجز: الأيديولوجية والمناطقية وبين الأجيال وبين الجنسين وبين الصحيح والعليل وبين الداخل والخارج، إلخ. وفي إطار تنوع هادئ، يعكف الجزائريون معاً على وضع حدٍّ للسلطوية والفساد، متطلّعين إلى مجتمع جامع ودولة قانون وحكم راشد تتسع للجميع ويتمتع فيها المواطن بالحرية والكرامة.

2. الرؤية المشتركة: في بداية الحراك هتف المتظاهرون "لا لولاية خامسة" لبوتفليقة، لكن بعد بضعة أسابيع، تقاربت المطالب لتنصهر في مطلب واحد واضح: أولوية السياسي على العسكري. فالشعارات الرئيسية التي نراها اليوم هي: "مدنية ماشي (ليست) عسكرية"، "جمهورية ماشي كازيرنا (ليست ثكنة)".

3. اللاعنّف: لم تكن الانتفاضة لتستمر لولا التزامها وتمسكها بالمنهج اللاعنفي. فالنظام الذي يُتقن إدارة العنف واستخدامه لصالحه أخذه الحراك على حين غرّة فهو يتخبّط في ميدان لا يُحسن السيطرة عليه.

4. الاستقلالية: لا يريد الجزائريون أيّ تدخّل في شؤونهم، فهم يؤمنون بأنهم وحدهم المخوّلون بإحداث التغيير الذي يصبون إليه. ولديهم رسالة واحدة إلى الحكومات الأجنبية: إنكم بدعمكم لنظام استبدادي وفساد في الجزائر تنتهكون قيمكم ولا تخدمون مصالح بلدانكم.

5. الصبر: راهن النظام عدة مرات على تراجع الاحتجاجات عند اقتراب شهر رمضان، وعطلة الصيف. لكنه فشل في رهانه. فقد كان المواطنون حاضرين كل أسبوع وبقوّة، يتحمّلون أمطار وبرد الشتاء والعطش والجوع خلال شهر رمضان وحرّ الصيف.

#### 4. الخلاصة

حاول هذا الفصل أن يظهر من خلال النصوص الإسلامية والأمثلة والتجارب من العالم العربي والإسلامي أن فكرة اللاعنفة كوسيلة للتغيير ليست غريبة عن هذه المنطقة من العالم. إن اللاعنفة ليس منتجاً تستورده الشعوب العربية والإسلامية بسداجة، ويتم تصديره إليها من قبل المخابر الغربية التي تتآمر ضد مصالحها. إنه تقليد راسخ في ثقافتها، تحث عليه التعاليم الإسلامية وتمت ممارسته طوال التاريخ الإسلامي. وحتى وإن كان الشباب المسلم، الذي يعيش اليوم في عالم معولم، خاصة منذ انتشار الشبكات الاجتماعية، يستعير مفاهيم ورموزاً وشعارات معينة من الحركة الدولية لللاعنف، فذلك لا يجعله "حصان طروادة" يسهل سيطرة الإمبريالية العالمية على موارد العالم الإسلامي. إن الأفكار في عالم اليوم تنتشر بسرعة إشارات الأقمار الاصطناعية والألياف الضوئية، وكما أن الشباب في العالم الإسلامي يمكن أن يستلهم مما يتم في مناطق أخرى من العالم، فقد أظهر في عام 2011 أنه يمكنه أيضاً إلهام شباب العالم الذي تماهى مع "الربيع العربي"، في أوروبا من جنوب القارة إلى أوكرانيا، وفي دول أخرى حول العالم<sup>38</sup>، من خلال احتجاجات أعادت إنتاج نموذج "فضاءات الحرية" (ميادين/ساحات التحرير) مثل حركة "الساخطين" (Indignados) في إسبانيا واليونان وحركة "احتلوا" (Occupy) في المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية. كما تجلّى هذا التأثير المتبادل في عام 2020 خلال حملة "حياة السود مهمة" (Black Lives Matter) في الولايات المتحدة، حيث هتفت الحشود "أزيلوهم جميعاً"، وهي عبارة مستنسخة حرفياً من شعار "يتنحوا قاع" الجزائري.

بالإضافة إلى ذلك، يمكن استخلاص عدة دروس من "الربيع العربي"، الذي انطلق في نهاية عام 2010 وما زال مستمراً، وعلى وجه الخصوص: (1) يتطلع كلّ البشر إلى الحرية والكرامة والحياة الكريمة؛ (2) لجميع الشعوب عتبة للانتفاض، أي قدر معين من الظلم يدفعهم إلى الانتفاض؛ والمسلمون من عرب وأمازيغ وأكراد وغيرهم، ليسوا استثناءً؛ (3) الشرارة التي تثير الانتفاضة يحددها السياق؛ (4) لا يوجد

## اللاعنف في العالم العربي والإسلامي

ديكتاتور لا يقهر. فالطغاة ليسوا أقوىاء كما يدون؛ (5) إن مفتاح الانتصار على الديكتاتورية هو الوحدة في التنوع؛ (6) القائد الكاريزمي ليس شرطاً مسبقاً للنصر؛ (7) يمكن للشباب إحداث التغيير؛ (8) المقاومة المدنية اللاعنفية فعالة حتى في الدول العربية الإسلامية؛ (9) قد تكون الشبكات الاجتماعية والقنوات الفضائية عاملاً مساعداً، لكن النضال الحقيقي في الشوارع والساحات والتضحيات ضرورة لا مفر منها؛ (10) ليس لدى القوى العالمية أصدقاء دائمين ولا يمكنها التخطيط والتنبؤ بكل شيء.

مدخل إلى ترشييد الخلاف

---

---

## الفصل الثاني عشر ثلاثية الراديكالية والتطرّف والإرهاب

---

---

### المحتويات

1. مقدّمة .....	216
2. الاستعمال المسيّس للمفاهيم .....	217
3. التطرّف .....	219
4. الراديكالية .....	221
5. العلاقة بين الراديكالية والتطرّف والعنف .....	228
6. الإرهاب .....	229
7. خلاصة .....	232



## 1. مقدمة

مثلاً هو الحال بالنسبة لمصطلحات "الخلاف" و"العنف" و"السلم" التي كانت موضوع الفصل الثالث، تحتاج مفاهيم "التطرف" و"الرايكية" و"الإرهاب" إلى دقة في التعريف، ليسهل التعامل معها في سياق ترشيده الخلاف، إذ تؤدي الضبابية في التعريف إلى عدم إمكانية الوصول إلى إدراك جماعي ومعرفة مشتركة للظواهر التي تقف وراء هذه المصطلحات.

المعرفة المشتركة التي تنبع عن توافق واسع ضرورية لبناء السلم والوقاية من العنف. ولذلك من واجب المصالح أن يقوم بالتحقق عن كيفية فهم جميع الأطراف للمصطلحات المتداولة بينهم، وأن لا يكتفي بقبول الفهم الذي قد يحاول فرضه الطرف القوي. ومن البديهي أن يحاول الطرف الأقوى - أي المتفوق على المستوى المعرفي أو المادي - سحب صلاحيات تعريف المفاهيم وتحديد الاصطلاحات إلى جانبه، وقد لا يكون الطرف الأضعف حتى على وعي بذلك. فمثلاً، أثناء الدورات التدريبية

التي ينظمها معهد قرطبة

للسلم بجنيف، عادة ما يتم عرض هذا الشكل، فيكون ردّ الفعل فوراً: إنّ الخريطة مقلوبة! ثمّ يُعرض الشكل الذي يليه والذي يمثل خريطة العالم من إعداد الإدريسي في 1154

بطلب من حاكم صقلية روجير 2. فيعي الحضور بأنّ اصطلاح صياغة الخرائط من صلاحيات الجهة المتفوقة معرفياً.



## ثلاثية الراديكالية والتطرّف والإرهاب

يهدف هذا الفصل إلى فهم الفوارق المميّزة بين الراديكالية والتطرّف والعنف والإرهاب والروابط التي تجمع بينها، ليس لدواعي الصرامة الفكرية فحسب، بل لضمان العمل الفعّال ضدّ العنف المتطرّف والإرهاب.

### 2. الاستعمال المستيس للمفاهيم

شاع استعمال مفردة الإرهاب على المستوى العالمي منذ عقود، وكانت تُستعمل خاصة لوصف الحركات التحرّرية أو الانفصالية وتجربتها، إلّا أنّ انتشارها تسارع منذ تسعينيات القرن الماضي بعد تكاثر محاولات الاعتناق من الأنظمة الشمولية والتسلّطية (الجزائر، آسيا الوسطى، أوروبا الشرقية، البلقان، إلخ.)، ليلعب ذروته بعد هجمات 9/11 في 2001. ورغم الاستعمال الرَّاجِّ لمصطلح الإرهاب، إلّا أنه يبقى إلى اليوم يفتقر إلى تعريف قانوني مقبول على نطاق واسع. فأدّت هذه الثغرة المفاهيمية إلى تسييس مصطلح الإرهاب من طرف الأنظمة التسلّطية لخلق كلّ صوتٍ معارضٍ لممارستها.

كما اجتاحت تعبير "التطرّف العنيف" في السنوات الأخيرة أديبات وكالات السلم والأمن في شتى أرجاء العالم، من مكتب الأمين العام للأمم المتحدة إلى أصغر منظمة مجتمع مدني في أقاصي الأرض، فأصبح الموضوع الأهم. كما تحوّل تعبير "مكافحة/محرّبة التطرّف العنيف" أو "الوقاية من التطرّف العنيف" إلى لازمة لا غنى عنها في معظم برامج بناء السلم. لكن التنامي السريع للاهتمام بهذا الموضوع يطرح إشكالاً يتمثل في الافتقار إلى تعريف واضح ومقبول على نطاق واسع لمفهوم "التطرّف العنيف"، وفي

---

<sup>أ</sup> تلاحظ جورجيا هولمر من معهد الولايات المتحدة للسلام في أنه "مثلما تتباين التعريفات القانونية والسياسية للإرهاب عبر الوكالات الأميركية والمنظمات الدولية - وتعكس تفويض هذه الكيانات ومداهها ودورها في مكافحته - يختلف معنى "التطرّف العنيف" باختلاف السياقات.

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

الأسئلة المثارة حول تبريراته ال(جيو)سياسية، إذ يرى بعض المراقبين في هذا المفهوم صيغة جديدة "مقبولة" سياسيًا لإطلاق موجة ثانية من "الحرب على الإرهاب"، بعد أن انقضى أجل الموجة الأولى التي أعقبت هجمات 9/11، وفيهم حتى من يجد في هذه المقاربة عناصر تذكر باستراتيجية مكافحة التمرد الاستعمارية<sup>1</sup>.

"يدين" مجلس الأمن في قراره رقم 2178<sup>2</sup> "التطرّف العنيف، الذي يمكن أن يفضي إلى الإرهاب"، دون أن يعرف هذين المفهومين. ويبدو أنّ الأمم المتحدة تستعمل تعبير "التطرّف العنيف" و"الراديكالية العنيفة" بطريقة تبادلية<sup>3</sup>، وهذا ما يتكرر أيضًا في الدوائر الأكاديمية والسياسية والديبلوماسية والإعلامية. علاوة على ذلك، أعلن الأمين العام للأمم المتحدة بوضوح في "خطة العمل لمنع التطرّف العنيف" أنّ "خطة العمل هذه تتبع نهجًا عمليًا لمنع التطرّف العنيف دون الخوض في المسائل المتعلقة بالتعريف"<sup>3</sup>. وحسب الأمين العام للأمم المتحدة، فإنّ "تعريف 'الإرهاب' و'التطرّف العنيف' هو من اختصاص الدول الأعضاء، ويجب أن يكون متفقًا مع التزاماتها بموجب القانون الدولي، ولاسيما القانون الدولي لحقوق الإنسان"<sup>4</sup>. وتمثّل هذه المسألة إشكالية كبيرة إذا كانت هناك نية وإرادة لإعطاء هذا المفهوم معنى قانونيًا؛ إذ يفتح الباب على مصراعيه أمام إساءة استخدام التعريف، نظرًا لأنّ كثيرًا من الأنظمة التسلطية في أنحاء العالم ترحب بهذا الغموض، تمامًا كما فعلت مع مفهوم

September 2013.

<sup>1</sup> ثمة إجماع واسع على كون هذه المقاربة التي ابتدأت عام 2001 غير فعالة، وعكسية النتائج، وتولّد المزيد من التطرّف والعنف. في البلدان الغربية كثيرًا ما يُستعمل خطاب "الحرب على الإرهاب" عشوائيًا، في حين تستخدمه الأنظمة التسلطية سلاحًا ضد المعارضين السياسيين في العالم الإسلامي. أما التأثير السلبي لتشريعات "الحرب على الإرهاب" على المجتمعات المدنية، لاسيما المنظمات الإنسانية ذات المرجعية الدينية، فهو حقيقي.

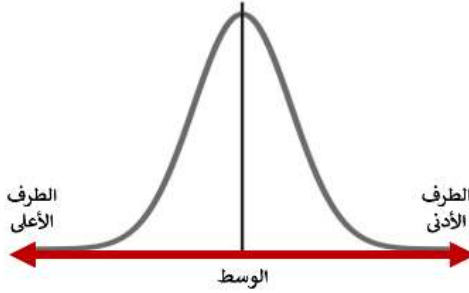
<sup>2</sup> استخدم التعبير "مكافحة التطرّف العنيف" و"مكافحة الراديكالية العنيفة" لإيصال المعنى ذاته في قرار مجلس الأمن رقم 2178 (2014).

## ثلاثية الراديكالية والتطرف والإرهاب

الإرهاب، حيث استخدمته على نحو فضفاض وغالبًا في مسعاها لفرض سيطرة كاملة على الفضاء السياسي في بلدانها، كون القانون الدولي لحقوق الإنسان آخر أولوياتها.

### 3. التطرف

يغطي مفهوم التطرف عددًا من المعاني<sup>أ</sup>، ولا يمكن اعتباره مفهومًا "مستقلًا" بل يجب تعريفه نسبةً إلى مرجعية تتم الاتفاق عليها. إنّ التوزيع الطبيعي في العلوم الطبيعية والاجتماعية، وهو الأنسب لحساب المتغيرات العشوائية للقيمة الحقيقية، يتمثل بيانًا بمنحنى جرسى مع حدّ أقصى عند المتوسط (أو المعدل الوسطي للتوزيع) وحدّ أدنى عند ذيلَيْ المنحنى اللذين يشيران إلى الطرفين الأعلى (الإيجابي) والأدنى (السلبي) نسبةً إلى القيمة الوسطية (أنظر الشكل الآتي).



تتمركز كثافة التوزيع (الأغلبية) حول المتوسط، ويمثل كلا الطرفين خيارين أو بديلين

<sup>أ</sup> يوصف روجر سكروتن في معجم الفكر السياسي "التطرف" بأنه تعبير غامض، يمكن أن يعني: (1) أخذ فكرة سياسية إلى حدودها [القصى]، بغض النظر عن التدايعات "المؤسفة"، والافتقار إلى إمكانية التطبيق العملي، والحجج، والمشاعر التي تشير إلى العكس، بغرض لا يقتصر على مواجهة المعارضة فحسب بل استئصالها أيضًا؛ (2) عدم التسامح مع جميع الآراء المغايرة؛ (3) تبني وسائل لغايات سياسية تتجاهل معايير السلوك المقبولة، ولا سيما تلك التي تستخف بحياة الآخرين، وحرّيتهم، وحقوقهم الإنسانية. أنظر:

Roger Scruton, *A Dictionary of political Thought*, Pan Reference & The Macmillan Press. London 1982.

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

لجزء صغير من التوزيع (الأقلية). ويمكن أن يمثل المنحنى الجرسى نطاقاً من المواقف ضمن مجموعة معينة. يظهر الجدول الآتي بعض الأمثلة.

طرف أدنى	متوسط	طرف أعلى
تفريط	اعتدال	إفراط
جبن	شجاعة	تهور
بخل	كرم	إسراف أو تبذير
انسحاب (هجرة جماعية)	دور فاعل في المجتمع	انتهاك (إرهابية)

يمكن النظر إلى التطرف ضمن أيّ مجتمع أو بلد أو حضارة على أنّه انحراف أو تحوّل عن المعيار المقبول من قبل الأغلبية. لذلك، فإنّ ما هو متطرف مرتبط بالسياق الذي يترسخ فيه المعيار. فمثلاً، حسب بيتر نيومان من المركز الدولي لدراسة الراديكالية والعنف السياسي، "يمكن استخدام التطرف للإشارة إلى الأيديولوجيات السياسية التي تعارض القيم والمبادئ الجوهرية في مجتمع ما. وفي سياق الديمقراطيات الليبرالية، يمكن تطبيق ذلك على أيّ أيديولوجية تؤيد التفوق العرقي أو الديني و/أو تُعارض المبادئ الجوهرية للديمقراطية وحقوق الإنسان الكونية"<sup>5</sup>.

في سياقنا هذا، يتصل المعدل الوسطي المستخدم كمرجعية بالمعايير الموضوعية ضمن إطار القانون الوطني أو الدولي أو العرقي أو الديني. إذ يمثل "الطرف الأعلى" التجاوز والتعدّي على المعيار (مثلاً: الإرهاب)، بينما يمثّل "الطرف الأدنى" الاستقالة الاجتماعية واعتزال العمل العام (مثلاً: الهجرة الجماعية). أما "المتوسط" فهو العمل دون تعدي أو اعتزال. ويشكّل الطرفان الأعلى والأدنى ثنائية لا يمكن الفصل بين مكوناتها، وتبقى مظهراتها مدوّمة للمجتمع.

يشير التطرف السياسي (أقصى اليسار وأقصى اليمين) إلى آراء وسلوكيات أشخاص

## ثلاثية الراديكالية والتطرّف والإرهاب

يفضّلون التغييرات السياسية المتطرّفة، بينما التطرّف الديني هو الإفراط والشطط في تأويل النصوص الدينية وممارسة الشعائر. وقد يكون التطرّف صفة فرد أو جماعة أو دولة: تطرّف فردي أو تطرّف جماعي أو تطرّف دولة.

يمكن التعبير عن التطرّف بطريقة عنيفة أو لاعنفية. فعلى سبيل المثال لا يسلك جميع المتطرّفين في الغرب سبيل العنف الذي اتجهه الترويجي أندريس بيهرنغ بريفيك، الذي أطلق الرصاص عشوائيًا في جزيرة أوتويا فقتل 77 شخصًا وجرح 151 آخرين في يوليو 2011. فمعظم المتطرّفين الغربيين يعبرون عن آرائهم دون استخدام العنف. وفي السياق الإسلامي، يتألف التيار التكفيري المتطرّف من مجموعتين: تعتبر الأولى المجتمع كافرًا، وتختار بالتالي الانسحاب منه والعيش في أماكن معزولة (دون اللجوء إلى العنف)؛ بينما تنخرط الثانية في أعمال عنف ضد المجتمع. وعلى نحو مشابه، بعض الجماعات المسيحية المتطرّفة، في أفريقيا مثلًا، "تعتمد على تأويل للكتاب المقدس، يستشهد غالبًا بنصوص من العهدين القديم والجديد، لتبرير العنف والقتل"<sup>6</sup>، مثل بعض الميليشيات المسيحية في جمهورية أفريقيا الوسطى، أو مثل "جيش الرب للمقاومة" في أوغندا الذي "أدانت المحكمة الجنائية الدولية زعماءه بسبب استخدام الجنود الأطفال وارتكاب العديد من الجرائم ضد الإنسانية، بما فيها المذابح والحطف والتشويه والتعذيب والاعتصاب وإجبار الأطفال بالقوة على العمل جنودًا وحاملين ورقيق جنسيين"<sup>7</sup>. لكن كثيرًا من الجماعات المسيحية التي تتبنى آراء متطرّفة لا تلجأ إلى العنف.

### 4. الراديكالية

تتصل الراديكالية بلفظ "راديكالي" وهي كلمة مستمدّة من اللفظة اللاتينية (radix) وتعني الجذر أو الأصل. ويعرّف جون بوتون في كتابه "دليل الراديكالية"، الشخص

---

<sup>أ</sup> الذي يكفر أتباعه إخوانهم في الدين اعتمادًا على تفسير مُغالٍ للنصوص الدينية.

الراديكالي بأنه كل من "يعود إلى جذور قضية ما، فيتفحصها بشكل شامل، مشككًا بكل شيء، ولا يترك حجرًا إلا ويقبله في السعي لنيل الاحترام وتحقيق العدالة"<sup>8</sup>.

وتشير الراديكالية السياسية إلى آراء وسلوكيات أشخاص يسعون إلى التغيير السياسي الجذري. ففي "معجم الفكر السياسي"، يعرف روجر سكروتن "الراديكالي [بأنه] شخص يرغب بأخذ أفكاره السياسية إلى جذورها"<sup>9</sup>. ويتبع الراديكاليون مثالية تغيير الوضع القائم، لا عبر إصلاحات صغيرة، بل بتأسيس واقع سياسي جديد. لذلك كان الراديكاليون على مدى التاريخ المحرك الرئيسي للتغيير الاجتماعي. وفي النتائج الحتمية لـ "اجتماع لجنة الخبراء حول مكافحة الراديكالية ودحر التطرف العنيف"، المنعقد في جنيف يوم 23 يونيو 2016، اتفق المشاركون على أنه:

ينبغي ألا نرى عيبًا في "الراديكالية" بحد ذاتها. فهي تعبر عن ذهنية العودة إلى جذور قضية ما لهما بشكل أفضل واستمداد الإلهام الصحيح منها [...]. يمكن للراديكالية أيضًا أن تشكل بجدوى نظام حكم متحجر يجب التخلص منه في مناطق مختلفة من العالم. في الحقيقة، حركة التنوير في القرن الثامن عشر اعتبرت حركة راديكالية في زمنها. كذلك يمكن للأحزاب الراديكالية الوصول إلى السلطة لإدخال بعض الإصلاحات، ويكون الوصول إلى الحكم سلميًا في بعض الأحيان وغير سلمية في أحيان أخرى. وتزعج الراديكالية لأن تكون أكثر عنفًا كلما ازداد تشبث السلطات أو الأوثوقراطيات الراحلة بالسلطة.<sup>10</sup>

---

<sup>أ</sup> كتب فيكتور هوغو، الروائي والشاعر الفرنسي في القرن التاسع عشر، إلى صديقه ألفونس دو لامارتين رسالة قال فيها: إذا كان الراديكالي يعني المثالي، فأنا راديكالي".

<sup>ب</sup> يعرف ديفيد روبرتسون في "معجم بنغوين للسياسة" الراديكالي بأنه "أي شخص يؤيد إحداث تغيير جوهري مؤثر وواسع النطاق في النظام السياسي. والراديكالي -حرفيًا- هو من يقترح التصدي لمشكلة سياسية أو اجتماعية عبر الغوص عميقًا في نسيجها الاجتماعي-الاقتصادي للوصول إلى السبب الأصلي أو الجذري وتغيير هذا الضعف الاجتماعي الأساسي. وبذلك، يمكن مغايرة التوجه الراديكالي مع العلاج السياسي 'العرضي' المحض".

## ثلاثية الراديكالية والتطرّف والإرهاب

وتسعى الراديكالية الدينية أيضًا إلى العودة إلى الجذور أو الأصل، أي إلى فهم الدين وممارسته بطريقة تلتزم بالمصادر الدينية كما فسّرها وعاشها المؤمنون الأوائل. لذلك تتمحور حول العقيدة القويمة (orthodoxy) والممارسة السليمة (orthopraxy). فعلى سبيل المثال، يعرف اللاهوتي الأميركي تشيد مايرز الراديكالية المسيحية بأنها "إعادة التوجّه نحو الحقائق الجذرية للحوارية المسيحية عبر التأمل والفعل الشخصيين"<sup>11</sup>. ويرى ديفد غالستون، المدير الأكاديمي في معهد ويستار، أن "تاريخ الراديكالية المسيحية هو تاريخ اللاهوتيين أو الحركات اللاهوتية التي حاولت العودة إلى أصل الإنجيل، على الرغم من التراث المؤسسي للكنيسة، وفي كثير من الأحيان ضدّه"<sup>12</sup>. وعلى نحو مشابه، ربما يمكن تعريف الراديكالية الإسلامية بأنها الرغبة في اتباع تأويل صحابة الرسول صلى الله عليه وسلّم والتابعين الأوائل للنصوص التأسيسية الإسلامية (القرآن الكريم والسنة المطهرة)، وهذا بالضبط معنى السلفية<sup>أ</sup>. وبالتالي يتعلّق التطرّف والراديكالية ببعدين مختلفين. يتّصل الأول بمدى التجانب (البعد عن المعدّل المتوسط)، ويتمحور الأخير حول درجة العمق (القرب من الجذر)؛ حيث ينشد الراديكاليون الدينون العمق التاريخي والاقتراب من الرسالة الأصلية؛ بينما يسعى الراديكاليون السياسيون إلى العمق في التغيير.

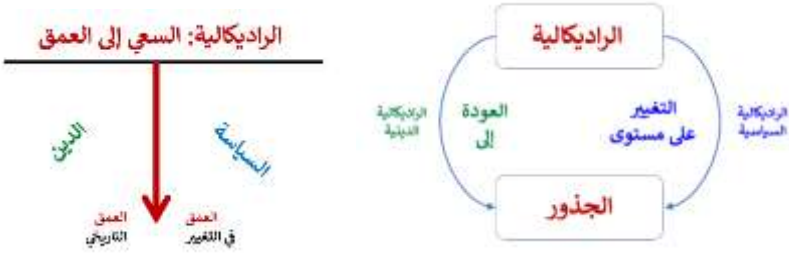
---

<sup>أ</sup> السلفية هي السعي للعودة إلى الإسلام الفطري الأصل كما مارسه السلف الصالح، وتنقية العقيدة وشعائر العبادة الإسلامية. للاطلاع على دراسة مفصلة للسلفية، انظر مقال عباس عروة "المشهد السلفي في أعقاب الربيع العربي":

Abbas Aroua, The Salafiscope in the Wake of the 'Arab Spring', Cordoba Foundation of Geneva (2014). Available online at: <https://bit.ly/2UKnEUO>



## مدخل إلى ترشيده الخلاف



إن ربط الراديكالية بالتطرف، والخلط بين المفهومين الذي تكررته النخب السياسية والأمنية والعسكرية، إضافة إلى وسائل الإعلام، ليس أمرًا جديدًا. ويُشير جون بوتون بخصوص هذا الالتباس المفهومي في كتابه "دليل الراديكالية"، حين يناقش كيفية مقارنة الراديكالية في القرن العشرين، إلى أنه "بحلول منتصف القرن تقريبًا، أقنعت المؤسسة [الحاكمة] نفسها بترادفية 'الراديكالي' و'المتطرف' إلى حد الاعتقاد بأن أي شكل من التطرف أو الأصولية يمكن تسميته بكلّ أمان 'راديكالي'".<sup>13</sup> أما "قاموس أكسفورد" فيصف الراديكالي بأنه "مؤيد لأيّ تغيير سياسي أو اجتماعي شامل، وينتمي إلى القسم المتطرف في الحزب السياسي"؛ بينما يعتبر "معجم فوتانا للفكر الحديث" الراديكالية "نزعة للدفع بالآراء والأفعال السياسية باتجاه التطرف". لكن جون بوتون يرى أنّ "مثل هذه التعريفات تخدم غرض التوكيد على الرأي الرسمي الذي يعتبر الراديكالية تهديدًا".

من الجدير بالذكر أنّ شخصًا راديكاليًا معروفًا في التاريخ الحديث مثل مارتن لوثر كينغ الابن، الذي صنفته المؤسسة الحاكمة الأميركية متطرفًا، ردّ بلاغيًا بقبول هذه الصفة:

لم أقل لقومي "تخلصوا من استيائكم". بل حاولت القول بأنّ هذا الاستياء الطبيعي والصحي يمكن توجيهه في قنوات إبداعية من العمل اللاعنفي المباشر. والآن تُسمّى هذه المقاربة تطرفًا. لكن مع أنني شعرت بالإحباط في البداية لتصنيفي متطرفًا، حين واصلت التفكير بالمسألة اكتسبت بالتدرج قدرًا من الرضا بهذا الوسم. أما كان يسوع متطرفًا من أجل الحب؟ [...] أما كان عاموس متطرفًا من أجل العدل؟ [...] أما كان بطرس متطرفًا من أجل الإنجيل المسيحي؟ [...] أما كان مارتن لوثر متطرفًا

## ثلاثية الراديكالية والتطرف والإرهاب

[...] وجون بنيان [...] وأبراهام لينكولن [...] وتوماس جيفرسون؟ [...] ليس السؤال إداً هل نكون متطرفين، بل أي نوع من المتطرفين نكون. هل نكون متطرفين في الكراهية أم في الحب؟ هل نكون متطرفين في إدامة الظلم أم في توسيع نطاق العدل؟<sup>14</sup>

في السياق الإسلامي، لا يمكن الجمع بين التطرف والراديكالية. فالنبي عليه الصلاة والسلام وصحابته الأوائل، الذين يُفترض أن يقتدي بهم المسلمون الراديكاليون (السلفيون) ويقلّدونهم، امتثلوا في الواقع للآية القرآنية التي تنهى عن الغلو والتطرف في تأويل النصوص الدينية وممارسة الشعائر: "لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ"<sup>15</sup>، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أيها الناس، إيتاكم والغلو في الدين، فإتوا أهلكم من كان قبلكم الغلو في الدين"<sup>16</sup>. ومن الواضح أنّ الأمر المُدان في الآية الكريمة والحديث الشريف هو الغلو والميل إلى التطرف. ثمّة آية قرآنية أخرى تقترح بديلاً للغلو، وهو الوسطية: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا"<sup>17</sup>. ويشير هذا المصطلح إلى الميل نحو الوسط بالتوسط، وتوحي إلى ما هو معتدل ومتوازن. وقد فسّر الرسول صلى الله عليه وسلم الوسط بالعدل<sup>18</sup>، فالوسطية تدلّ على الإنصاف، في حين يفضي التطرف إلى مواقف منحازة مدفوعة بالعواطف والأهواء، لا بالعقل والمنطق. وينبع الغلو من حقيقة أنّ بعض المؤمنين الأوائل سعوا إلى تجاوز الفروض الدينية المطلوبة منهم، فألزمتمهم الوسطية بالاعتدال والتوازن وعدم الإفراط في أمور الدين.

ليس من المستغرب إذن أن تتأسس في المملكة المتحدة عام 2005، إثر هجمات 7/7 على المدنيين المسافرين عبر نظام النقل العام في لندن، منظمة إسلامية غير حكومية تحمل اسم "طريق الوسط الراديكالي" (Radical Middle Way)<sup>19</sup>، وهو ليس

---

<sup>1</sup> غلا في الأمر أيّ تشدّد فيه حتى جاوز الحدّ (معجم اللغة العربية المعاصرة). أقرب ترجمة لمصطلح الغلو الكلمة الفرنسية (surenchere)، كونها تشترك معه في معنى جذر واحد يشير إلى ما هو قيمٌ وثمين.

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

تناقضا لفظيا بين عبارتي الراديكالية والوسطية مجال من الأحوال. وتهدف المنظمة إلى "ترويج فهم معتدل يمثل التيار السائد في الإسلام ويمكن للشباب الاعتماد عليه"، إضافة إلى "منح جاهريها الأدوات الملائمة لمحاربة الإقصاء والعنف، وتشجيع العمل المدني الإيجابي"، و"رعاية مجتمعات أكثر انفتاحا ومشاركة ولحمة".

بالنسبة لأولئك الذين يتعاملون مع السياق الإسلامي، يشكّل استخدام مفهومي الغلو والوسطية مقارنة أفضل لمنع التطرف. فهاتان المفردتان أشدّ وقعا على المتطرفين ذوي الخلفية الإسلامية من فكري "التطرف" و"الراديكالية".

قد تصبح الجماعات الراديكالية متطرفة، لكن الراديكالية ليست شرطا مسبقا وطريقا حتميا للتطرف. فالجماعات الإسلامية المسلحة في الجزائر، وتنظيم القاعدة العالمي، وتنظيم الدولة الإسلامية، أمثلة واضحة على التحوّل من الراديكالية إلى التطرف. ففي بدايتها، تجتذب الجماعة الراديكالية العنيفة راديكاليين سياسيين ودينيين من مختلف التوجهات: شباب وطلّاب على وجه الخصوص، وأكاديميين، وفقهاء، ورجال ونساء عانوا من الظلم، أو شهدوا غيرهم يعانون منه، ويريدون جميعا القتال في سبيل العدل. وبمرور الوقت، ينضمّ إليهم آخرون: أنماط متنوّعة من المتطرفين، وباحثون عن المغامرة، وتائبون وملتمسون جُدد، وبلطجية ولصوص وعصابات إجرامية، وعملاء مؤسسات استخبارية وعسكرية، الخ.

يجب بالتالي الفصل بين التطرف والراديكالية في الذهن وفي الخطاب، فاستعمالهما دون تمييز خلط بين ظاهرتين مختلفتين. كما ينبغي عدم اعتبار إزالة الراديكالية مرادفا لفظيا لإزالة التطرف.

تُظهر الأمثلة التاريخية والمعاصرة أنّ الراديكالية، سواء السياسية أو الدينية، يمكن التعبير عنها بطرق عنيفة أو لاعنفية.

في السياق المسيحي، يمكن العثور على أدبيات واسعة النطاق حول موضوع

## ثلاثية الراديكالية والتطرف والإرهاب

الراديكالية المسيحية (مسيحية راديكالية، حوارية راديكالية).<sup>1</sup> ويقدم العمل الجماعي الذي أعدته كريستيان تيرمان وآخرون، "الراديكالية القائمة على الإيمان: المسيحية والإسلام واليهودية بين الناشطة البناء والتعصب المدمر"<sup>20</sup>، أمثلة على الراديكالية المسيحية اللاعنافية (مارتن لوثر كينغ الابن، توبوهيكو كاغاوا، ليو تولستوي، جيرارد وينستنائي، وليام بليك، غوستافو غوتيريز)، وعلى الراديكالية المسيحية العنيفة (تمرد مونستر، توماس مونتر، كاميلو توريس ريسترينو). وكثيراً من الشخصيات البارزة التي حاربت في سبيل حقوق الفقراء في أوروبا، خصوصاً الفلاحين، أو التي تبنت لاهوت التحرير في أميركا اللاتينية، صُنفت في فئة الراديكاليين المسيحيين العنفيين. بينما اعتُبرت حركات مثل طائفة الإيميش، أو الترسيمات الأسقفية في إيكون، لاعنافية. فيما يتعلّق بالتراث الإسلامي، كترس عددٌ من المؤلفين أعمالهم البحثية للراديكالية الإسلامية (السلفية)<sup>21</sup>، وحاول بعضهم وضع تصنيفات لهذا التيار الإسلامي، مميّزين بين الجماعات اللاعنافية مثل السلفية العلمية أو السلفية الحركية، والجماعات العنيفة مثل السلفية الجهادية<sup>22</sup>.

وفي السياق الإسلامي، يخرج الراديكالي الذي يصبح متطرفاً على الفور من فئة الراديكاليين؛ لأنّ جميع المسلمين، ومن باب أولى أولئك الذين يزعمون أنهم راديكاليون، مُلزَمون بالابتعاد عن الغلو (التطرف). في الحقيقة، يُعدّ الراديكاليون المسلمون حلفاء مهمّين في التصدي للمتطرفين المسلمين، وهم يؤدّون هذه المهمة على أرض الواقع. فالعلماء والشيوخ الراديكاليون (السلفيون) والمجموعات الراديكالية العنيفة

---

<sup>1</sup> تعرض موسوعة التراث العالمي (The World Heritage Encyclopaedia) مجموعة مختارة من ثلاثين مقالاً حول هذا الموضوع، بدءاً من الأعمال المبكرة لوليام ويدنغتون (William Withington) "الراديكالية المسيحية" (1836)، وانتهاءً بالإسهام الحديث لمارك فان ستينويك (Mark Van Steenwyk) "نزع ملكوت الرب: اعتناق القوة التخريبية للتوبة" (2013). انظر:

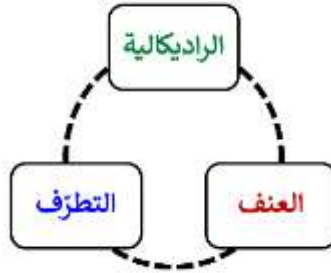
[gutenberg.us/articles/eng/Radical\\_Christianity](http://gutenberg.us/articles/eng/Radical_Christianity)

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

تقف على خط المواجهة الأول في سورية والعراق وأماكن أخرى لمحاربة جماعات العنف المتطرف، ويعانون من تجاوزات هذه الجماعات وتعدياتها. كذلك توسم جماعة "العدل والإحسان" في المغرب بأنها حركة راديكالية، لكنها تسهم بفاعلية في وقاية الشباب من الميل نحو التطرف واللجوء إلى العنف. لذلك كثيراً ما يؤدي وضع الراديكاليين في معسكر المتطرفين إلى تبديد الموارد.

### 5. العلاقة بين الراديكالية والتطرف والعنف

تختلف الراديكالية اختلافاً كبيراً عن التطرف. إضافة إلى ذلك، ليس الراديكاليون والمتطرفون السياسيون أو الدينيون بالضرورة عنيفين. فبعض الراديكاليين يؤيد اللاعنف، ويدعو بعضهم الآخر إلى عنف غير متطرف يحترم القانون. وعلى نحو مماثل، لا ينخرط بعض المتطرفين في أعمال العنف، بينما يجتذب العنف المتطرف بعضهم الآخر. فالراديكاليون ليسوا بالضرورة متطرفين، والراديكاليون ليسوا بالضرورة عنيفين، والمتطرفون ليسوا بالضرورة عنيفين.



مما سبق، نجد أنفسنا أمام ست فئات: الراديكالية السياسية والتطرف السياسي والعنف السياسي والراديكالية الدينية والتطرف الديني والعنف الديني. تشمل هذه الفئات مواقف وسلوكيات، وتشير إلى أبعاد مختلفة في الفكر والفعل: الدافع، والبعد عن أصل الإلهام أو مصدره، وعمق الفعل، والانحراف عن المعيار المقبول عموماً، ووسائل الفعل. لكن يمكن وجود تقاطعات بينها: الراديكالية والعنف، التطرف

## ثلاثية الراديكالية والتطرف والإرهاب

والعنف، الراديكالية والتطرف، وبين المجالين السياسي والديني إذا استمد الفعل السياسي إلهامه دينيًا. علاوة على ذلك، في الفضاء ثلاثي الأبعاد المحدد بمفاهيم الراديكالية، والتطرف والعنف، هنالك اثنا عشر احتمالًا نظريًا يستحق التفتيش، كون كل مصطلح يُستخدم اسمًا أو نعتًا (محددًا أو محددًا). وتعتمد الفائدة العملية لكلٍ من هذه الاحتمالات النظرية على السياق.

### 6. الإرهاب

تُستعمل كلمة "إرهاب" كلفظ مقابل لكلمة terrorism الإنجليزية والمفردات المشابهة لها في اللغات الأخرى<sup>ب</sup> التي نجد لها العديد من محاولات التعريف على المستوى الأكاديمي والسياسي. فيعرفها قاموس أوكسفورد بـ "الاستخدام غير القانوني للعنف والتخويف، خاصة ضد المدنيين، سعيًا لتحقيق أهداف سياسية"<sup>23</sup>. ويعرفها قاموس مريم ويبستر بـ "الاستخدام المنهجي للعرب، خاصة كوسيلة للإكراه"<sup>24</sup>، كما يعرفها قاموس لاروس بـ "مجموعة من أعمال العنف (الهجمات، أخذ الرهائن، إلخ) التي ترتكبها منظمة أو فرد لخلق مناخ من انعدام الأمن، من أجل ابتزاز الحكومة، أو لإشباع الكراهية تجاه مجموعة بشرية أو دولة أو نظام"<sup>25</sup>.

لفظ terrorism يتعلق إذن بالعدوان والبغي والطغيان والقهر والظلم.

إن ارتكاب عمل من هذا القبيل هو إلحاق الأذى بالأشخاص الأبرياء وتدمير ممتلكاتهم وسلب حقوقهم، لا سيما حقهم في السلامة الجسدية وحتى حقهم في الحياة، بهدف

---

<sup>أ</sup> (1) راديكالية غير متطرفة وغير عنيفة؛ (2) راديكالية متطرفة غير عنيفة؛ (3) راديكالية عنيفة غير متطرفة؛ (4) راديكالية عنيفة ومتطرفة؛ (5) تطرف غير راديكالي وغير عنيف؛ (6) تطرف راديكالي غير عنيف؛ (7) تطرف عنيف غير راديكالي؛ (8) تطرف عنيف وراديكالي؛ (9) عنف غير متطرف وغير راديكالي؛ (10) عنف متطرف غير راديكالي؛ (11) عنف راديكالي غير متطرف؛ (12) عنف راديكالي متطرف.

<sup>ب</sup> تُستعمل ألفاظ مشابهة في معظم اللغات العالمية الرئيسية: terrorism بالفرنسية و Terrorismus بالألمانية و terrorismo بالإسبانية والإيطالية و терроризм بالروسية.

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

إثارة الخوف والحث على السلوك المطلوب الذي يساعد على تحقيق بعض الأهداف المحددة مسبقاً. يمكن اعتبار مفهوم terrorism إذن كفعل (عنيف أو ضار أو ميث)، يرتكبه فرد أو جماعة أو دولة بقصد معين. ويغطي القصد هدفاً فورياً (إثارة الخوف) وهدفاً متوسطاً (إثارة سلوك) وهدفاً نهائياً (مشروعاً أو غير مشروع).

ويعدّ العدوان والبغي من الممنوعات في الإسلام كما تشير إليه الآيات القرآنية الآتية:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>26</sup>

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا. وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾<sup>27</sup>

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>28</sup>

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ۖ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۚ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>29</sup>

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>30</sup>

إذن فكلمة terrorism تشير إلى عنف متطرف. فما هو مقابلها العربي؟ هل هو الإرهاب؟

لفظ الإرهاب في اللغة العربية مشتق من أَرْهَبَ أي أَحَافَ (لسان العرب وتاج العروس) فهو فعلٌ يهدف إلى إثارة الخوف لدى الآخر، بغض النظر عن الأسلوب المستعمل والقصد من ورائه، ولا يشير بالضرورة إلى عنف متطرف. وقد يكون له مدلول سلبي أو إيجابي حسب السياق. ففي سياق الآية الكريمة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا

## ثلاثية الراديكالية والتطرف والإرهاب

اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رَّبَابِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ<sup>31</sup>، يكون للإرهاب مدلول إيجابي يندرج في إطار استراتيجية الردع. فهو موقف وسلوك دفاعي، بعكس العدوان الذي هو موقف وسلوك هجومي. فالإرهاب في سياق الردع يتم بوسائل غير ضارة، ويهدف إلى ثني الطرف الآخر عن الانخراط في عمل عدواني. ويوضح الجدول الآتي أربع حالات يكون فيها الإرهاب هدفًا فوريًا.

الردع	صدّ العدوان	العدوان المضاد	العدوان	النوع
دفاعي	دفاعي	انتقائي	هجومي	الوسيلة
اللاعنف	العنف	العنف	العنف	الهدف الفوري
الإرهاب	الإرهاب	الإرهاب	الإرهاب	الهدف المتوسط
ثني الآخر عن العدوان	إرغام الآخر على وقف العدوان	حثّ الآخر على الندم على العدوان	إضعاف دفاع الآخر	الهدف النهائي
السلم والأمن	استرجاع الحقوق	الثأر والانتقام	سلب الحقوق	

في الإسلام: الحالة الأولى (العدوان) هجومية ممنوعة؛ الحالة الثانية (العدوان المضاد) انتقامية مكروهة لأنّ المسلم مُلزمٌ بالتخلّص من روح الانتقام ومطالبُ بتفضيل العفو؛ الحالة الثالثة (صدّ العدوان) دفاعية مقبولة؛ الحالة الرابعة (الردع) دفاعية ضرورية لضمان السلم وتجتب الحرب.

من الواضح أن لفظ إرهاب لا يعبر بدقة عن مفهوم terrorism وثمة عدّة مقترحات

<sup>31</sup> لما يقول أبو القاسم الشابي في قصيدة "فلسفة الثعبان المقدّس"، "لا عدلٌ، إلا إن تعادلت القوى \* وتصادم الإرهابُ بالإرهابِ" فإنّ المعنى من الإرهاب في هذا السياق هو الدفع الذي يحقّق العدل.



## مدخل إلى ترشيده الخلاف

بديلة بما في ذلك البغي والعدوان كما تمت الإشارة إليه أو الإرعاب أو التفريع كما اقترحه إبراهيم محنا، الباحث بالموسوعة الفقهية بدولة الكويت<sup>32</sup>، أو "الإرهابية" التي تمثل عقيدة أو أيديولوجيا - وهو ما يوحي إليه "ism" في كلمة terrorism - تؤمن بأن جميع المشاكل يمكن حلها عبر العنف، بما في ذلك العنف المتطرف.

### 7. خلاصة

من المهم جدًا في مجال الوقاية من الغلو والعنف المتطرف من خلال مقارنة ترشيده الخلاف الحرص على الدقة في تعريف مفهومي "التطرف" و"الراديكالية" وفهم الفرق بينها وعلاقتها بمفهومي "العنف" و"الإرهاب"، فليس كل راديكالي متطرف أو عنيف، وليس كل متطرف عنيف أو إرهابي، فالمفاهيم المختلفة تحيل إلى مواقف وسلوكيات متباينة وتشير إلى أبعاد مختلفة في الفكر والفعل. يتعلّق مفهوما "التطرف" و"الراديكالية" ببعدين مختلفين، فبينما يتصل الأول بمدى مجانبة الوسطية، يتمحور الثاني حول درجة العمق والقرب من الأصل والجذور. إنّ الإبقاء على الضابطة في تعريف هذه المصطلحات كثيرة التداول يفتح الباب واسعًا للاستعمال المسيّس لها والإبقاء على حالة من التوتر داخل المجتمع قد تؤدّي إلى شيوع العنف.

---

---

## الفصل الثالث عشر

# التمييز بين الكيانات ذات الخلفية الدينية

---

---

### المحتويات

234	1. مقدمة .....
234	2. المقاربة اللاتمييزية للتيارات الإسلامية .....
236	3. المقاييس الأربعة .....
236	أ) المعايير .....
236	ب) السياسة .....
237	ج) التغيير .....
237	د) العنف .....
237	4. عشر حالات توضيحية .....
238	أ) الإخوان المسلمون .....
238	ب) السلفية .....
239	ج) الصوفية .....
240	5. خلاصة .....

## 1. مقدمة

كما أن التعريف الدقيق لمصطلحات الراديكالية والتطرّف والإرهاب ضروري لتفادي العنف المتطرّف، كما جاء في الفصل السابق، فإنّ التمييز بين الكيانات ذات المرجعية الدينية حيويّ لأيّ استراتيجية تهدف إلى الوقاية منه. وتركز برامج "منع التطرّف العنيف" على الصعيد الدولي عملياً على تطرّف المنتهين إلى الإسلام بشكل أساسي - وإن كانت الخطابات المعلنة الرسمية بما فيها الأدبيات الأئمية تنفي وتتكبر ذلك - رغم أنّ التطرّف والعنف المتطرّف ظاهرتان عابرتان للأديان وللمدارس الفكرية، وأنّ توصيف الأديان جملةً بالعنيفة أو السلمية لا مغزى له، فالأديان كلّها تحثّ على الفضائل وتنبه عن الرذائل، أمّا أتباع الأديان فهم بشرٌ وكيانات معقّدة التركيب يتوقون إلى السلم وينزعون إلى العنف في آن واحد.

ومن الاختصارات السهلة والشائعة - عن جهل أو بغية الاستعمال السياسي لقمع المعارضين - وسم بعض التيارات الإسلامية بالعنف والتطرّف والإرهاب وبعضها الآخر بالسلمية والاعتدال. إنّ هذا الموقف تجاه الدين وهذه المقاربة غير التمييزية للتيارات الدينية يؤدي في العديد من السياقات إلى سياسات كارثية تُسبّب توترات غير مرغوب فيها في المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية. ويقدم هذا الفصل أربعة مقاييس تساعد في التعامل مع التيارات الدينية بطريقة متباينة، مع مراعاة عدم تجانسها والتنوع الواسع بداخلها.

## 2. المقاربة اللاتمييزية للتيارات الإسلامية

كثيراً ما تُعتبر التيارات الدينية، خاصة المدارس الفكرية الإسلامية، كتلاً متجانسة تُعارض أحياناً بعضها البعض. فأتباع الصوفية، مع تنوعهم الواسع<sup>1</sup>، المنخرط منهم في العمل الاجتماعي والسياسي أو الممتنع، يعتبرهم البعض بلا تمييز مجموعةً مسلمةً. وأتباع السلفية، التي ظهرت منذ قرون وتواجدها في جميع البلدان الإسلامية بأشكال شتى<sup>2</sup> متجذرة في التقاليد المحلية، يُنسبون من طرف البعض إلى مدرسة واحدة من هذا

## التمييز بين الكيانات ذات الخلفية الدينية

التيار نشأت في نجد وهي المدرسة الوهابية، التي غالبًا ما يتم ربطها بالتطرّف والإرهاب. أمّا جماعة الإخوان المسلمين، التي تطوّرت على مدى أكثر من تسعة عقود، وتنقسم اليوم إلى مجموعة واسعة من المنظمات الاجتماعية والسياسية، منها اليساري واليميني ومنها الفُطري والدولي، فقد تمّ تصنيفها جملةً من قبل بعض الأنظمة التسلّطية كجماعة إرهابية.

في الواقع، لا تنظر بعض النخب الأكاديمية والسياسية فقط إلى التيارات المختلفة للفكر الإسلامي كشكل من أشكال التطرّف، بل إنها تفعل الشيء ذاته فيما يتعلق بممارسة الدين. فقبل عامين، أثناء محادثة مع واحدة من كبار الباحثين في مركز أبحاث صيني، أفادت الباحثة أنه "في السنوات الأخيرة، أصبح مسلمونا في الصين متطرّفين". فُطلب منها أن تشرح كيف ذلك، وكان جوابها: "إنهم لم يعودوا يتناولون المشروبات الكحولية كما كانوا يفعلون من قبل". يمكن تفسير هذا الرد، غير المتوقع من شخص متعلّم، بالمسافة الثقافية التي تفصل بين قومية الهان والمسلمين، أو بتأثير عقود من الشيوعية الصلبة التي خنقت التعبير الديني وتسبّبت في انتشار أمية دينية في الصين.

لكن حتى النخب السياسية الفرنسية تبنت مؤخرًا نفس الخطاب. فبعد مقتل أربعة من رجال الشرطة في مقرّ محافظة الشرطة بباريس في 3 مارس على يد ميكائيل هاربون، وهو فرنسي اعتنق الإسلام قبل عقد من الزمن، طالب الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بإرساء قواعد "مجتمع اليقظة"<sup>3</sup> في فرنسا، ودعا الشعب الفرنسي إلى أن يكون "متيقظًا في المدرسة وفي مكان العمل وفي أماكن العبادة والقرب من المنزل للكشف عن أدلة صغيرة"<sup>4</sup> و"علامات ضعيفة للتطرّف". ثمّ جاء بعد ذلك وزيره للدخالية ومفسّر كلامه، كريستوف كاستانير، لشرح "العلامات الضعيفة" التي حثّ الرئيس ماكرون الفرنسيين على تحديدها: "من بين هذه العلامات التي يجب الانتباه إليها: الممارسة الدينية الصارمة، التي تتفاقم في شهر رمضان. هذه علامة يجب أن تلفت الانتباه للشخص. [...] إطلاق اللحية [...] التقييل أو العزوف عن ذلك [...] هل

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

يقبل الشخص التعاون مع امرأة في فريق عمل واحد أم لا؟ هل لديه ممارسة منتظمة ومتباهية للصلاة؟ هل لديه زبينة على الجبين؟ [...] هذه هي المؤشرات التي ينبغي أن تؤدي بالفعل إلى تحقيق شامل.<sup>5</sup> عندما يصدر مثل هذا الخطاب من نخب سياسية في بلد كفرنسا، يجعله تاريخه وجغرافيته قريباً جداً من الفضاء الإسلامي، فإن ذلك يشير إلى الانتشار السريع للأيديولوجية الأمنية البحتة<sup>6</sup>، وإلى محاولة تحويل المجتمع الفرنسي إلى "شركة أمنية خاصة ضخمة وتجمع كبير من المخبرين".<sup>7</sup>

### 3. المقاييس الأربعة

توجد اختلافات جوهرية بين الكيانات ذات الخلفية الدينية في: (أ) الطريقة التي تتصرّف بها تجاه المعايير التي تقبلها الأغلبية، سواء كانت دينية أو دولية، قانونية أو أخلاقية؛ (ب) علاقتها بالسياسة؛ (ج) حجم التغيير الاجتماعي والسياسي الذي ترغب فيه؛ (د) موقفها من العنف. وبناءً على هذه المقاييس الأربعة يمكن تصنيف الفئات الآتية:

#### 1.3. المعايير

- تجنّب المعايير: الانسحاب من الفضاء الاجتماعي والتنازل عن مسؤولية المواطنة.
- الامتثال للمعايير: الالتزام بالمعايير المتفق عليها بشكل شائع والعمل في إطارها كموطن نشط.
- تجاوز المعايير: الابتعاد عن الموقف الوسطي والميل إلى التطرف.

#### 2.3. السياسة

- اللاسياسة: النأي عن السياسة وتكريس الحياة لاكتساب العلم الديني و/أو تزكية النفس.
- السياسة الجامعة: الانخراط في المشاركة السياسية، بالمعنى الواسع للكلمة، لبناء

## التمييز بين الكيانات ذات الخلفية الدينية

المجتمع والدولة، بطريقة جامعة، وتعزيز الديمقراطية وحقوق وكرامة الإنسان.

• السياسة الإقصائية: دعم الأنظمة التسلطية والدعوة لإقصاء الغير.

### 3.3. التغيير

• الإبقاء على الوضع الراهن: العمل على الحفاظ على الأوضاع كما هي للإبقاء على المناصب والامتيازات.

• التغيير الفعلي: الانخراط في تغيير اجتماعي وسياسي حقيقي، إما تدريجي من خلال معارضة النظام التسلطي من الداخل (الإصلاح)، أو جذري من خلال مقاومة النظام التسلطي من الخارج (الراديكالية).

• التغيير الشكلي: دعم تغيير لواجهة النظام دون المساس بطبيعته الأساسية، من طرف حكم تسلطي.

### 4.3. العنف

• اللاعنف: استخدام اللاعنف (الاستراتيجي) بشكل حصري لإحداث التغيير الاجتماعي والسياسي.

• العنف المشروع: استخدام العنف الذي يقره القانون الدولي والشرائع الدينية في ظروف معينة وبشروط محددة.

• العنف المتطرف: الانخراط في أعمال عنف غير مشروعة تنتهك القانون الإنساني الدولي والشرائع الدينية للحرب.

## 4. عشر حالات توضيحية

المقاييس الأربعة التي تم عرضها والتي بناءً عليها تم تصنيف الفئات الاثنتي عشرة المذكورة أعلاه (3 + 3 + 3 + 3)، تفتح مجالاً يتسع لواحد وثمانين مجموعة أو احتمال

## مدخل إلى ترشيدهم الخلاف

نظري (3 × 3 × 3 × 3)، امتداداً من المجموعة 1 (تجنب المعايير، اللامسياسة، الوضع الراهن، اللاعنفة) إلى المجموعة 81 (تجاوز المعايير، السياسة الإقصائية، التغيير الشكلي، العنف المتطرف). وفي ما يلي، عشرة أمثلة لأحزاب وحركات وطرق ومنظمات توضح استخدام المقاييس الأربعة للتمييز بين الهيئات ذات الخلفية الإسلامية. وهي تغطي التيارات الإسلامية السنية الرئيسية الثلاثة: تيار الإخوان المسلمين، التيار السلفي والتيار الصوفي.

### 1.4. الإخوان المسلمون

• الإغاثة الإسلامية – عبر العالم: تأسست هذه الجمعية الخيرية في عام 1984 من قبل الدكتور هاني البنا. وأصبحت بعد 35 عاماً، وكالة دولية رائدة في توفير المساعدات: المجموعة 31 (الامتثال للمعايير، اللامسياسة، التغيير الفعلي، اللاعنفة).

• حركة حماس – فلسطين: تأسست هذه الحركة السياسية في عام 1987 من قبل الشيخ أحمد ياسين، لمحاربة الاحتلال الإسرائيلي. لها جناح مسلح، كتائب القسام: المجموعة 41 (الامتثال للمعايير، السياسة الجامعة، التغيير الفعلي، العنف المشروع).

• حزب حماس (حماس سابقاً) – الجزائر: تأسس هذا الحزب السياسي عام 1990 على يد الشيخ محفوظ نوح. دعم الانقلاب العسكري عام 1992، وبرز القمع الذي تلاه، وشارك في "البرلمان" والحكومة التي عيّن بها العسكر: المجموعة 52 (الامتثال للمعايير، السياسة الإقصائية، التغيير الشكلي، اللاعنفة).

### 2.4. السلفية

• حزب البناء والتنمية – مصر: تأسس هذا الحزب السياسي في عام 2011 من قبل الجماعة الإسلامية المصرية. انخرط في المشاركة السياسية، اصطف إلى الديمقراطية التمثيلية والتعاون مع الأحزاب ذات الخلفية الدينية والعلمانية الأخرى: المجموعة 40 (الامتثال للمعايير، السياسة الجامعة، التغيير الفعلي، اللاعنفة).

## التمييز بين الكيانات ذات الخلفية الدينية

• حزب النور - مصر: تم تأسيس هذا الحزب السياسي في عام 2011 من طرف الدعوة السلفية المصرية. دعم في عام 2013 الانقلاب العسكري الذي قام به المشير عبد الفتاح السيسي: المجموعة 46 (الامتثال للمعايير، السياسة الإقصائية، الإبقاء على الوضع الراهن، اللاعنف).

• الحركة المدخلية - ليبيا: تواجدت هذه الحركة في ليبيا قبل عام 2011 ودعمت نظام القذافي، ثم اكتسبت مزيداً من القوة والنفوذ بعد سقوط الأخير وهي الآن حليف للجيش الوطني الليبي التابع للمشير خليفة حفتر: المجموعة 57 (تجاوز المعايير، اللاسياسة، الإبقاء على الوضع الراهن، العنف المتطرف).

• تنظيم الدولة الإسلامية - العراق والشام: تم إطلاق هذا التنظيم السياسي/العسكري في عام 2003 وشارك في الانتفاضة ضد الغزو الأجنبي للعراق، وأعلن الخلافة في عام 2014: المجموعة 78 (تجاوز المعايير، السياسة الإقصائية، التغيير الفعلي، العنف المتطرف).

### 3.4. الصوفية

• الطريقة المرينية - غرب أفريقيا: تأسست هذه الطريقة في عام 1883 من قبل الشيخ أحمد مبابي، الذي يُطلق عليه لقب "الغاندي الأفريقي"، والذي قاد مقاومة لاعنفية ضد القوات الاستعمارية الفرنسية: المجموعة 31 (الامتثال للمعايير، اللاسياسة، التغيير الفعلي، اللاعنف).

• الطريقة القادرية - الجزائر: أسس هذه الطريقة الشيخ عبد القادر الجيلاني (1077-1166). وقاد الأمير عبد القادر بن محي الدين، المنتمي لهذه الطريقة، مقاومة مسلحة دامت 17 عامًا (1830-1847) ضد الاحتلال الفرنسي وفقًا لأسمى أخلاقيات الحروب: المجموعة 41 (الامتثال للمعايير، السياسة الجامعة، التغيير الفعلي، العنف المشروع).



• مجلس حكماء المسلمين – الإمارات العربية المتحدة: تأسست هذه المنظمة في عام 2014 من قبل حكومة الإمارات العربية المتحدة، وهي واحدة من أذرع التصوف السياسي الذي يُستعمل في التنافس على القيادة الدينية للعالم الإسلامي السني: المجموعة 46 (الامتثال للمعايير، السياسة الإقصائية، الإبقاء على الوضع الراهن، اللاعنف).

في الفضاء رباعي الأبعاد (المعايير، السياسة، التغيير، العنف)، يمكن الملاحظة، مما سبق، أنّ نفس التيار الديني يشمل مجموعات مختلفة تمامًا. ومن ناحية أخرى، قد تكون الكيانات التي تنتمي إلى نفس المجموعة تابعة لتيارات دينية مختلفة. فعلى سبيل المثال، ينتمي حزب النور في مصر ومجلس حكماء المسلمين في الإمارات العربية المتحدة إلى التيارين السلفي والصوفي على التوالي في حين ينتميان إلى نفس المجموعة 46، وبالمثل، فإنّ حركة حاس في فلسطين والطريقة القادرية في الجزائر تنتسبان إلى تيارتي الإخوان المسلمين والصوفية على التوالي، لكنهما تنتميان إلى نفس المجموعة 41. وينطبق الشيء نفسه على منظمة الإغاثة الإسلامية عبر العالم التابعة لتيار الإخوان المسلمين، والطريقة المرديّة في غرب أفريقيا التابعة للتيار الصوفي، اللتين تنتميان إلى نفس المجموعة 31.

إنّ تصنيف كيان اجتماعي أو سياسي ينتمي إلى تيار ديني في مجموعة معينة في الفضاء ذي الأبعاد الأربعة ليس مهمّة سهلة ولا يمكن خلال هذا التصنيف تجنّب درجة من الذاتية وعدم الموضوعية، ولا بدّ أن يعتمد التصنيف على معرفة عميقة بالسياق التاريخي والثقافي والديني، ودراسة شاملة للكيان الجاري تصنيفه ضمن بيئته الاجتماعية والسياسية، والأهمّ من ذلك، ينبغي أن يتمّ التصنيف بمنأى عن أيّ تحيّز أيديولوجي.

## 5. خلاصة

تشكّل المقاييس الأربعة المعروضة في هذا الفصل والملخّصة في الجدول أدناه أداة تساعد على التمييز بين الحركات والأحزاب والمنظمات الأخرى – ويمكن تطبيقها أيضًا

## التمييز بين الكيانات ذات الخلفية الدينية

على الأفراد - التي تنتمي إلى تيار ديني معيّن وتجنّب جمعهم معًا في كتلة واحدة.

التصرف تجاه المعايير	العلاقة بالسياسة	حجم التغيير المرغوب فيه	الموقف من العنف
تجنّب المعايير	اللاسياسة	الإبقاء على الوضع الراهن	اللاعنف
الامتثال للمعايير	السياسة الجامعة	التغيير الفعلي	العنف المشروع
تجاوز المعايير	السياسة الإقصائية	التغيير الشكلي	العنف المتطرّف

وقد تمّ استخدام هذه الأداة هنا لتصنيف عدد من الأمثلة من الإسلام السني، لكن يمكن تطبيقها أيضًا على الكيانات التي تنتمي إلى الإسلام الشيعي أو اليهودية أو المسيحية أو البوذية أو الهندوسية أو العلمانية، إلخ. ونأمل أن تكون هذه الأداة مفيدة للنخب الأكاديمية والسياسية المسؤولة عن دراسة العلاقة بين الدين والسياسة والخلاف، والمكلفة بوضع استراتيجيات لمنع ومواجهة وتوفير بدائل للغلوّ والعنف المتطرّف.

مدخل إلى ترشييد الخلاف

---

---

## الفصل الرابع عشر عملية التطرف وسبل إزالته

---

---

### المحتويات

1. مقدمة .....	244
2. عملية التطرف .....	245
1.2. لماذا يكرهوننا؟ .....	245
2.2. الطريق السريع ثلاثي السبل إلى الكراهية والعنف .....	248
3.2. التطرف بالتعاطف .....	251
4.2. عملية التطرف ثلاثية الخطوات .....	252
3. مقاربات إزالة التطرف .....	257
1.3. فخ النزعة الأمنية-الجهادية .....	258
2.3. مقارنة بديلة .....	260
4. خلاصة .....	265

## 1. مقدمة

تمتة اهتمام كبير على الصعيد الدولي بظاهرة التطرف التي غالبًا ما تُنسب إلى الإسلام، رغم أنها عابرة للأديان والمعتقدات. وقد تبنت الأمم المتحدة استراتيجية عالمية لمكافحة الإرهاب وخطة عمل لمنع التطرف العنيف دون الحوض في تعريف هذين المصطلحين كما أشير إليه في فصل سابق. وأصدر الأمين العام للأمم المتحدة في 2015 تقريرًا خاصًا بمنع التطرف العنيف<sup>1</sup> تعرّض لأثر هذه الآفة على السلام والأمن والتنمية المستدامة وحقوق الإنسان وسيادة القانون والعمل الإنساني. كما تناول التقرير سياق التطرف العنيف ودوافعه من ظروف مؤدية إليه وسياق هيكلية حاضن له كقلة الفرص الاجتماعية والاقتصادية، والتمييز، وسوء الإدارة، وانتهاكات حقوق الإنسان وسيادة القانون، والخلافات العنيفة طويلة الأمد والتي لم تتم تسويتها، ونشر الفكر المتشدد في السجون. وذكر التقرير بعض أساليب انتشار الفكر المتشدد كالحلفيات والدوافع الشخصية، والمظالم الجماعية والشعور بالتعرض للإيذاء، وتحويل المعتقدات والأيدولوجيات السياسية والاختلافات العرقية والثقافية وإساءة استخدامها، وإلخ. وأوصى تقرير الأمين العام للأمم المتحدة بوضع إطار عالمي لمنع التطرف العنيف وخطط عمل وطنية وإقليمية لمنع التطرف العنيف. كما أوصى باتخاذ مجموعة من الإجراءات مثل الحوار ومنع نشوب الخلافات العنيفة، وتعزيز الحوكمة وحقوق الإنسان وسيادة القانون، وإشراك المجتمعات المحلية، وتمكين الشباب، والمساواة بين الجنسين وتمكين المرأة، والتعليم وتنمية المهارات وتيسير فرص العمل، وإلخ. ووضعت منظمة الأمم المتحدة دليلًا مرجعيًا لوضع خطط العمل الوطنية والإقليمية لمنع التطرف العنيف<sup>2</sup>. وقامت العديد من الدول فعلاً بتطوير خطط عمل وطنية لهذا الغرض، إلا أنه على أرض الواقع تتسم سياسات معظم الدول في مواجهة التطرف والعنف المتطرف بالاعتماد أساسًا على العقيدة الأمنية الصرفة والصلبة، مع تجاهل معظم التوصيات التي جاءت في تقرير الأمين العام للأمم المتحدة، وعدم القدرة على بسط سياسات شاملة تعالج ظاهرة التطرف من زواياها وأبعادها المختلفة السياسية

## عملية التطرف وسبل إزالته

والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والدينية.

يهدف هذا الفصل إلى شرح عملية التطرف وتفصيل خطواتها المختلفة وعرض السبل التي تؤدي إلى التطرف والعنف المتطرف. كما يرمي إلى مناقشة مقاربتين رئيسيتين لإزالة التطرف تعتمد الأولى على استراتيجية الكل-أمني وتلتزم الثانية بنهج ترشيد الخلاف.

## 2. عملية التطرف

### 1.2. لماذا يكرهوننا؟

الكرهية في صميم الموقف الميال للتطرف (extremitude). إنها الدافع المحفز لـ"الانفصال" عن المعيار المقبول وانتهاكه. وكثيراً ما يُربط العنف المتطرف بالكرهية، ومن المفهوم أن نسمع بعد أي هجوم إرهابي في أوروبا وأميركا السؤال: لماذا يكرهوننا؟

التفسير هو تبرير

اللاتفسير

مختلون عقلياً  
يسعون إلى الشهرة

التفسير  
النفساني

يكرهوننا على ما نحن عليه  
يهاجمون قيمنا

التفسير  
الثقافي

يرى البعض أنه من غير اللائق محاولة تقديم إجابة عن هذا السؤال، لأنهم يعتبرون التفسير تبريراً وتسويقاً وتغاضياً. ففي 26 نوفمبر 2015، أعلن رئيس الوزراء الفرنسي مانويل فالس، في معرض إجابته عن سؤال طرحه عضو في مجلس الشيوخ حول هجمات 13 نوفمبر 2015، أن "تفسير [هذه الهجمات] هو إلى حدٍ ما تبريرٌ وإيجاد عذر لها"<sup>3</sup>.

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

ويعتقد آخرون أنّ أعمال العنف المتطرّف والإرهاب يصعب فهمها إلى حدّ اللجوء إلى شيطنة مرتكبيها، ووحشتهم، ونزع الصفة الآدمية عنهم. وغالبًا ما تُقدّم إجابات تعتمد "علم النفس" المبسّط لتفسير أعمال العنف المتطرّف بعزوها إلى الاضطراب العقلي لمرتكبيها، الذين يَصوِّرون على أنهم "مختلّين" أو "مجانين" أو في "مسعى مرضي وراء الشهرة". وتوسّع هذه المقاربة أحيانًا إلى درجة وصف مرتكب أعمال العنف المتطرّف بأنه حيوان ووحش.

ثمة إجابة أخرى ثقافية كثيرة ما تقدّمها النخب السياسية والأمنية السائدة والمفكّرون ووسائل الإعلام، تفسّر التطرّف والعنف برفض الآخر بما هو عليه. كم مرّة قرأنا أو سمعنا في الإعلام أنّ "مشروع داعش يهدف إلى إبادة حضارتنا ومحوها"، وأنّ "الهجمات تُشنّ على قِيميّنا"، و"تستهدف أسلوب حياتنا"، فهم "يكروهونا بسبب ما نحن عليه"؟

في فرنسا على سبيل المثال، ظهر ذلك بطريقة صارخة في أعقاب هجمات باريس (13 نوفمبر 2015). فقد افتتح الرئيس فرانسوا هولاند خطابه أمام البرلمان في قصر فرساي بعد ثلاثة أيام من الهجمات (16 نوفمبر) بالقول إنّ "الأفعال التي ارتكبت [...] تشكّل عدوانًا على بلدنا، وعلى قيمه، وشبابه، وأسلوب حياته. إنها أعمال جيش جهادي، جماعة داعش التي تحاربنا لأنّ فرنسا بلد الحرية، لأننا وطن حقوق الإنسان"<sup>4</sup>. وشرح مارك تريفيديك، القاضي الفرنسي المختصّ بمحاربة الإرهاب، لقراء الصحيفة الإلكترونية ميديابارت (Mediapart) "أنّ الإرهابيين يكرون أسلوب حياتنا، وتنوعنا، وعلاقتنا بالعلمانية"<sup>5</sup>، في حين أضاف المؤرّخ الفرنسي جان بيير فيليو، المختصّ بشؤون الشرق الأوسط والأستاذ في معهد الدراسات السياسية في باريس، على موجات راديو "فرانس أنتار": "يجب وصفهم مرّة وللأبد كما هم فعلًا: برايرة، وغرباء لا يعرّفون أنفسهم في علاقتهم بنا اعتمادًا على ما تفعل بل على ما نكون"<sup>6</sup>. وشاركه في هذا التقييم رئيس الوزراء الفرنسي مانويل فالس، الذي ألقى خطابًا أمام الجمعية الوطنية - في 19 نوفمبر 2015، أثناء مناقشة تشريعات حالة الطوارئ -

## عملية التطرف وسبل إزالته

قال فيه: "لم يختر الإرهابيون أهدافهم عشوائيًا يوم الجمعة [13 نوفمبر 2015]. بل ضربوا جيلًا شابًا مغرمًا بالحياة، يطمح إلى الاعتناق عبر المعرفة، والاحساس بالاختلاف، والثقافة، والموسيقى، والاندفاع الحماسي نحو الآخرين. إياكم والخطأ: لقد ضرب الإرهاب فرنسا لا بسبب ما تفعله - في العراق أو سورية أو الساحل الأفريقي - بل لأنها فرنسا"<sup>7</sup>. وبعد هجمات بروكسل الإرهابية (22 مارس 2016)، أعلن الرئيس الإيطالي سيرجيو ماتيريلّا أنّ "هدف الإرهاب الأصولي هو ثقافة الحرية والديمقراطية"<sup>8</sup>.

يتعرّض هذا النوع من الإجابة للتحدي، ويرتفع بإطراد مزيد من الأصوات تسأل: "هل حقًا يكرهوننا لما نحن عليه؟"<sup>9</sup> فالطبيبة الأميركية والناشطة في مجال السلام والحفاظ على البيئة، داليا وصفي، مثلًا، لا تشاطر هذا الرأي. وبالنسبة لها، "هم لا يكرهوننا بسبب حرياتنا، بل يكرهوننا لأننا كلّ يوم نرتكب جرائم ضد الإنسانية وندعمها ونؤهلها"<sup>10</sup>. إنّ تفسير التطرف والعنف بنظريات اختزالية مثل صدام الحضارات، والمواجهة بين رؤيتين للعالم ومنظومتي قيم، واحدة مستنيرة والأخرى ظلامية، أو مجرب دينية يقودها متعصبون قروسطيون ضد الحداثة، يجري رفضه من قِبَل عدد من الكُتّاب الذين لا يعتبرونه خاطئًا فحسب، بل خطرًا أيضًا.

في الدوائر الأكاديمية الفرنسية، هنالك ثلاثة أطر تفسيرية متنافسة، تختلف تبعًا للتشديد الذي يضعه كلّ منها على العوامل النفسية والاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية. فبينما تلائم أطروحة جيل كيبيل عن "راديكالية الإسلام"<sup>11</sup> المقاربة الثقافية، يعرض أوليفيه روا وآلان بيرتو أطروحة مضادة عن "أسلمة الراديكالية"<sup>12</sup>، مع التركيز على "عدمية" جيلية. ويقترح فرانسوا بورغا<sup>13</sup> أطروحة ثالثة بديلة تؤكد على العوامل السياسية، ولاسيما العلاقات (ما بعد) الكولونيالية والعلاقات الراهنة غير الصحية بين الغرب والعالم الإسلامي.



## 2.2. الطريق السريع ثلاثي السبل إلى الكراهية والعنف

"الجهل يؤدي إلى الخوف، والخوف إلى الكراهية، والكراهية إلى العنف. هذه هي المعادلة"<sup>أ</sup>. وهذه المقولة التي تُنسب إلى الفيلسوف والطبيب والفقير القرطبي الموسوعي ابن رشد (1126-1198)، تفسر إلى حد ما سؤال "لماذا يكرهوننا؟" لكن، بالإضافة إلى السبيل الذي وصفه ابن رشد، هنالك سبيلان آخران يُفضيان إلى الكراهية والعنف، عبر الإقصاء والإحباط أو عبر العدوان والانتقام، كما يظهر في المخطط الآتي.



يعتبر الجهل والإقصاء تظهريين للعنف البنيوي، بينما يعدّ العدوان عنفًا مباشرًا. ولا تستبعد السبل الثلاثة أحدها الآخر، بل يمكن جمعها معًا. فالقمع الداخلي، مثلًا، يجمع بين العدوان والإقصاء. والتوترات بين العالم الإسلامي والغرب تتعلق بالجمع بين الجهل والعدوان. إنّ رابطة الجهل-الإقصاء-العدوان تشكل طريقًا سريعًا ثلاثي السبل إلى الكراهية والعنف. لا شيء جديد: العنف يولد العنف.

<sup>أ</sup> لعلّ هذا المستوى من الوعي من أسباب العيش المشترك والتفاعل الإيجابي بين مختلف الطوائف والملل في الأندلس.

## عملية التطرف وسبل إزالته

كُتِبَ كَثِيرٌ من الأدبيات عن وظيفة الإقصاء والعدوان كمحرّكات للتطرّف والعنف. ففي تقرير المجموعة رفيعة المستوى التي شكّلها الأمين العام للأمم المتحدة من مناطق العالم كافة، وضّمت عشرين قيادي بارز في ميادين السياسة والدراسات الأكاديمية والمجتمع المدني والتمويل الدولي والإعلام، يهدف توجيه عمل "تحالف الحضارات" في "تقييم القوى المساهمة في التطرف، والتوصية بعمل جماعي لمقاومة هذه القوى"، ذُكر أنّ "الفقر يُوَدِّي إلى اليأس والإحساس بالظلم والاعتراّب ما يمكن، حين يجمع ذلك مع المظالم السياسية، أن يشكّل حاضنة للتطرف"<sup>14</sup>. وتطرّق التقرير أيضًا إلى البعد السياسي لظاهرة التطرف: السرديات التاريخية والعلاقات الراهنة بين مجتمعات البلدان الغربية والإسلامية، بما فيها قضايا مثل الاستعمار، وتقسيم فلسطين عام 1947، والتدخلات العسكرية في أفغانستان (1979)، والعراق (2003)، وإدراك ازدواجية المعايير الغربية، إضافة إلى "التمييز المستمر، أو الإذلال، أو التهميش، اعتمادًا على محدّدات الهوية الإثنية أو الدينية أو غيرها".

ويعترف تقرير الأمين العام للأمم المتحدة حول "خطة العمل لمنع التطرف العنيف" كما أُشير إليه في مقدّمة هذا الفصل بأنّ التطرف العنيف "لا ينشأ من فراغ. فخطابات التظلم والظلم - سواءً كان فعليًا أو متصورًا - والوعد بالتمكين والتغيير الكاسح تجد آذانًا صاغية في الأماكن التي تُنتهك فيها حقوق الإنسان ولا يُكثرت فيها بالحكم الرشيد وتُسحق فيها التطلّعات"<sup>15</sup>. وعدّد التقرير الظروف المؤاتية للتطرف العنيف: غياب الفرص الاجتماعية-الاقتصادية، والتهميش، والتمييز، وسوء الحكم والإدارة، وانتهاك حقوق الإنسان وحكم القانون، والنزاعات الطويلة والمعقدة. وحسب الأمين العام للأمم المتحدة:

يجب أن نعيد تحديد أولوياتنا، وأن نعزّز تطبيقنا للعدالة، وأن نعيد إبرام الميثاق الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم. وينبغي أن نولي الاهتمام للأسباب التي تجعل الأفراد ينجذبون إلى الجماعات المتطرّفة العنيفة. وانتي مقتنع بأنّ إنشاء مجتمعات منفتحة ومنصفة وتعددية تحتضن الجميع وتقوم على الاحترام الكامل لحقوق الإنسان وتتيح

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

الفرص الاقتصادية للجميع، يمثل أفضل بديلٍ ملموسٍ ومجديٍّ للتطرف العنيف وأنجع استراتيجية تنزع عنه جاذبيته.<sup>16</sup>

وقد تعرّض الشيخ محفوظ ولد الوالد المعروف بـ"أبي حفص الموريتاني" في "فصل المقال فيما بين الأربعة من اتصال"<sup>17</sup> إلى العوامل التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية وتقف وراء الكثير من مشكلاتها وخاصة مشكلة لجوء البعض إلى الغلو في الدين واستعمال العنف ضد المسلمين وغير المسلمين على حدّ سواء، وسمّاها "مربع المعاناة".



- (1) الغزاة، وهم الذين احتلّوا الأوطان والمقدّسات، ونهبوا الخيرات والثروات، وأفسدوا الدين والمعتقدات؛
- (2) الجفاة، وهم الفئة المفتونة في دينها، الممسوخة في هويتها ممن استنبتهم الغزاة، وتمكّن من خلاصهم الطغاة؛
- (3) الطغاة، وهم الحكام الذين طغوا في البلاد، وأظهروا فيها الفساد، وصادروا حقوق العباد؛
- (4) الغلاة، وهم الذين أخطأوا في فهم الدين، فكفّروا المسلمين، وبدّعوا المخالفين، وحملوا السلاح على البرّ والفاجر، والمسلم والكافر.

تمّ التعرّض في الفصل التاسع المخصّص لـ"عملية الانتقال الديمقراطي" إلى العلاقة بين العنف الهيكلية وردّة الفعل السالبة أو العنيفة (ثنائية الحفرة/الحرق). ويعرض الجدول الآتي هذه العلاقة بشكل مختلف ويبيّن مظهرات الخطوات المتنوعة لعملية التطرف الناشئة عن الإقصاء.

## عملية التطرف وسبل إزالته

المرحلة	أمثلة على التظاهرات
(1) إقصاء ظلم، عنف (بنوي)	احتياجات أساسية لم تُلبَّ - حقوق إنسان منتهكة - لا حياة لائقة - تهميش اجتماعي (لا اعتبار اجتماعي) - ثروة سهلة سريعة وغير متكافئة ولا متناسبة ومتباهٍ بها تقتنصها القلة - بطالة - فقر واسع النطاق من صنع البشر - نبذ اجتماعي - تهميش سياسي - تزوير انتخابي - إكراه ووقع
(2) إحباط	يأس - اغتراب - إحساس بالمهانة - مظالم - تراكم الرغبة بالانتقام - إحساس بالاستلاب - قنوط - تأكل التضامن الاجتماعي - انسحاب من المجتمع - إحساس بالوحدة - فساد إجباري
(3) كراهية	غياب التعاطف - غياب تقدير الذات - غضب
(4) تطرف	طرف أدنى/استسلام (لا عنفي): انسحاب من الحياة الاجتماعية - إدمان على المخدرات - هجرة جماعية طرف أعلى/تعدي (عنفي): عنف موجه ضد الذات - أشكال متنوّعة من الانتحار، بما فيها حرق النفس - عنف يستهدف الآخرين بما فيه الإرهاب

### 3.2. التطرف بالتعاطف

لا يحتاج الفرد بالضرورة لأن يكون ضحية عدوان و/أو إقصاء. فقد يكون حساسًا يتأثر لمصاب الآخرين، وهذا جزءٌ من التعاطف الإنساني، والسعي وراء العدالة، والكرامة، والاعتراف بالذات وبالآخرين، وتقاسم المعاناة مع الغير.

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

ولا يأتي مجندو جماعات العنف حصراً من الطبقة الاجتماعية المحرومة. فأسامة بن لادن، مثلاً، لم يكن من طبقة اجتماعية سعودية دنيا، بل من عائلة ثرية؛ والعديد من المقاتلين الأجانب الذين انضموا إلى القاعدة أو داعش لا ينتمون إلى الفقراء المعدمين، بل قد يأتون من الطبقات العليا في المجتمعات الأوروبية ذاتها.

كما لا يتطرف الشباب المسلم في أفريقيا وآسيا وأوروبا من جزاء الخطب التي يستمعون إليها في المساجد بقدر ما يتطرفون بسبب سيل الصور ومشاهد العنف المتدفقة من سورية والعراق واليمن، التي تبثها قنوات التلفزة الفضائية ومواقع التواصل الاجتماعي - والتي تُغزب في غرف الأخبار الغربية - لتعرض طوال اليوم الأجساد الممزقة لأطفال قصفوا براميل متفجرة عشوائية أو استهدفتهم طائرات مسيرة. إن منع الألعاب العنيفة ممكن، لكن من الصعب حظر وسائل الإعلام التي تكشف واقع العالم العنيف والظلم المنتشر على نطاق واسع.

### 4.2. عملية التطرف ثلاثية الخطوات

التطرف سمة مكتسبة، فنحن لا نولد متطرفين، بل نُصبح متطرفين. والتطرف يتجاوز الجنس، والعمر، والإثنية، والدين، والمكانة الاجتماعية. ففي كل شخص درجة معينة من "القابلية للتطرف" (extremability)، وقد يُصبح متطرفاً إذ تحققت بعض الشروط الداخلية والخارجية.

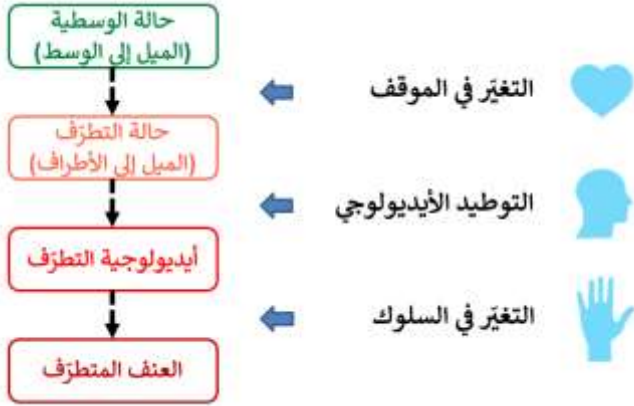
يمكن النظر إلى التطرف باعتباره عملية ثلاثية الخطوات. فهو يبدأ (الخطوة الأولى) بتغيير في الموقف، أي بانتقال تدريجي من حالة التوسط إلى حالة التطرف. يتبع ذلك (الخطوة الثانية) بناء إطار أيديولوجي أو ديني لدعم الموقف المتطرف وتعزيزه. فيتحول الموقف المتطرف إلى عقيدة تطرف. وتستخدم مرحلة التديم/التعزيز هذه لبلورة التغيير في الموقف، وتبريره وعقلنته. وقد يؤدي ذلك، وإن ليس لزوماً، إلى تغيير

---

<sup>أ</sup>كان مطلب بن لادن في البداية سياسياً، إذ عارض وجود قاعدة عسكرية أميركية في بلاده.

## عملية التطرف وسبل إزالته

سلوكي وربما ينتهي التطرف (الخطوة الثالثة) إلى استخدام العنف المتطرف.



تطلق التغيير في الموقف وتدفعه عوامل خارجية: (جيو)سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية، وتحقّزه عوامل داخلية (نفسية). يمكن الإشارة إلى الأولى باعتبارها "الأسباب الجذرية" والثانية بوصفها "الظروف المفاغمة"؛ وتشكل كلّها "عوامل دافعة"<sup>1</sup>. هنالك أيضًا "البيئة المساعدة" التي قد تجتذب الأفراد إلى التطرف العنيف، مثل دعاية الجماعات المسلحة، وانتشار الأيديولوجية المتطرفة في وسائل الإعلام التقليدية وشبكات التواصل الاجتماعي، والحوافز المالية، والاعتراف

<sup>1</sup> هنالك عوامل خارجية متعددة تكمن خلف ظهور التطرف والعنف في العالم الإسلامي: الهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية، ازدواجية المعايير والمعاملة غير المتكافئة، التدخّلات العسكرية، انتشار السلاح، أساليب مكافحة التمرد، إلخ. في الحقيقة، يتميز الوضع في العالم الإسلامي بانتشار غضب شعبي عارم على نطاق واسع، مع شعور يهانة شرف المسلمين ومقدّساتهم. هنالك أيضًا إحساس بأن البلدان الإسلامية عرضة لهجوم متواصل من القوى الغربية، بشكل مباشر، أو غير مباشر عبر دعم الأنظمة القمعية والفسادة التي منعت ظهور ديمقراطيات حقيقية في المنطقة. تسهم هذه "العوامل الخارجية الدافعة" في تغذية الجماعات المسلحة بمزيد من المبتدئين الذين لا يأتون بالضرورة من الشرائح المحرومة في المجتمع، بل ينتمون أحيانًا إلى الطبقات الاجتماعية العليا.

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

والتقدير، والإحساس بالانتماء والقيمة ضمن المجموعة، الخ. لكن هذه "العوامل الجاذبة" لا تكون مؤثرة ومجدية في غياب الأسباب الجذرية و/أو الظروف المفاومة.

إنّ أيّ مقارنة للتطرّف والعنف تركّز على واحد فقط من هذه العوامل تفقد بالضرورة فاعليتها، وكثيراً ما تفرز نتائج عكسية.

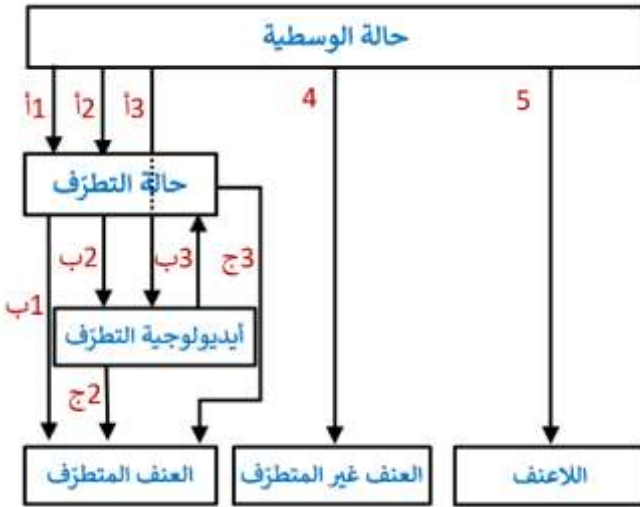
في الشؤون الدينية، يتعلق الموقف الوسطي بالالتزام بالأعراف والقوانين التي تقبلها الأغلبية، وفي الشؤون الدينية، يتصل بالامتثال للنصوص الدينية التأسيسية كما فسرتها مجموعة واسعة من العلماء الموثوقين، فتمثّل بالتالي فهم تيار سائد. وحين يصبح الفرد لا يؤمن بعدالة القوانين المقبولة و/أو فاعلية الأوامر الدينية السائدة، يبدأ برفضها، لتجذبته أقصى الأطراف ويتبنى تأويلاً انتقائياً ومغالياً للنصوص الدينية. كثيراً ما تبدأ العملية بالشك والريبة وينخرط الفرد في حركة متأرجحة (مثل رقص الساعة) بين الموقفين. وينتقل من الوضع المستقرّ (الموقف الوسطي) إلى الوضع غير المستقرّ (الموقف المتطرّف)، ويصبح المحفز الخارجي ضرورياً لتحرير القدر المطلوب من الطاقة العاطفية والشعورية.

يمكن للفرد مقاومة هذا الإغراء والانجذاب إلى التطرّف إذا امتلك ما يكفي من الموارد الداخلية: معايير أخلاقية عالية وتحصين روحي راسخ. وقد لاحظت سيسيل روسو وآخرون، من نتائج استطلاع أجره على الانترنت في كويك عام 2016 وشمل 1894 طالباً، أنّ "التدين يشكل عامل حماية ضد دعم الراديكالية العنيفة، إضافة إلى تخفيف أثر صعوبات الحياة"<sup>18</sup> وأيد هذه الملاحظة عدة باحثين<sup>19</sup> من العالم العربي يعتقدون أنّ الشباب أكثر مناعة ضد التطرّف حين يكونون أفضل تعليماً ومعرفة بالدين. وتقدّم تونس وموريتانيا كمثالين على ذلك. ففي تونس، حيث التعليم الديني ضعيف نسبياً من جرّاء سياسات العلمنة المتبناة منذ الاستقلال، يجذب الشباب بشكل كبير إلى الجماعات المتطرّفة مثل داعش؛ بينما يبقى الشباب في موريتانا، حيث التعليم الديني قوي، أقلّ انجذاباً للجماعات المتطرّفة.

## عملية التطرف وسبل إزالته

تُحدّد استجابة الفرد بعمل مرشّح ذاتي شكّلته خبرته في الحياة وعتبة تقبّله. وقد تختلف ردة فعل فردين تحت وطأة الجهل أو العدوان أو الإقصاء اختلافاً كبيراً.

يُظهر الجدول الآتي سبباً متنوعاً محتملة نحو اللاعنّف أو العنف غير المتطرّف ونحو التطرّف والعنف.



بعض الملاحظات على الاحتمالات الخمسة:

السبيل 1: بالنسبة للأفراد الأكثر ميلاً إلى العاطفة من العقل، لا يُعدّ التدعيم الإيديولوجي/الديني خطوة ضرورية إلى العنف المتطرّف. تشرح جورجيا هولمر،

<sup>أ</sup> حسب جورجيا هولمر من معهد السلام في الولايات المتحدة الأمريكية "ليس ثمة طريقة لتقرير ما إذا كان فرد يعيش ظروفاً معيّنة، بطبع وميول وعلاقات معيّنة، ومعرضاً لأفكار معيّنة، سينتهي به المطاف بالتورط في العنف. يمكن فقط قياس مدى ضعفه وانكشافه أمام هذا الاحتمال". انظر:

Georgia Holmer. Countering Violent Extremism: A Peacebuilding Perspective. United States Institute of Peace. Special Report 336. Washington DC September 2013. Available online at: <https://bit.ly/3rem0LN>



## مدخل إلى ترشيده الخلاف

بالإشارة إلى سلسلة واسعة من الأبحاث الأكاديمية، خصوصاً عمل راندي بوروم<sup>20</sup>، كيف يشكل "التوكيد على مفهوم أكثر دقة للراديكالية إقراراً بعدم وجود علاقة سببية مباشرة بين الأفكار الراديكالية والعنف المتطرف. بل يفترض بعض الباحثين أن المتطرفين الذين يتبنون العنف ليسوا كلهم راديكاليين في منظومتهم العقديّة، إذ إن بعضهم لا يجمعه سوى التزام سطحي بالأيديولوجية التي يُعتقد أنها تلهم أعمال العنف"<sup>21</sup>.

السبيل 2: بالنسبة للأفراد الأكثر ميلاً إلى العقل من العاطفة، يُعدّ التّدعيم الإيديولوجي جوهرياً لعقلنة الموقف المتطرف، وتبرير استخدام العنف، والتعبير عن العواطف والانفعالات وصياغتها، وإنتاج خطاب بلاغي<sup>أ</sup>. كما يقوم بوظيفة مثبتت قوي يؤكد لحمّة الجماعة.

السبيل 3: لا تشتغل الأيديولوجية المتطرفة بفاعلية على فرد لم يتعرّض لتغيير في الموقف. ومن دون الموقف المتطرف، تبقى عقيدة التطرف في حالة تجريدية وغير فعّالة. ولا يمارس النص الديني أو الأيديولوجي تأثيراً مهمّاً في سياق اجتماعي وسياسي غير موثّق<sup>ب</sup>.

---

<sup>أ</sup> كثيراً ما تلجأ جماعات العنف المتطرف في العالم العربي/الإسلامي إلى استخدام انتقائي وتفسير متطرف للنصوص الإسلامية التأسيسية. كما تلجأ إلى خطاب بلاغي ديني لأنها لا تمتلك اللغة السياسية، بسبب فقر الثقافة السياسية في العالم العربي/الإسلامي بعد عقود من الاحتلال والطغيان. وتفضّل صياغة مظالمها ومخطئها والتعبير عن مطالبها بلغة دينية غنية بمفردات تتعلّق بالعدل والإنصاف امتلاكها هذه الجماعات وتضلعت فيها.

<sup>ب</sup> في بحث أجراه عباس بارزبغار وآخرون، بعنوان "مقاربات مدنية لمواجهة التطرف العنيف"، ذكر المؤلفون أنّ "المعنيين الذين استطلعت آراؤهم اتفقوا بأغلبية ساحقة على عدم وجود رابط سببي يمكن التنبؤ به بين الأيديولوجيا والعنف. بل وجد الممارسون أنّ أسباب العنف معقدة ولاخطية، ومتجذرة في قوى نفسية واجتماعية وسياسية متنوّعة". أنظر:

## عملية التطرف وسبل إزالته

السبيلان 4 و5: الفرد منيع على إغراء تغيير الموقف ويقاوم الانجرار إلى الموقف المتطرف ثم عقيدة التطرف. وهو يردّ على الاعتداء أو الإقصاء - ضده أو ضدّ غيره - إمّا عبر الوسائل القانونية مثل العنف غير المتطرف (السبيل 4)، أو الوسائل غير العنيفة مع إيمان راسخ بأنها الطريقة الأكثر فاعلية وشرعية وقانونية لإحداث تغيير إيجابي (السبيل 5).

إنّ التحديّ الذي يواجه أيّ استراتيجية لإزالة التطرف هو تقليص احتمال السبيل 1 و2 و3، بالتزامن مع زيادة رجحان السبيلين 4 و5.

### 3. مقاربات إزالة التطرف

حقّق إطلاق الأمين العام للأمم المتحدة خطة العمل لمنع التطرف العنيف في ديسمبر 2015، تطوير كثير من "خطط العمل الوطنية" حول الموضوع نفسه في شتى أرجاء العالم. ويُفترض أنّ هذه الخطط الوطنية استمدت إلهامها من خطة العمل العالمية؛ لكن كثيراً من الأنظمة التسلّطية في العالم استغلّت في الواقع هذه الفرصة لإعادة تدوير تشريعات مكافحة الإرهاب المدبّرة للحرية ضمن هذه الخطط، الأمر الذي سبّب انتهاكات فاضحة لحقوق الإنسان. يرى هير في غونسولين، المستشار المستقل لشؤون السلام والأمن، أنّ "هناك نحو 40 برنامجاً مختلفاً لمكافحة الراديكالية في أنحاء العالم. [...] ويشتهب في أنّ بعضها وسيلة مموّهة تستغلّ إخضاع الجهاديين وإعادة توجيههم من أجل أهداف أكثر اتساقاً مع مصالح الحكومات الراسخة"<sup>22</sup>.

إنّ معظم المؤسسات الدينية ومراكز الأبحاث التي ترعاها الدولة وتشتغل على "إزالة الراديكالية" أو "مكافحة التطرف العنيف"، تعتبرها الجماعات المستهدفة خاضعة

---

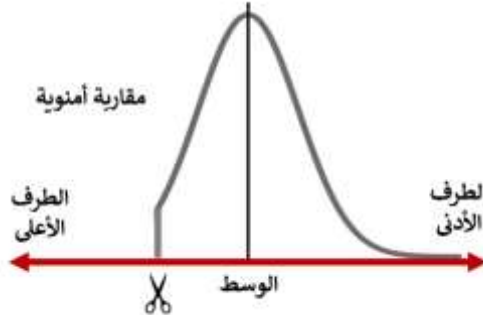
Confronting Violent Extremism: Sector Recommendations and Best Practices. Georgia State University. September 2016. Available online at: <http://tcv.gsu.edu/files/2016/09/Civic-Approaches-Sept-8-2016-Digital-Release.pdf>

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

لسيطرة الحكومات، أو مقربة منها على أقل تقدير، ولذلك ترفضها. لكن مشاركة منظمات المجتمع المدني تزداد بإطراد، لاسيما تلك العاملة في مجال إزالة التطرف بمقاربة ترشيده الخلافات (مجمع بناء السلام)، وقد صدر [بالإنجليزية] عدد من المنشورات في السنوات الأخيرة تقدم بدائل للمقاربة الأمنية الصلبة لإزالة التطرف، مثل: "عالم ذكوري: استكشاف دور المرأة في مواجهة الإرهاب والتطرف العنيف"<sup>23</sup>، "إجراءات للوقاية من الراديكالية: الوضع الراهن في سويسرا"<sup>24</sup>، إزالة الراديكالية أو تراجع التطرف العنيف"<sup>25</sup>، "المقاربات المدنية لمواجهة التطرف العنيف: التوصيات القطاعية وأفضل الممارسات"<sup>26</sup>، "تعزير المرونة الاجتماعية ضد التطرف"<sup>27</sup>، "عشرية ضائعة: إعادة التفكير في الراديكالية والتطرف"<sup>28</sup>، "مكافحة التطرف العنيف: من منظور بناء السلام"<sup>29</sup>.

### 1.3. فتح النزعة الأمنية-الجهادوية

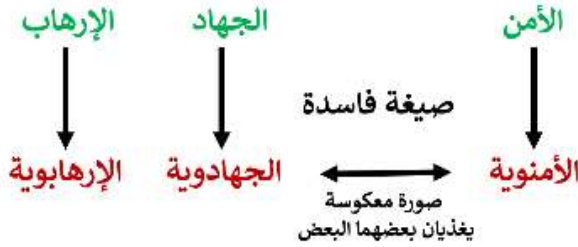
تتمثل إحدى طرق إزالة التطرف في بتر الطرف الأعلى من توزيع المنحنى الجرسية. هذا هو مبدأ الاستئصال بلا تمييز، أي المقاربة الأمنية الصافية والصلبة، أو النزعة الأمنية. وقد أظهرت هذه المقاربة في العقدين الأخيرين محدوديتها، فهي لا تفتقد الفاعلية فحسب، بل تفرز نتائج عكسية<sup>30</sup>. فتعايير مثل "تدمير الجماعة" ليست في الواقع سوى وهم خداع، إذ يمكن قتل فرد، وهزيمة تنظيم عسكرياً لفترة مؤقتة، لكن إذا لم تستأصل الأسباب الجذرية للتطرف، فسوف ينبعث التنظيم مجددًا، أو الأسوأ من ذلك، سوف يُبعث من رواده تنظيمٌ أشدَّ عنفًا.



## عملية التطرف وسبل إزالته

كما تنزع هذه المقاربة إلى تعزيز وتوسيع الطرف الأدنى من الاستسلام والاعتزال. وقد قُدِّم ذلك زوراً باعتبارها شكلاً من الرجوعية أو المرونة، ما يسهم في أغلب الأحيان في الحفاظ على الوضع الاجتماعي والسياسي القائم والجائر. وهذا بدوره يعيد بالضرورة القوة للطرف الأعلى من المنحنى.

إنّ علاقة النزعة الأمنية بالأمن مثل علاقة النزعة الجهادية بالجهاد (أو الإرهابية بالإرهاب)، أنّ الأولى شكلٌ فاسدٌ للثانية. بل ليست النزعة الأمنية في الواقع سوى صورة عاكسة للنزعة الجهادية أو الإرهابية، وتتغذى كلّ منهما على الأخرى.



يمكن اعتبار الأمن، مثل السلم، حاجة أساسية وحقّ جوهري من حقوق الإنسان. أما النزعة الأمنية فهي أيديولوجية مؤسّسة على الاعتقاد بأنّ المقاربة الأمنية الصلبة

أُتعرّف الرجوعية أو المرونة في العلوم الفيزيائية بأنها "خاصية في المادة تمكّنها من استعادة شكلها أو وضعها الأصلي بعد تعرّضها للثني أو المطّ أو الضغط" ( American Heritage Dictionary of English Language). وهي تتصل بـ"كمّ الطاقة الكامنة المخزّن في مادة مرنة حين يتغيّر شكلها" ( Collins English Dictionary). ولاستعادة الشكل الأصلي، يجب أن تُطلق المادة الطاقة المخزونة، وكلما ازدادت مرونة المادة، ازدادت معها سلاسة انتقال الطاقة. أما في حالة المواد الأقل مرونة، فيتسبّب نقل الطاقة في انهيار قد يكون عنيقاً. ويؤدي الإقصاء والإجباط دوراً يشبه القوانين الفيزيائية؛ إذ ينقلان إلى الفرد أو مجموعة الأفراد قدرًا من الطاقة العاطفية التي يجب إفراغها وتحريرها في مرحلة ما. وغياب حثّيز الحرية الكافي لإتاحة تحوّل سلس للطاقة يؤدّي إلى انفجار أو انهيار. إنّ المجتمع المرين ليس الذي يلجأ إلى الانسحاب والاعتزال ويقبل بالإقصاء والظلم، بل المجتمع المستوعب الذي يقوم فيه أعضاؤه بأدوار فاعلة، وشمّتعون بالحرية، وبالاحتياجات الضرورية، وحقوق الإنسان الأساسية.

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

هي الطريقة الوحيدة للتصدي للعنف المتطرف والإرهاب وإحلال السلام. وفي أغلب الأحيان تركز النزعة الأمنية على الحفاظ على وضع قائم جائر، وتؤكد على أمن الدولة، متجاهلة أمن الإنسان، وينتهي بها المطاف غالبًا إلى انتهاكات فظيعة لحقوق الإنسان، ويتطرف الدولة العنيف، وإرهاب الدولة.

تم تعريف الجهاد في الفصل الثاني المخصص لـ "ترشيده الخلاف وبناء السلام في الإسلام" بأنه جهدٌ مشروعٌ، مما كان نوعه، يصدر عن القلب أو اللسان أو اليد، في سبيل الله (النية والتصد)، لمناهضة (الهدف) كل أنواع الشر داخل النفس (الجهاد الأكبر)، وكل أشكال الظلم خارجها (الجهاد الأصغر)، وأن الجهاد الأصغر (القتال) صنفان: جهاد الدفع لصد العدوان، وجهاد الطلب لرفع الظلم والفتنة عن الغير. أما النزعة الجهادية فهي أيديولوجيا تقوم على الاعتقاد بأن الجهاد المسلح هو الطريقة الوحيدة للتصدي للعدوان الخارجي و/أو الاضطهاد الداخلي، وأنه غاية وليس وسيلة. وينتهي المطاف بالجهادية في أغلب الأحيان إلى انتهاكات فظيعة لحقوق الإنسان وإرهاب الفرد أو الجماعة.

تدعو النزعتان الجهادية والأمنية إلى العنف. فالجهادية شكلٌ من أشكال التطرف الذي ينتهك الشريعة الإسلامية، والأمنية شكلٌ من أشكال التطرف الذي ينتهك القانون الدولي. كلتاهما تتورطان في الاستخدام المفرط للعنف خارج إطار القانون. وكلتاهما ترتكبان جرائم ضد المدنيين الأبرياء: الجهادية حين تقتل أناسًا أبرياء في أعمال إرهابية، والأمنية حين تقتل المدنيين بالطائرات المسيّرة ومن خلال العقاب الجماعي و"التجريم بالارتباط والتبعية". وفي نهاية المطاف، تفشل النزعة الأمنية في هزيمة التطرف العنيف للمجموعات، تمامًا مثلما تخفق النزعة الجهادية في مغالبة تطرف الدولة العنيف.

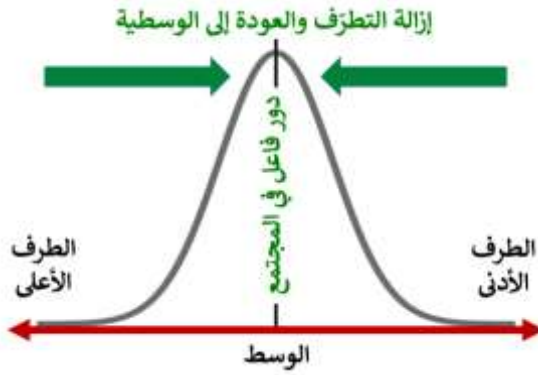
### 2.3. مقارنة بديلة

ثمة طريقة بناء أكثر نجاعة في التعامل مع التطرف عبر الاستعادة إلى الموقف

## عملية التطرف وسبل إزالته

الوسطي، أي إعادة الأفراد والجماعات المتطرفة (من الطرفين الأعلى والأدنى) إلى الوضع الوسطي واستعادة دور المواطنين اللاعنفي الفاعل في المجتمع.

تقرّ الاستراتيجية الناجحة لإزالة التطرف، باستخدام تعبير غالتوني، بأنّ خلف العنف (المتطرف) "جرحٌ غائرٌ لم يلتئم و/أو خلاّفٌ لم يحلّ". وتستهدف هذه المقاربة ترشيد الخلاف بين المتطرف (فرد/مجموعة) والمجتمع (محلي، وطني، دولي)، عبر ترميم العلاقة بين الطرفين المتخالفين، وليس باستئصال أحدهما.



إنّ أيّ استراتيجية ناجحة لإزالة التطرف يجب أن تكون داخلية المنشأ، حساسة للسياق المحلي. ويحدّر خبير أفريقي في الوقاية من التطرف العنيف من استيراد مقاربات أوروبية عند التعامل مع جماعات العنف في العالم العربي ومنطقة الساحل الأفريقي. ويعتقد أنه "بالنسبة للأوروبيين، هذه الجماعات ليست سوى كيانات أجنبية تمثل تهديدًا لأمنهم ومن ثمّ يجب القضاء عليها. أمّا بالنسبة لنا، فهم أبناءنا الذين ضلّوا السبيل، ويجب اعتبارهم جزءًا من النسيج الاجتماعي الذي ينبغي إعادة دمجهم. واجبتنا إعادتهم إلى سواء السبيل، وعلينا التفكير في كيفية تعامل الغربيين مع حركاتهم اليمينية العنيفة"<sup>31</sup>.

وبالتالي فالتعاطف هو الكلمة المفتاحية. فيجب النظر إلى المتطرفين الأفراد/الجماعات باعتبارهم بشرٌ يجب تقديم النصح لهم، لا كيانات مجردة يجب استئصالها. إنّ شيطنة

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

المتطرفين ونزع آدميتهم وصفة أمنية صلبة تستهدف بناء إجماع على ضرورة القضاء المبرم على "الشر"، بينما يقدم التعاطف الوصفة المناسبة للوصول إلى هؤلاء الفاعلين ومساعدتهم، والإصغاء إلى مظالمهم، والاعتراف بمعاناتهم والجانب الصحيح في خطابهم، إضافة إلى الجزء المشروع من أهدافهم، وفي النهاية إنقاذ أكبر عدد ممكن منهم، لأنهم ضحايا أيضًا.

إن الاستراتيجية الناجحة لإزالة التطرف يجب أن تتصدى للخطوات الثلاثة في عملية التطرف، وعدم التركيز حصراً على الخطوة الأخيرة المؤدية إلى العنف. فالوقاية من التطرف والعنف تعني التعامل مع القلوب والعقول والأيدي، والتعاطي مع الأسباب، والحجج، والأفعال.

### أ- تغيير الموقف

يجب التعامل مع دوافع الكراهية وأسباب العنف الجذرية كما أوجزتها ثلاثية الظلم "الجهل-العدوان-الإقصاء".

يتقلص الجهل بتشجيع اللقاءات التي تعزز التعارف، وتفكك القوالب النمطية الجاهزة، وتبني الثقة. ويقود ذلك إلى اعتراف واحترام متبادلين، ووضع تصور لتشارك أفضل، أي عدم الاكتفاء بالتعابيش/التساكن السلبي بل تطويره إلى تفاعل إيجابي مشترك. ولا يمكن تصور اللقاء مع صعود النزعة الهوياتوية – وهي شكل فاسد من أشكال الحاجة إلى الهوية – المنغلقة والقائمة على معارضة الهويات الأخرى.

ويتقلص العدوان بتشجيع علاقات دولية ووطنية أكثر عدالة اعتماداً على قوة القانون، لا على قانون القوة. وهذا جهد جمعي عالمي، لا يشمل النخب فحسب، بل المجتمعات المدنية برمّتها.

## عملية التطرف وسبل إزالته

ويتقلص الإقصاء بتشجيع المشاركة الشاملة<sup>أ</sup> في بناء المجتمع والدولة، عبر محاربة التهميش على كل المستويات، ومنح الناس مساحة للتعبير عن أهدافهم بأسلوب سلمي.

### (ب) الدعم الأيديولوجي

في السياق الإسلامي، يقتضي التعامل مع التدعيم الأيديولوجي/الديني للموقف المتطرف الاستثمار في التعليم (الرسمي وغير الرسمي) والإعلام (السائد والبديل). ومن الضروري الترويج لمفهوم الوسطية بديلاً للغلو بين الأطفال وضمن الجماعات الشبابية المتطرفة وحولها، فالجهل بالتعاليم الدينية الصحيحة، يجعل الكثير عرضة لجاذبية

---

<sup>أ</sup> في عام 2011، جلب "الربيع العربي" الأمل والحماسة إلى شرائح واسعة من المجتمعات العربية، لاسيما طرفي الطيف السلفي: التقليدي والجهادي. فانتقل بعض السلفيين بسرعة إلى الموقف الوسطي بوصفهم "نشطاء سياسيين"، كونهم شهدوا فضيلة التغيير اللاعنفي والمشاركة السياسية. وتأسس نحو عشرين حزبا سياسيا سلفيا منذ عام 2011 في موريتانيا، وتونس، وليبيا، ومصر، واليمن. بالمقابل، كلما واجهت العملية الديمقراطية في العالم العربي ضربة (تدخل عسكري على سبيل المثال)، تحولت إلى ما يشبه قوة نابذة تدفع بعض السلفيين بعيدا عن الموقف الوسطي التشاركي. فهي إما تجذبهم إلى الورا، إلى الموقف التقليدي، وتؤكد اعتقادهم بأن السياسة لا تؤدي إلا إلى الانقسام والفتنة، أو تدفعهم قدما إلى أعمال العنف، وتؤكد رأيهم بأن السياسة غير فاعلة في العالمين العربي والإسلامي. إن انقلاب الجزائر في يناير 1992، بعد فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الانتخابات التشريعية، وخنق غرة في أعقاب فوز حماس في الانتخابات العامة (2006)، وانقلاب 3 يوليو 2013 في مصر لإسقاط الرئيس المنتخب محمد مرسي وحل البرلمان المنتخب، وكلها تبعها انتشار خطاب "مكافحة الإرهاب"، وممارسة "الحرب على الإرهاب" التي شنت على ضحايا التدخل العسكري، أدت إلى ولادة جماعات سلفية مسلحة في الجزائر (في تسعينيات القرن الماضي)، وفي غرة (أواخر العقد الأول من القرن الحالي)، وفي مصر بعد عام 2013. وليس اجتذاب داعش للشباب العربي مقطوع الصلة عن الضربة التي وُجّهت مؤخرا إلى عملية الديمقراطية التي أطلقها "الربيع العربي". أظن:

Alistair Davison, Lakhdar Ghetas, Halim Grabus, Florence Laufer. *Promoting Constructive Political Participation of New Faith-Based Political Actors in the Arab Region*. Cordoba Foundation of Geneva, 2016. Available at: <https://bit.ly/3cQBE7C>



## مدخل إلى ترشيده الخلاف

الجماعات المتطرّفة ولتبريراتها الدينية للعنف المتطرّف. ويجب أن يتولّى مهمّة تقديم هذا النمط من الخطاب البتاء علماء نافذون، غالبًا ما يكونون راديكاليين، مشهود لهم بالعلم الرصين والاستقلالية، عبر قنوات ووسائط موثوقة. فأبى استثمار في شيوخ لا يتمتّعون بالمصداقية، وإن كانوا معروفين ومعتبرين في الدوائر الرسمية، ليس إلا هدرًا للموارد يؤدّي إلى نتائج غير فاعلة، بل حتى عكسية.

وقد طوّر معهد قرطبة للسلام بجنيف منهجية للعمل مع القادة الدينيين ذوي المصداقية وإشراكهم في الوقاية من الغلوّ والعنف المتطرّف<sup>32</sup>، وجربّت هذه المنهجية بنجاح في عدّة برامج ومشاريع في العالم العربي ومنطقة الساحل وجنوب الصحراء ونيجيريا وحوض بحيرة تشاد. وتشتمل المنهجية على سبع خطوات وهي: (1) البحث المكتبي والميداني الكثيف والمستفيض لفهم السياق والتاريخ وأسباب ظهور الجماعات المتطرّفة؛ (2) بناء الثقة مع الفاعلين ذوي المصداقية وإزالة أيّ شكوك طبيعية في دوافع وأهداف المسار وفي احتمال وجود أجندات خفية؛ (3) إعداد الخطابات (السرديات) البتاء البديلة بعد تحليل الخطابات والحجج الدينية التي تستخدمها الجماعات المتطرّفة من قبل علماء الدين ذوي المصداقية، في ضوء معرفتهم العميقة بمبادئ الشريعة والمآهم بمقاصدها؛ (4) التحقّق من صحّة الخطابات البديلة، عادة عن طريق عقد اجتماعات لمجموعة أكبر من النظراء من علماء الدين ذوي المصداقية؛ (5) استخلاص وتطوير الرسائل التي تستهدف جماهير مختلفة، من علماء متفكّحين إلى شرائح من المجتمع لديها معرفة متواضعة بتعاليم الإسلام؛ (6) نشر الرسائل المستخلصة لتصل إلى الجمهور الأكثر عرضة لإغراء الرسائل المتطرّفة عبر الوسائل التقليدية من خطب المساجد والندوات والمحاضرات المذاعة والمتلفزة، ووسائل التواصل الاجتماعي؛ (7) المراقبة وقياس النتائج باستعمال مؤشرات موضوعية تُصمّم في بداية العملية.

### ج) تغيير السلوك

تُعَدّ الإجراءات الأمنية الوقائية والردعية شرعية وضرورية للوقاية من العنف المتطرف ومكافحته. لكن يجب أن تكون قانونية، وعادلة، تحترم حقوق الإنسان وكرامته. فالوكالات الحكومية التي تفشل في الالتزام بهذه المبادئ، وتمارس العقوبات الجماعية العشوائية، والاعتقالات غير القانونية، ولا تكتفي بمعاينة الأفعال فحسب بل الآراء والأفكار والنوايا أيضاً، لا توفر الأمن لمجتمعاتها؛ بل تستخدم تطرف الدولة العنيف، وتفشل في نهاية المطاف في وضع حدّ لتطرف الأفراد والجماعات العنيف الذي يفترض أن تحاربه، وتسهم على عكس ذلك في بعثه واستدامته.

يتطلب تغيير السلوك العنيف المتطرف نشر المواد الأساسية للقانون الإنساني الدولي، والقانون الديني للحروب بين الجماعات المسلحة، من خلال قنوات ونواقل تحظى بالمصداقية؛ إضافة إلى تشجيع ثقافة اللاعنف بالوسائل المناسبة المتكيفة مع السياق المحلي. كما يجب تشجيع الشباب على استخدام اللاعنف الاستراتيجي لإحداث التغيير الاجتماعي/السياسي، وتعريفهم بفاعلية هذا الأسلوب في حالات التباين في القوة.

### 4. خلاصة

شهد العالم الإسلامي زيادة ثابتة في كثافة ومدى التطرف والعنف. وجسدت "القاعدة" هذه الظاهرة طوال ثلاثة عقود. لكن العقد الأخير شهد صعود "بوكو حرام" في نيجيريا، و"حركة الشباب" في القرن الأفريقي، وظهور "داعش" في العراق وسورية وغيرها، مع مستوى أعلى من الفظاعات التي ارتكبتها هذه الجماعات المسلحة. من الواضح أنّ العنف عاملٌ مزعزع للاستقرار في البلدان التي ينتشر فيها وفي المنطقة ككل. لذلك يتوجب على جميع الدول وجميع شرائح المجتمع الاضطلاع بمهمة محاربة الغلو والعنف المتطرف، والأهم الوقاية منها. ويجب أن تكون أيّ استراتيجية وطنية في هذا المجال محلية المنشأ ملائمة للسياق الاجتماعي والثقافي المحلي.

## مدخل إلى ترشيد الخلاف

من الأهمية بمكان استخدام المصطلحات الصحيحة في محاربة العنف والتطرف. ومن الجوهري، للصرامة الفكرية والفعل المؤثر في آن، التمييز بين التطرف والراديكالية والعنف، وفهم كيف ترتبط هذه المصطلحات ببعضها البعض. من المهم أيضًا إدراك السبل المتنوعة المؤدية إلى الكراهية والعنف، واستيعاب عملية التطرف بجميع تعقيداتها. هذا شرط مسبق لتصميم أي برنامج لإزالة التطرف يسعى لإحداث تأثير حقيقي. لقد أظهرت المقاربات الأمنية الصلبة محدوديتها في العقدين الأخيرين، وحث الوقت للاستثمار في ترشيد الخلافات، وتبني مقاربات شاملة تتعامل مع جميع خطوات عملية التطرف، وجميع عوامل الجذب والدفع المؤدية إلى العنف، بما في ذلك الأسباب الجذرية، والظروف المفاقمة، والبيئة المساعدة.

---

---

## الفصل الخامس عشر

### التوترات الإسلامية-الغربية

---

---

#### المحتويات

1. مقدمة ..... 268
2. السلوكيات الغربية التي تُدرك بشكلٍ سلبي في العالم الإسلامي ..... 268
3. جذور التوترات الإسلامية-الغربية ..... 271
- 1.3. "صدام الحضارات" ..... 271
- 2.3. خلافات لم تُحلّ وجروح لم تندمل ..... 272
- 3.3. التواجد الإسلامي المتزايد في الغرب ..... 274
4. أزمات إسلامية-غربية حديثة وتفاعل المسلمين معها ..... 275
5. تفسير ردود الفعل في العالم الإسلامي ..... 280
- 1.5. المعايير المزدوجة والمعاملة غير المتكافئة ..... 280
- 2.5. عدم الاحترام الغربي ..... 283
- 3.5. العدوان الغربي ..... 283
- 4.5. الدعم الغربي للأنظمة التسلطية في العالم الإسلامي ..... 284
6. خلاصة ..... 284

## 1. مقدمة

يطرح التفاعل بين العالم الإسلامي والغرب، وعلى وجه الخصوص التواجد الإسلامي المتنامي في أوروبا - وفي الغرب عمومًا -، تحديات متنوّعة تنعكس في كثير من الأحيان على شكل توترات داخل المجتمعات الأوروبية وفي الدول الإسلامية، تغذيها الاعتبارات السياسية والاقتصادية، وقد يساهم فيها الانطباع السائد بمواجهة بين منظومتين قيم متباينتين. ويدخل هذا النوع من الخلاف في إطار الخلافات الضخمة بين المناطق والأقاليم الكبرى والحضارات كما أُشير إليه في الفصل الثالث عن "ثلاثية الخلاف والعنف والسلام".

يناقش هذا الفصل أشكال التعامل الحادّ مع الإسلام في الغرب وكيفية التعامل معها، ويقدم أمثلة عن التوترات الإسلامية-الغربية القديمة والحديثة، ويعرض ردود فعل المسلمين عن الاستفزازات التي تلحق بهم في الغرب ويحاول تقديم تفسيرات لها.

## 2. السلوكيات الغربية التي تُدرك بشكلٍ سلبي في العالم الإسلامي

يمكن تصنيف المواقف والسلوكيات الغربية تجاه الإسلام التي يُنظر إليها بشكل سلبي في العالم الإسلامي إلى سبع فئات.

(1) انتقاد الإسلام (Criticism of Islam)، أي التشكيك في القيم الإسلامية وتقييمها من وجهة نظر غربية، بدافع من تصوّر الغرب للتضارب (الحقيقي أو المتخيل) بين القيم الغربية والقيم الإسلامية. إنه نقد فكري وعقلاني في إطار مجال المنهجية.

(2) معاداة "الإسلاموية" أو "الإسلام السياسي" (Anti-Islamism)، أي معارضة تدخل الإسلام (والدين بشكل عام) في المجال السياسي، ويدخل ذلك في إطار مجال علم السياسة.

(3) معاداة الإسلام ("Anti-Islam"-ism)، أي رفض الإسلام على أساس ديني عقائدي. ويدخل ذلك في إطار مجال اللاهوت.

4) رهاب الإسلام أو الإسلاموفوبيا (Islamophobia)، أو الخوف والحكم المسبق اللاعقلاني تجاه الإسلام والمسلمين. ويُعتبر الجهل بالآخر، وقلة التواصل، و"الجراح الجماعية" الجديدة والقديمة التي لم تلتئم بسبب تجاهلها وعدم معالجتها، الأسباب الرئيسية لهذا الخوف. ويدخل ذلك في إطار مجال علم النفس.

إنّ أفضل نهج للتعامل مع هذه الفئات الأربعة هو الحوار سواءً كان فكريًا أو سياسيًا أو دينيًا، والتبادل لتبديد المخاوف.

لكن ثمة فئات أخرى قد يكون فيها الحوار والتبادل غير فعالين مثل:

5) العنصرية تجاه المسلمين (Islamoracism)، حيث يُنظر إلى المسلمين في الغرب من بعض الشرائح على أنهم "عرق" غريب غارٍ، وهو ما يبرّر تمييزهم وحتى اضطهادهم. ويدخل ذلك في إطار مجال الأيديولوجيا. وفي هذه الحالة إذا لم يكن الحوار مجديًا، يتم اللجوء إلى استخدام الوسائل القانونية.

6) استفزاز المسلمين (Provocation of Muslims)، وهو موقف مآكر وسلوك عدواني تجاه المسلمين، يدخل في إطار مجال علم الأمراض. لذلك، فإنّ العلاج الفعال الوحيد هو التجاهل واللامبالاة، ويمكن أيضًا استخدام الوسائل القانونية.

7) التلاعب بالمسلمين (Manipulation of Muslims)، أيّ التحريض الخبيث والانتهازي لما يسمى بالعنف الإسلامي لخدمة أهداف شخصية أو جماعية، سياسية أو اقتصادية، ويدخل ذلك في إطار الاستراتيجية. في هذه الحالة، أفضل نهج هو التجاهل أو ردّ الفعل اللاعنفي، لأنّ العنف يعزّز فقط المحرّضين في استراتيجيتهم. مرّة أخرى، يمكن أيضًا استخدام الوسائل القانونية في هذه الحالة.

يلخص الجدول الآتي الفئات السبعة من المواقف والسلوكيات الغربية تجاه الإسلام التي يُنظر إليها بشكل سلبي في العالم الإسلامي.

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

### أشكال التعامل الحاد مع الإسلام في الغرب

الظاهرة	التوصيف	المجال	أحسن علاج
1 انتقاد الإسلام (Islam-criticism)	تحدي القيم الإسلامية من وجهة نظر غربية	المنهجية (Methodology)	المناظرة
2 معاداة "الإسلاموية" أو "الإسلام السياسي" (Anti-Islamism)	معارضة تدخّل الإسلام في الحياة العامة	علم السياسة (Politology)	الحوار
3 معاداة الإسلام (-Anti-Islamism)	معارضة الإسلام على أسس عقائدية دينية	علم اللاهوت (Theology)	الحوار
4 رهاب الإسلام (Islamophobia)	خوف غير عقلائي وأحكام مسبقة نحو الإسلام والمسلمين	علم النفس (Psychology)	الحوار، التعرف
5 العنصرية تجاه المسلمين (Islamoracism)	النظر للمسلمين باعتبارهم "عرقاً" غازياً والتمييز ضدهم	الأيدولوجيا (Ideology)	الحوار، الوسائل القانونية
6 استفزاز المسلمين (Muslim provocation)	موقف مآكر وسلوك عدواني	علم الأمراض (Pathology)	اللامبالاة، الوسائل القانونية
7 التلاعب بالمسلمين (Muslim manipulation)	حث انتهازي لردود فعل عنيفة للمسلمين خدمة لأهداف سياسية أو اقتصادية فردية أو جماعية	الاستراتيجية (Strategy)	اللاعنف، الوسائل القانونية

### 3. جذور التوترات الإسلامية-الغربية

#### 1.3. "صدام الحضارات"

دخلت أطروحة "صدام الحضارات" حقل التجاذب الفكري على الصعيد الدولي منذ أن روج لها صامويل هانتينجتون في مقالة<sup>1</sup> نُشرت في دورية "شؤون خارجية" في 1993 أثارت ضجة كبيرة، أتبعها في سنة 1996 بعرض أكثر تفصيلاً في كتابه "صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي"<sup>2</sup>. ثم عادت هذه الأطروحة إلى الساحة الفكرية والسياسية والإعلامية عقب أحداث 11 سبتمبر 2001.

ويمكن تلخيص هذه الأطروحة المثيرة للجدل في القول بأنه بانتهاء الحرب الباردة فإنّ أهم ما يميّز الشعوب ليس الأيديولوجية أو السياسة أو الاقتصاد، ولكن الثقافة، وفي التنبؤ بأنّ الخلافات على الصعيد الدولي ستكون بين أمم وجماعات تنتمي إلى حضارات متغايرة، وأنّ هذه الخلافات ستكون أشدّ وتيرة وأطول أمداً وأكثر عنفاً من الخلافات بين جماعات تنتمي إلى نفس الحضارة. وقد قسّم هانتينجتون الإنسانية إلى تسع حضارات رئيسية وهي: الغربية، والأرثوذكسية، والأمريكية-اللاتينية، والأفريقية، والإسلامية، والهندوسية والكونفوشيوسية، والبوذية، واليابانية.

واستنتج هانتينجتون أنّ الحدود بين الحضارات ستمثل خطوط التماس في معارك المستقبل، وأنّه على المدى القريب سيكون التركيز على النزاع بين الغرب وعدة دول تنتمي إلى الحضارتين الإسلامية والكونفوشيوسية، وخاصة الحضارة الإسلامية التي تفصلها عن الحضارات الأخرى "حدود دموية". كما رتب هانتينجتون بناءً على أطروحته حزمة من التوصيات لحفظ مصالح الغرب منها: (أ) ترقية تعاون أكبر وتعزيز الوحدة داخل الحضارة الغربية، خاصة بين شقيها الأوروبي والأمريكي؛ (ب) الحد من توسّع القوة العسكرية للدول الإسلامية والكونفوشيوسية؛ (ج) استغلال الفروق والخلافات داخل الدول الإسلامية والكونفوشيوسية؛ (د) دعم الجماعات التي تتعاطف مع قيم الغرب ومصالحه داخل الحضارات الأخرى؛ (هـ) تعزيز الهيئات الدولية التي



تعكس وتضفي شرعية على مصالح الغرب وقيمه.

وان كانت هذه الأطروحة قد لقيت دعماً من بعض المفكرين الغربيين فقد عارضها الكثير من الباحثين من منطلقات نظرية مختلفة، فالبعض انتقد نظرة هانتينجتون للحضارة وتصوّره لعلاقة هذه الأخيرة بالثقافة<sup>3</sup>، والبعض الآخر شكك في تصنيفه للحضارات واعتبارها كيانات جامدة لا حركية بداخلها ولا تتفاعل بينها. ومنهم من ركز على الخلفية السياسية لهذه الأطروحة معتبرين إياها أداة لإعادة صياغة السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، كما أشار إلى ذلك المفكر إدوارد سعيد الذي ردّ على أطروحة "صدام الحضارات" بأطروحة مضادة في مقالة تحت عنوان "صدام الجهالات" ختمها بالقول أنّ "نظرية صدام الحضارات حالها كحال فيلم الخيال العلمي 'حرب العوالم'، أكثر فعالية في تقوية الغطرسة الدفاعية من أن تفضي إلى فهم نقدي للارتباط المذهل لعصرنا"<sup>4</sup>.

غير أنّ المعارضة الأشدّ وقعاً لأطروحة "صدام الحضارات" جاءت على المستوى التجريبي حيث انتقدها العديد من الباحثين كونها تعتمد على "أدلة من قبيل النوادر" ولا تستند على أساس تجريبي صلب، فالباحث المغربي محمد براو مثلاً يرى أنّ "النماذج الواردة في الأطروحة إمّا أنها منتقاة بشكل تعسفي (جزئية) أو أنها غير دقيقة"<sup>5</sup>. بل بالعكس فإنّ جلّ الدراسات التجريبية في مجال علم الخلاف التي نُشرت حديثاً والتي تعرّضت للخلافات الدولية في العقود الأخيرة، كشفت عن نتائج تفنّد الأطروحة وأظهرت أنّ وتيرة الخلافات بين الجماعات التي تنتمي إلى حضارات متغايرة لم يرتفع نسبياً عقب انتهاء الحرب الباردة.

### 2.3. خلافات لم تحلّ وجروح لم تندمل

في الواقع لا يوجد خلاف واحد بين العالم الإسلامي والعالم الغربي ككتلتين موحدتين يمكن ردّه أساساً إلى العامل الثقافي، ولكن توجد خلافات متفرقة بين أطراف تنتمي إلى العالم الإسلامي وأطراف أخرى تنتمي إلى العالم الغربي يمكن تفسيرها في إطار

التاريخ والجغرافية باللجوء إلى العوامل الأيديولوجية والسياسية والاقتصادية. ثم إن نظرة المسلمين إلى العالم الغربي تختلف من إقليم إلى آخر ومن شريحة إلى أخرى في نفس المجتمع حسب مستوى التماس ودرجة الاحتكاك مع الحضارة الغربية. كما أنّ نظرة الغربيين إلى العالم الإسلامي ليست واحدة على اختلاف الدول والشراخ المجتمعية والاتجاهات الأيديولوجية وقدر الاطلاع على الحضارة الإسلامية. فإذا أخذنا مثلاً نظرة الجزائريين إلى فرنسا وبريطانيا ونظرة المصريين إلى هذين البلدين الأوروبيين نجدهما متعاكستين. كما أننا نجد نظرة عموم المسلمين إلى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا تختلف تماماً عن نظرتهم إلى سويسرا أو السويد. وبالمقابل نجد مثلاً نظرة اليونانيين أو الألمان إلى الأتراك تختلف عن نظرة البريطانيين أو الكنديين إليهم.

إنّ الأحداث القريبة المتعلقة بـ"11 سبتمبر" في الولايات المتحدة و"11 مارس" في إسبانيا و"7 يوليو" في بريطانيا وقصف أفغانستان وتدمير العراق ومجازر فلسطين و"جوانتانامو" و"بغرام" و"أبو غريب" وصور الكاريكاتير المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم والأفلام المسيئة للإسلام قد أنتجت "جروحاً جماعية" عميقة في المجتمعات الغربية والإسلامية.

كما أنّ "جروحاً جماعية" أخرى قديمة، نجمت عن خلافات تاريخية، أهملت فلم تندمل وهي لا تزال تمثل عقبة في استقرار السلم بين هذه الشعوب ومنها على سبيل المثال ما يخصّ الحروب الصليبية في الشرق الأوسط ومحكم التفتيش في الأندلس والحروب العثمانية في أوروبا ونكبة فلسطين والمجازر الاستدمارية في الجزائر. وفي ما يخصّ المثال الأخير فإنّ "الجروح الجماعية" المتعلقة بالاستدمار الفرنسي في الجزائر لم يتمّ إهمالها فحسب، بل عمل البرلمان الفرنسي في 10 فبراير 2005 - أي بعد أكثر من أربعة عقود من استقلال الجزائر - على "رثّ الملح" عليها بإصدار قانون ينصّ على تمجيد "الدور الإيجابي" للحضور الفرنسي في الجزائر والتنويه به في البرامج المدرسية.

### 3.3. التواجد الإسلامي المتزايد في الغرب

التواجد الإسلامي المتزايد عددًا في الغرب، خاصة في أوروبا، من العوامل التي تغذي التوترات الإسلامية-الغربية. ويعود ذلك إلى التنوع المتزايد - بأشكاله المختلفة - في المجتمعات الحديثة في الغرب وكذلك في العالم الإسلامي، بسبب العملة والهجرة الدولية.

غالبًا ما يُنظر إلى الأوروبيين ذوي الديانة الإسلامية على أنهم "كيان أجنبي" مرتبط بالهجرة واللجوء، ويُعتبرون "مسلمين" يقيمون في أوروبا، فهم بذلك أصلًا مسلمون، ثم بعد ذلك أوروبيون. ولا غرابة إذن أن يطالب بعض المتطرفين - مثل إريك زمور (Eric Zemmour) في فرنسا - بطردهم من أوروبا، لأنهم، في نظر هؤلاء المتطرفين، يشكلون خطرًا داهمًا على البلدان الأوروبية، وشكلًا من أشكال "الطابور الخامس".

إنّ هذه النظرة تجانب الواقع الاجتماعي الجديد في الأوروبي المتمثل في التواجد الإسلامي في المشهد متعدّد الديانات للقارة الأوروبية، وينبغي تصحيح هذه النظرة لأنها تساهم في الخلط بين إشكاليتين منفصلتين وهما: من جهة، التواجد الإسلامي في أوروبا بإسهاماته وبالخواف التي قد يثيرها، ومن جهة أخرى، ظاهرة الهجرة بما تطرحه من تحديات داخل المجتمعات الأوروبية. ويجدر بالتالي في الخطاب العمومي الحديث عن "الأوروبيين ذوي الديانة الإسلامية" عوض "المسلمين الأوروبيين"، أو "مسلمي أوروبا"، أو "المسلمين المقيمين في أوروبا"، وحتى عبارة "الجالية الإسلامية في أوروبا" ينبغي تجنبها لسببين، فهي تلمح إلى الانطواء على الذات وتوحي بأنّ مصير هذه المجموعة من المواطنين هو حتمًا الجلاء.

خلافًا لما كان عليه الحال منذ عقود خلت، لم يعد التواجد الإسلامي في أوروبا مرتبطًا حصريًا بظاهري الهجرة واللجوء، بل أصبح مظهرًا جليًا في المشهد الأوروبي الحديث. ولا شك أنّ هذا الأمر يطرح عددًا من الإشكاليات للأوروبيين ذوي الديانة الإسلامية وأيضًا لمواطنيهم غير المسلمين. ومن أهم الإشكاليات المطروحة تلك المتعلقة

بالهوية التي أصبحت مركبة وأضحى التعامل معها أكثر تعقيدًا من ذي قبل. فمن جهة يتعيّن على الأوروبيين من ذوي الديانة الإسلامية والمنحدرين من أصول غير أوروبية أن يجدوا صيغة مثلى للربط بين مفاهيم المواطنة والجنسية والديانة، وهي مكونات أساسية للهوية. ففما كانت "حقيقة السفر" دومًا عالقة في ذهن الأجيال السابقة من المهاجرين إلى أوروبا من الجنوب وذلك لحنينهم الثابت لأوطانهم الأصلية، ترى الأجيال الجديدة من الأوروبيين من ذوي الديانة الإسلامية أنّ أوطانها الأوروبية هي المستقرّ الدائم والمقرّ الذي تمارس فيه المواطنة، وهي في نفس الوقت متمسكة بانتمائها الإسلامي. ومن جهة ثانية يتعيّن على الأوروبيين من غير المسلمين أن يعوا العلاقة التي تربطهم بنوع جديد من المواطنين يدينون بدين كان تقليديًا مرتبطًا في الوعي الجماعي الأوروبي بالشرق، بما يحمله هذا المصطلح من خيال. ومن الضروري إطلاق تبادل بين جميع الأطراف لتحديد ماهية ومعلم هوية أوروبية تتلاءم مع واقع القرن الحادي والعشرين.

#### 4. أزمات إسلامية-غربية حديثة وتفاعل المسلمين معها

اندلعت العديد من الأزمات الإسلامية-الغربية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 تسببت فيها رسومات كاريكاتورية وأفلام فيديو مسيئة للإسلام والمسلمين جاءت كردّة فعل على تفجيرات نيويورك.

لعلّ من الأحداث الأولى التي أثارت أزمات إسلامية-غربية فلم "الخضوع" القصير (12 دقيقة) الذي أخرجه المخرج الهولندي ثيو فان غوخ (Theo van Gogh) بناءً على سيناريو مشوّه للدين الإسلامي كتبته البرلمانية الهولندية من أصل صومالي آيان حرصي علي، وتمّ عرضه في 29 اغسطس 2004 على شبكة تلفزيونية في هولندا. أثار الفلم موجة من السخط لدى المسلمين في أوروبا وفي العالم الإسلامي، وتمّ اغتيال المخرج ثيو فان غوخ في 2 نوفمبر 2004 من طرف محمد بويري، هولندي من أصل مغربي.

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

ثم تلت الرسوم الكاريكاتورية تحت عنوان "وجه محمد" التي نشرتها يومية بيلاندس بوستن (Jyllands-Posten) الدانماركية في 30 سبتمبر 2005، والتي جرت إثرها مظاهرات لما يقارب خمسة آلاف مسلم في الدانمارك. وقامت العديد من الجرائد بإعادة نشر الصور، مما أدى إلى انتشار الغضب الشعبي في العالم الإسلامي. ثم رفض الوزير الأول الدانماركي فوغ راسموسن استقبال السفراء العرب مما أدى إلى تأزم الوضع. ووقعت إثر ذلك مظاهرات تخللتها أعمال عنف في عدد من العواصم الإسلامية، كما أُطلقت حملة مقاطعة البضائع الدانماركية في العالم العربي.

ثم جاء إنتاج فيديو فلم "فتنة" من طرف السياسي الهولندي غيرت فيلدرز (Geert Wilders) الذي نشره على الإنترنت في 27 مارس 2008، وتم تجاهله إلى حد بعيد.

ثم تلاه إنتاج فيديو آخر بعنوان "براءة المسلمين" في الولايات المتحدة الأمريكية وبثه على الإنترنت في 1 يوليو في 2012، مما تسبب في موجة من العنف، بما في ذلك الهجوم على القنصلية الأمريكية في بنغازي ومقتل دبلوماسيين.

ثمّة أيضًا نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم من طرف الأسبوعية الفرنسية الساخرة شارلي إيبدو في 19 سبتمبر 2012، ثم في 1 سبتمبر 2020، مما تسبب في اغتيال المدرّس سامويل باتي (Samuel Paty) في فرنسا عقب عرض الرسوم على تلامذته، من طرف شاب من أصل شيشاني يُدعى عبد الله أنزوروف.

عند تحليل ردود أفعال المسلمين لما شعروا به على أنه هجوم على الإسلام، يجب توخي الحذر والتمييز بين مختلف الفاعلين: الحكومات، والحركات السياسية والدينية، والمجتمع المدني ككلّ. فقد يُظهر كلّ واحد منهم نفس الموقف لكنهم يختلفون في الاهتمامات والدوافع.

ومن المشروع طرح السؤال: لماذا أصدر وزراء الداخلية العرب، في نهاية اجتماعهم

بتاريخ 31 يناير 2006 في تونس، بيانًا يطالبون فيه بـ"عقوبات صارمة" من طرف الحكومة الدنماركية ضد مؤلفي الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للرسول عليه الصلاة والسلام؟ حيث يصدر هذا الموقف من القيادات الأولى لرجال الشرطة العرب الذين اعتادوا في مناسبات عديدة على العدوان على قداسة الحياة (من خلال الانتهاكات الجسدية والمنهجية لحقوق الإنسان)، مدركين أن النفس البشرية أكثر قدسية في الإسلام من أي رمز ديني.

من الواضح أن مواقف وسلوك بعض الفاعلين الحكوميين في بعض الدول الإسلامية مدفوعة ببعض المصالح السياسية. فيمكن أن يكون ذلك للاستهلاك الداخلي (تبديد الضغط الشعبي، استغلال الدين واستخدامه كوسيلة للتبرير السياسي، وما إلى ذلك) أو قد يكون له بعد دولي (وسيلة للهروب من العزلة، ومواجهة الانتقادات الغربية حول حالة حقوق الإنسان، إلخ.).

وبخصوص المجتمعات المسلمة فهي تتفاعل بطريقتين عندما يتعلق الأمر بمواجهة ما تعتبره أفعالاً "استفزازية خبيثة" من الغرب: تنصح الأولى بوجوب تجاهل هذا النوع من السلوك ببساطة، لأن أي نوع من رد الفعل لن يمنحه سوى دعاية مجانية، بينما تعتبر الثانية أنه يجب على العالم الإسلامي إظهار رد فعل موحد قوي من أجل إرسال إشارة للغرب بأن مثل هذه "الإساءات" غير مقبولة ويجب أن تنتهي. ويوصي الاتجاه الأخير باستخدام أدوات متناسبة شرعية/قانونية مثل المقاطعات الاقتصادية، والمظاهرات السلمية، والعرائض، وما إلى ذلك. لكن من الواضح أن هناك دائماً أقلية من الناس تنضم إلى هذا النوع من الاحتجاج مع ميل إلى اللجوء إلى الوسائل العنيفة.

خلال الأزمة التي أثارتها الرسوم الكاريكاتورية الدنماركية، تمكنت المجموعة الأخيرة من تعبئة الشارع الإسلامي. وقد ساعدها عملاء الدولة الذين يتقاسمون نفس المواقف مع الجماهير، لكن ليس بالضرورة نفس المصالح والاحتياجات. كان هذا الاستخدام السياسي واضحاً في العديد من البلدان الإسلامية مثل سوريا ولبنان وليبيا، حيث

لا يُسمح بالتجمع دون موافقة السلطات. لكن الاحتجاجات انتهت بالموت والدمار (إحراق السفارات).

وعندما تمّ عرض الفيلم الهولندي "فتنة" على الإنترنت من قبل السياسي الهولندي اليميني المتطرف خيرت فيلدرز في 27 مارس 2008، تم اختيار النهج الأول (تجاهل الاستفزاز). فمن الواضح أنّ الرأي العام المسلم تعلّم بعض الدروس من أزمة الرسوم الكاريكاتورية الدنماركية فيما يتعلق بتأثير أفعالهم على المستوى الدولي، وحقبة أنّ حكوماتهم "استخدمت" مظاهراتهم سياسياً. في الواقع، على الرغم من الكمّ الهائل من الدعاية التي سبقت عرض فيلم "فتنة"، لم يحظ الفيلم باهتمام حقيقي في هولندا وفي العالم الإسلامي، وكان ردّ الفعل الوحيد الملحوظ عليه هو إنتاج أفلام فيديو، مثل "الشقاق"<sup>7</sup> و "ما وراء الفتنة"<sup>8</sup> التي حاولت إقحام فلم "الفتنة" المصادقية من خلال عكسه، باستخدام نفس البناء والتقنية والخطاب المائل مع رسالة مقلوّبة، واستبدال القرآن بالكتاب المقدّس، والتاريخ الإسلامي بالتاريخ المسيحي. واستخدم صانعو هذه الأفلام، بوعي أو بغير وعي، في مواجهة فلم "فتنة"، بعض المبادئ الأساسية لاستراتيجية مكافحة التمرد (COIN). علاوة على ذلك، استخدم فلم "الشقاق" الفكاهة لزيادة التأثير، فأتمى المنتج/المعلق على هذا الفيلم تحذيراً للمُشاهد المسيحي مفاده: "من فضلك لا تشعر بالإهانة من هذا الفيلم. إنه هراء. أعترف بذلك. تماماً مثل الفيلم الآخر... حيث فعل السيد فيلدرز الشيء نفسه. فيلم "فتنة" خاطئ، كما هو خاطئ فيلم "الشقاق". لقد صنعته في 12 ساعة. وقام السيد فيلدرز بذلك في 3 أشهر. لا يوجد سوى إله واحد... وهو الله. دعونا نجعل هذا العالم مكاناً أفضل".<sup>9</sup>

كان من المتوقع أن تكون الحلقة المؤسفة من رسوم "وجه محمد" المسيئة وردود الفعل العنيفة في بعض مدن العالم الإسلامي قد بيّنت لجميع الأطراف كيف يمكن للاستفزاز

<sup>1</sup> Counter Insurgency

## التوترات الإسلامية-الغربية

وردّ الفعل العنيف عليه أنّ يهدّد السلام العالمي. وعزّز ردّ الفعل السلمي على فيلم "فتنة" هذا التوقّع. لكن بثّ فيلم "براءة المسلمين" على الانترنت في 1 يوليو 2012 ونشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلّم في 19 سبتمبر 2012 من طرف الأسبوعية الفرنسية الساخرة شارلي إيبدو، والغضب الجماهيري والتظاهرات العنيفة التي أثارها في بعض البلدان الإسلامية ثم إعادة نشر الرسوم من طرف نفس الجريدة في 1 سبتمبر 2020، تشير للأسف إلى أنّ الدرس لم يتمّ تعلّمه من الأحداث السابقة.

فيلم "براءة المسلمين" ورسوم شارلي إيبدو الكاريكاتورية عبارة عن استفزازات، على الرغم من تسويق المؤلفين لها كمساهمات للدفاع عن الحرية الفنية وحرية التعبير. وقد لاحظ بعض المحللين السياسيين أنّ الرسوم الكاريكاتورية تتبع منطقاً انتهازياً وتجارياً بحثاً لتعزيز المبيعات المتراجعة للأسبوعية الفرنسية، في حين قيل أنّ الدافع وراء الفيلم هو أهداف سياسية تتعلق بحملة الانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتوترات بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية بشأن إيران، وإرادة بعض الأطراف، من أفراد وجماعات، لتقويض ديناميكيات التحرّر التي جرت في العالم العربي بعد عام 2011.

لقيت أعمال العنف التي أعقبت عرض فيلم "براءة المسلمين"، خاصّة الهجوم على القنصلية الأمريكية في بنغازي ومقتل دبلوماسيين، إدانة واسعة حول العالم، خاصة في العالم العربي والإسلامي. كما تمّ التنديد بالعنف الموجه من قبل صانعي الأفلام تجاه المسلمين. وفي البيان المشترك للممثل السامي للاتحاد الأوروبي للشؤون الخارجية والسياسة الأمنية، والأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي، والأمين العام لجامعة الدول العربية، ومفوض السلام والأمن في الاتحاد الأفريقي، الذي نُشر في 20 سبتمبر 2012، أعلنت المنظمات الإقليمية الأربعة أنها تشارك "معاونة المسلمين من جزاء إنتاج فيلم مهين للإسلام". كما أعلنت مفوضة الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، نافي بيلاي، في 14 سبتمبر 2012، أنّ "الفيلم خبيث واستفزازي متعمّد يعطي صورة



## مدخل إلى ترشيده الخلاف

مشوهة بشكل مخزٍ للمسلمين"، وأضافت: "أفهم تمامًا سبب رغبة الناس في الاحتجاج بشدة ضدّ الفلم، ومن حقهم أن يفعلوا ذلك بسلمية". لكن في فرنسا، بالنسبة لمانويل فالس، وزير الداخلية، كان من الضروري تعليق هذا الحق من خلال منع المسلمين من الاحتجاج السلمي في المدن الفرنسية، حفاظًا على النظام العام. وأدى هذا الحظر إلى تفاقم التوترات الطائفية في فرنسا، حيث لا يفهم السكان المسلمون في فرنسا سبب عدم تعليق الوزير فالس أيضًا الحق في نشر الرسوم من أجل الحفاظ على النظام العام نفسه.

إنّ الجدل لا يزال قائمًا حول إيجاد التوازن بين الدفاع عن حرية التعبير واحترام الرموز الدينية، وبين الحق في انتقاد كلّ شيء والحق في عدم التعرّض للإهانة، وبين الحدّ الذي يجب وضعه من أجل التمييز بين التعبير عن الفن والتعبير عن الكراهية. وقد حاول مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة في مارس 2011، بعد شهر من النقاش، تمرير القرار 18/16 الذي يدعو بشكل توافقي إلى عمل منسق على المستويين الوطني والدولي حتى لا تتمّ إساءة استخدام بعض الحقوق والحريات لتقييد حقوق وحريات أخرى. في هذا النقاش، الذي غالبًا ما يكون عاطفيًا، ينسى الكثيرون أنّ القيم العليا التي تسود القيم الأخرى هي السلم والحياة المقدسة للنفس البريئة. إنها القيم العليا التي يجب أن تضع حدودًا للحقوق والحريات المختلفة.

### 5. تفسير ردود الفعل في العالم الإسلامي

في ما يتعلق بالمجتمعات الإسلامية، هناك عوامل أساسية موضوعية وذاتية وراء ردّة فعلهم على الأحداث الإعلامية مثل الرسوم الكاريكاتورية "الاستفزازية" ومقاطع الفيديو، بما يفسّر الاستياء والغضب وأحيانًا الكراهية تجاه الغرب.

#### 1.5 المعايير المزدوجة والمعاملة غير المتكافئة

في جميع المجتمعات، ولا سيما الديمقراطيات، ليست حرية التعبير مطلقة لكنها مقيدة بقيود أخلاقية وقانونية وسياسية واجتماعية. وينطبق هذا بشكل خاص على حرية

التعبير الفني (الرسوم الكاريكاتورية، الأفلام، الروايات، الرسم، المسرح، وما إلى ذلك). لكن هناك شعور في العالم الإسلامي بأن هذه الأنواع من القيود تُلغى فقط عندما يتم استهداف الإسلام والمسلمين. بالنسبة للأكاديمي يونس بوناب: "حرية التعبير كانت دائماً مقيدة، وغالبًا ما يتم وضع حدودها من خلال قوانين الفحش والتحرير على الكراهية العنصرية والتخريب والخيانة وتعرض الأمن القومي للخطر والتشهير وما إلى ذلك". وبالتالي فإنّ نشر الرسوم الكاريكاتورية الدنماركية "لا يمكن الدفاع عنه بشكل متأسف باستخدام حجة حرية التعبير".<sup>10</sup>

### الف) التمييز بين المسلمين والمسيحيين

إنّ موقف Jyllands-Posten نفسه بالغ التوضيح لهذا التمييز. ففي أبريل 2003، قدّم رسام كاريكاتير دنماركي لهذه الصحيفة سلسلة من الرسوم الكاريكاتورية التي تعرض نظرة هازئة عن قيامة المسيح. فتمّ رفضها، وقال محرّر نسخة يوم الأحد: "لا أعتقد أنّ قراءة Jyllands-Posten سيستمتعون بالرسومات. في واقع الأمر، أعتقد أنها ستثير صرخة احتجاجية. ولذلك لن أستخدمها"<sup>11</sup>. إن موقف محرّر صحيفة Jyllands-Posten ممارسة شائعة في الصحافة كما وصفها سايمون جينكينز من صحيفة صنداي تايمز. وقد علّق البروفيسور يوهان غالتونغ على هذا التصريح على النحو الآتي: "وهكذا، فإنّ فكرة أنّ الإساءة للمشاعر الإنسانية من خلال التقليل على فضائهم الخاص تضع حدودًا لحرية التعبير لم تكن معروفة، مما يعرّض الدنماركيين لانتهاكات بعدم المساواة في المعاملة، ضد القاعدة الذهبية، وضد الكانطية"<sup>12</sup>.

<sup>10</sup> "الصحيفة ليست دنيًا، عقلها أعمى عن العالم وأصمّ عن ردود الفعل. فكّل شبر من المطبوعات المنشورة يعكس آراء كتابها وحكم محرريها. تقرّر الصحف اليومية التوازن بين الجرأة والإهانة والنوق والتقدير والتهور. وتقرّر من الذي يُسمح له بإدلاء صوته ومن لا يُسمح له. ويتمّ كبحها بقوانين التشهير والأخلاق العامة وإحساسها الخاص بما هو مقبول للقراء. الكلام مجاني فقط على قمة الجبل، وما سوى ذلك ليس إلا عملية تحرير. [...] يحوم فوق كل صفحة رقيب، حتى لو تمّ منحه لقب المحرر". سايمون جينكينز، هذه الرسوم الكرتونية لا تدافع عن حرية التعبير، إنها تهدّدها. (صنداي تايمز *The Sunday Times*، 5 فبراير 2006).

## باء) التمييز بين المسلمين واليهود

هناك تصور قويّ في الدول الإسلامية بأنّ الغرب يثير قضية "حرية التعبير" فقط عندما يتعرّض الإسلام أو المسلمون للهجوم والإهانة. ولكن عندما يكون اليهود هدفًا لأيّ نوع من النقد، يتمّ وضع "حرية التعبير" جانبًا ويتمّ تطبيق الإجراءات القمعية (العقوبات القانونية والمهنية والاجتماعية)، على وجه التحديد باسم "المقدس". وكثيرًا ما يتمّ ذكر القوانين التي أدخلت في النظم القانونية للعديد من الدول الأوروبية لمعاقبة ما أصبح يُعتبر جريمة "التعديل التاريخي" (revisionism). وبالنسبة لعمر موسى، الأمين العام السابق لجامعة الدول العربية، فإنّ الصحافة الأوروبية تستخدم "وزين ومقياسين" فهي "تخشى اتهامها بمعاداة السامية لكنها تستدعي حرية التعبير عندما ترسم الإسلام بشكل كاركتوري". وبالمثل، يقول الباحث يونس بوناب: "حرية التعبير ليست مطلقة في أوروبا، ويتمّ التفاوض باستمرار على حدودها لضمان الانسجام الاجتماعي وحماية بعض الأقليات، وخاصة الأقلية اليهودية، وهذا صحيح. إذا كانت حرية التعبير بالتالي ليست مطلقة في الواقع، فإنّ السؤال هو لماذا لا تشمل حدودها الحماية من التحريض على الكراهية ضد الإسلام؟"<sup>13</sup>

## جيم) الاستخدام الانتقائي لضرورة مصلحة الدولة

يمكن توضيح ذلك بشكل أفضل في حالة الكاتب سلمان رشدي. ففي منتصف تسعينيات القرن الماضي، شُنت حملة عالمية لإدانة الفتوى التي أصدرها الإمام الخميني ضد الكاتب سلمان رشدي لصورته التشهيرية للنبي محمد وزوجته في روايته "الآيات الشيطانية". وفي نفس اللحظة التي حصل فيها سلمان رشدي على مرتبة الشرف في باريس على أعلى مستوى سياسي وتمّ تقديمه كشهيد حرية التعبير، حظرت وزارة الداخلية الفرنسية كتابًا<sup>14</sup> يضمّ مجموعة من الشهادات حول انتشار ممارسة التعذيب في الجزائر بعد الانقلاب العسكري عام 1992. ورأت السلطات الفرنسية، وهي الحليف الرئيسي للنظام العسكري الجزائري، أنه "بسبب الكراهية الواردة في الكتاب،

من المرجح أن يؤثر تداوله على النظام العام".<sup>15</sup>

### 2.5. عدم الاحترام الغربي

أثارت المجموعة المكونة من اثني عشر رسماً كاريكاتورياً التي نشرتها بييلاندس بوستن الدانماركية بعنوان "وجه محمد" ردّ فعل هائل لأنها لخصت في عدد قليل من الرسومات، مثل الرسم الذي يظهر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يرتدي عمامة على شكل قبلة، جميع الصور النمطية التي يرى المسلمون أنها تنتشر في الغرب تجاه الدين الإسلامي: الإرهاب، كراهية النساء، الظلامية، التعصب، إلخ. علاوة على ذلك، لاحظ المسلمون أنّ الخطاب الرسمي والإعلامي الغربي لا يعترف بإمكانية تأذي المسلمين. وكما قال البروفيسور يوهان غالتونغ: "إنّ العبارة الغربية المعتادة "نحن نأسف بشدة لأنكم اعتبرتم هذا هجومًا" قريبة من الإهانة، تضع العبء على الآخر"<sup>16</sup>. ويتطرق الكاتب يونس يوناب إلى هذا الموقف من منظور إسلامي: "إنّ الأصولية الليبرالية لا تكتفي باتهاك حرمة المسلمين والترويج للكراهية ضد دينهم، بل تملئ عليهم أيضًا، باستعلاء، كيف يجب أن يتفاعلوا بـ"نضح" مع الإساءة التي تعرّضوا لها. إن محام التنقيش الليبرالية تمارس ما تعتبره حقها الديمقراطي في الإساءة إلى المسلمين، لكنها في الوقت نفسه تحرمهم من الحق في الشعور بالإهانة!"<sup>17</sup>

### 3.5. العدوان الغربي

كما ذكر العديد من المؤلفين، من مسلمين وغربيين، هناك شعور عميق بالظلم داخل المجتمعات الإسلامية وشعور بأنّ الأمة الإسلامية محاصرة ومستهدفة من جميع الجهات عسكرياً (أفغانستان، العراق، الصومال، الشيشان)، واقتصادياً (النفط والموارد الطبيعية الأخرى)، وثقافياً (التدخل الغربي في البرامج التعليمية للعديد من الدول الإسلامية)، ورمزيًا (تشويه صورة الإسلام). ويلور الصراع الإسرائيلي الفلسطيني إحباط المسلمين من رؤية معظم الدول الغربية تتبنى موقفًا متحيزًا وتقدم الدعم الكامل وغير المشروط لإسرائيل. علاوة على ذلك، يُنظر إلى الأقليات المسلمة في الغرب

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

على أنها مجتمعات مستهدفة، خاصة بعد 11 سبتمبر.

### 4.5. الدعم الغربي للأنظمة التسلطية في العالم الإسلامي

تشير المواقف السائدة للمواطنين المسلمين في وسائل الإعلام (القنوات الفضائية والإنترنت) وتقارير العديد من المحللين السياسيين والاجتماعيين إلى أنّ الحكومات الغربية يُنظر إليها في العالم الإسلامي، وخاصة في الدول العربية، على أنها الداعم الرئيسي للأنظمة التسلطية وللحكّام الفاسدين الذين يقومون بتدمير بلدانهم ويمنعون قيام ديمقراطيات حقيقية في المنطقة. ومن ثمّ فهي تُعتبر متواطئة في الانتهاكات الواسعة لحقوق الإنسان، وكذلك في الإفقار المادي والفكري للعالم العربي. ويظهر تناقض واضح بين مبادئ الدول الغربية المعلنة كدولة القانون والحكم الراشد وحقوق الإنسان، وبين ممارسات سياستها الخارجية في العالم العربي. ومن الأمثلة الشائعة التي يتمّ تقديمها في كثير من الأحيان: الدعم غير المشروط لعدد من الأنظمة العربية التسلطية وعدم قبول نتائج الانتخابات في الجزائر (1992) وغزة (2006)، وعدم رفض الانقلاب على الشرعية في مصر (2013). إنّ العزلة المستمرة لحماس والصور التلفزيونية اليومية للعقاب الجماعي المصاحب لسكان غزة تجعل هذا الكلام المزدوج أكثر مرارة.

### 6. خلاصة

تمرّ العلاقات الإسلامية-العربية بفترات تأزم كثيرًا ما يتمّ تفسيرها بصدام الحضارات وتضارب القيم، رغم أنه من الأجدر البحث عن أسبابها في خلافات بينية حالية لم تُحلّ وجروح لم تندمل تسببت فيها خلافات قديمة، وأيضًا في التواجد الإسلامي المتزايد في الغرب. وفي العالم الإسلامي عادة ما تُرجع أسباب التوترات إلى رهاب الإسلام أو الإسلاموفوبيا في الغرب، وذلك توصيف غير دقيق للسلوكيات الغربية التي تُدرك بشكلٍ سلبي في العالم الإسلامي، فهي قد تُفسّر بمواقف وممارسات غربية متنوّعة مثل (1) انتقاد الإسلام كمنظومة قيم، و (2) معاداة "الإسلاموية" أو

## التوترات الإسلامية-الغربية

"الإسلام السياسي"، و (3) معاداة الإسلام كدين، و (4) رهاب الإسلام أو الإسلاموفوبيا، و (5) العنصرية تجاه المسلمين المتواجدين في ديار الغرب، و (6) استفزاز المسلمين، و (7) التلاعب بالمسلمين لأغراض سياسية. ولكلّ صنف من هذه الأصناف الطرق الملائمة للتعامل معه والتي تشمل المناظرة، والحوار، والوسائل القانونية، واللامبالاة.

وفي الواقع أظهرت الأزمات التي عرفتها العلاقات الإسلامية-الغربية خلال العقدين الأخيرين أنّ تفاعل المسلمين مع الاستفزازات المتكررة كان تارة عبر المظاهرات السلمية، وتارة باللامبالاة وتارة أخرى باللجوء إلى العنف. ويمكن تفسير ردود الفعل في العالم الإسلامي بعدة عوامل منها ما يشعر به المسلمون من (1) معايير مزدوجة ومعاملة غير متكافئة من طرف الدول الغربية، و (2) عدم احترام غربي للإسلام والمسلمين، و (3) عدوان غربي على الدول الإسلامية، و (4) دعم غربي للأنظمة التسلطية في العالم الإسلامي.

مدخل إلى ترشييد الخلاف

---

---

## الفصل السادس عشر علاقة الدين بالخلاف وبناء السلم

---

---

### المحتويات

1. مقدمة	288
2. أشكال ارتباط الدين بالخلاف	288
3. التحكّم في السلطة الدينية	290
4. تفاعل الدين مع المواقف والاتجاهات والسلوكيات	291
1.4. مثلث "ت-إ-س"	291
2.4. منظومة القيم وعملية التغيير في الموقف والسلوك	291
3.4. عملية التفسير داخل منظومة القيم	292
5. الخلافات المرتبطة بالقيم	295
1.5. مدخل	295
2.5. "حرية التعبير" في مقابل "الرموز الدينية"	298
6. الخلافات السياسية المعبر عنها بلغة دينية	300
1.6. الأهداف في مقابل المواقف	300
2.6. التبعات المنهجية	303
7. خلاصة	304



## 1. مقدمة

لا يوجد شيء اسمه "خلاف ديني" أو "خلاف سياسي" أو "خلاف اجتماعي" أو "خلاف اقتصادي" أو "خلاف بيئي" بحت، فالخلاف دائماً متعدّد الأوجه والأسباب، ينبج عن تفاعل عوامل متنوّعة في نظام معيّن. وفي كثير من الأحيان، يدخل الدين في نشوء الخلاف كما يساهم في حلّه، فقد أظهرت دراسة<sup>1</sup> حديثة أنّ 56% من مجموع الخلافات المسلّحة في 2015 هي خلافات لها بعد ديني. ودور الدين في بعض أنواع الخلاف أمرٌ معترّف به الآن عند الباحثين المختصين في بناء السلم.<sup>2</sup>

يستكشف هذا الفصل دور الدين في تشكيل وترشيده الخلافات، حتى تلك التي يُنظر إلى أسبابها الجذرية على أنها ملموسة (سياسية، اجتماعية، اقتصادية، وبيئية) وليست بالضرورة دينية، إي ليست متعلقة بالقيم والرؤى الكونية. كما يبيّن الفرق بين الخلافات المرتبطة بالقيم والخلافات السياسية المعبر عنها بلغة دينية.

## 2. أشكال ارتباط الدين بالخلاف

للدين أبعادٌ وأدوارٌ متعدّدة داخل المجتمعات، فقد يرتبط دوره بمجموعة من القيم الأخلاقية والتعاليم السلوكية والتربوية، وقد يُنظر إليه من خلال جوانبه الروحانية، أو لا يعدو اعتباره كمجموعة من الممارسات والشعائر. وقد يُنظر إليه كمجموعة من الأحكام الشرعية. كما قد يلعب الدين دور الاسمنت الذي يحافظ على تماسك مجموعة بشرية معيّنة. وبغض النظر عن مؤسسة الدين داخل المجتمع ووجود تراتبية دينية من عدما، ففي كثير من الأحيان يُعتبر الدين مانحاً للشرعية للسلطة السياسية المتحكّمة في المجتمع.

ولكون الدين متواجداً بشكلٍ من الأشكال في جميع المجتمعات وبما أنّ الخلاف ظاهرة لا يخلو منها مجتمع بشري، فإنّ من الطبيعي وجود ارتباط بين الدين والخلاف. ويتفاعل الدين مع الخلاف (1) كعلامة هوية أو (2) كرؤية كونية أو (3) كمورد هام لترشيده الخلاف.

## علاقة الدين بالخلاف وبناء السلم



فإذا اعتبر أحد أطراف الخلاف - أو جميعها - الدين كمحدد أساسي للهوية، يقوم هذا الطرف بإشهاره كعلامة هوية في وجه الطرف الآخر. ويحدث ذلك حتى وإن لم تكن الأطراف متديّنة، أي لم تكن شديدة الممارسة للشعائر الدينية. ففي العديد من المجتمعات اندلعت حروب بين مكوناتها التي وإن كانت تنتمي إلى ديانات مختلفة فهي تشترك إلى حد بعيد في الرؤية الكونية وفي نمط المعيشة. وكأمثلة على ذلك نذكر الحرب في يوغسلافيا، والحرب في إيرلندا، والحرب في جمهورية أفريقيا الوسطى، والحروب الهندية-الباكستانية، والتوترات الإسلامية-القطبية في مصر.

وقد يكون الدين بالنسبة لأطراف الخلاف محددًا للنظرة الكونية فتكون المسائل الخلافية مرتبطة بمنظومة القيم، ومثال على ذلك نذكر التجاذبات الأيديولوجية في شمال أفريقيا (أنظر قسم "فضاء الوساطة الآمن" من فصل "التفاوض والوساطة" لمعرفة كيفية التعامل مع هذا النوع من الخلاف).

كما قد يمثل الدين موردًا هامًا لترشيد الخلاف من خلال تعاليمه والآليات التي يوقرها للتعامل مع الخلاف وإصلاح ذات البين كما تمت الإشارة إليه سابقًا في الفصل الثاني "ترشيد الخلاف وبناء السلم في الإسلام". وتكمن أهمية الدين أيضًا في تأثيره كمنظومة قيم على مواقف وسلوكيات أطراف الخلاف ومقاربتهم في التعامل معه.

### 3. التحكم في السلطة الدينية

في المجتمعات المتديّنة والتي تحكمها أنظمة تسلّطية (مدنية أو عسكرية)، تسعى هذه الأنظمة إلى التحكم في السلطة الدينية واستعمالها لإحكام قبضتها على المجتمع، تمامًا كما تتحكم في السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية والإعلامية، والفضاءات النقابية، والفنية، والرياضية، وغيرها.

وفي العالم العربي على سبيل المثال، تتم السيطرة على السلطة الدينية على المستوى الأمني من خلال وزارات الداخلية، وعلى المستوى السياسي من خلال المجالس الإسلامية العليا وعلى المستوى الإداري من خلال وزارات الشؤون الدينية، وعلى المستوى الاقتصادي من خلال وزارات الأوقاف.

وقد تسعى الأنظمة التسلطية إلى استغلال<sup>3</sup> الدين كأداة لتجذب معالجة الأسباب الحقيقية الملموسة الجذرية للخلاف من افتقار إلى الفرص الاجتماعية والاقتصادية وسوء الإدارة وانتهاكات حقوق الإنسان وغياب سيادة القانون.

وتعدّ استقلالية الدين من عددها عن النظام السياسي من عوامل وجود أو غياب الخلاف داخل المجتمع. فعادة ما تكون السلطة الدينية التابعة للنظام التسلطي أداة للاستعباد، مقرّة للقمع، ساكنة عن الظلم، مبرّرة للعنف. بينما تكون السلطة الدينية المستقلة عن النظام التسلطي عامل تحرير، ضامنة للكرامة، مقبّمة للعدل، معزّزة للسلم.

لهذا السبب سعت المجتمعات الغربية إلى إيجاد آليات للحدّ من تبعية الدين للنظام السياسي، ومن هذه الآليات ما يُعرف بالعلمانية. غير أنّ العلمانية في العالم علمانيات<sup>4</sup>. ففي أمريكا وسويسرا مثلاً تهدف العلمانية إلى حماية الدين من تعسف الدولة، وفي فرنسا، على عكس ذلك، تهدف العلمانية إلى حماية الدولة من تعسف الكنيسة - ولأسباب تاريخية انحرفت العلمانية الفرنسية فأصبحت معاداة للدين (اللائكية المتطرّفة) -، وفي الدول الشيوعية كانت العلمانية تهدف إلى التخلص من الدين

وفرض الإلحاد، أما في كثير من الدول العربية فتهدف العلمانية إلى استخدام الدين للتحكم في المجتمع.

#### 4. تفاعل الدين مع المواقف والاتجاهات والسلوكات

##### 1.4. مثلث "ت-إس"

كما تمت الإشارة إليه سابقاً في الفصل الرابع المخصص لـ "تحليل الخلاف"، يمكن اعتبار الخلاف كتفاعل بين ثلاث مكونات وهي (1) التناقض أو البنية أو السياق، و(2) الاتجاه السلوكي أو الموقف، و(3) السلوك. ومثلث التناقض-الاتجاه السلوكي-السلوك، أو مثلث "ت-إس"، الذي اقترحه البروفيسور يوهان غالتونغ<sup>5</sup>، رسم بياني يشير إلى العلاقة بين جوانب الخلاف الثلاث التي قد تتفاعل بطرق مختلفة. فعلى سبيل المثال، يمكن وصف الخلاف على أنه عملية تبدأ بوجود تناقض، أي تضارب أهداف، أو بنية اجتماعية أو سياق مواتٍ للخلاف، بما في ذلك أسبابه الجذرية الملموسة. ويؤدي التناقض إلى تغيير موقف أطراف الخلاف تجاه بعضهم البعض، مما يؤدي إلى تغيير في سلوكهم. وإذا لم يتم حل الخلاف سلمياً، فإن التناقض سيؤدي إلى مواقف سلبية (عدوانية، كراهية، تطرف) وسلوكات سلبية (عنف)، مما يؤدي بدوره إلى تفاقم التناقض الأصلي وقد ينبج عن ذلك تناقضات جديدة.

##### 2.4. منظومة القيم وعملية التغيير في الموقف والسلوك

إن وجود التناقض (الأسباب الجذرية الملموسة للخلاف) لا يؤدي بالضرورة أو بشكل حاسم إلى خلاف مفتوح عنيف. فقد يظل الخلاف كامناً حتى يُدرك أطرافه وجود التناقض. وهذا الوعي مشروطٌ بمنظومة القيم التي تحكم المجتمع الذي تعيش فيه أطراف الخلاف. حيث تشكل منظومة القيم، أو النظام المرجعي، مجموعة شاملة من المعتقدات التي تجعل الحياة ذات معنى وتمنحها غرضاً. وهي تنطوي على مجموعة من المبادئ التي تحكم الحياة، خاصة فيما يتعلق بالعلاقة والتفاعل مع الآخرين. فعلى سبيل

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

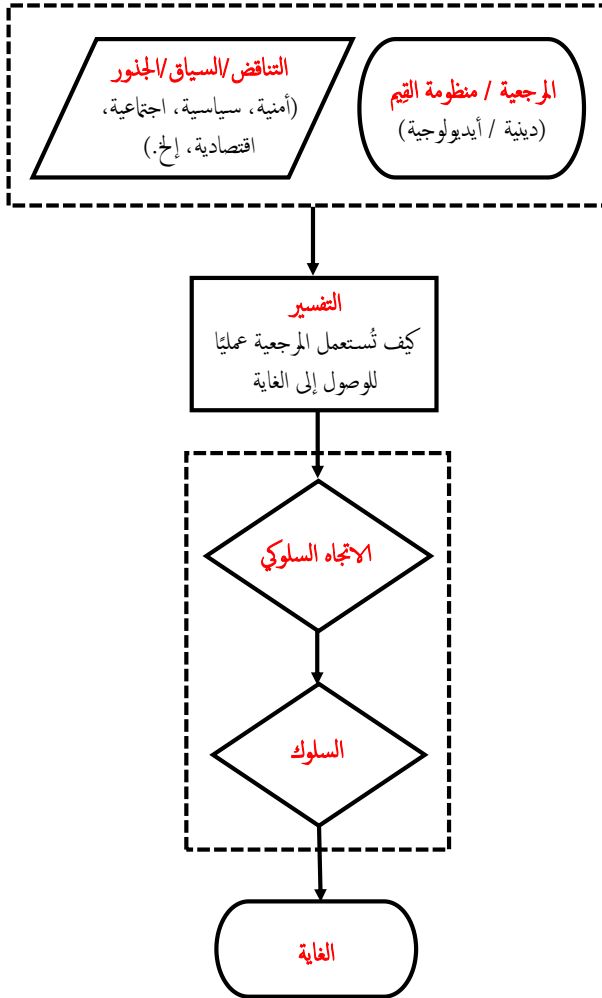
المثال، من الأسهل والأسرع في منظومة القيم التي تشدد على تكافؤ الفرص أن يدرك فيها أطراف الخلاف وجود التناقض المتمثل في الافتقار إلى الفرص الاجتماعية والاقتصادية المتساوية، مقارنةً بمنظومة القيم التي تصفي الشرعية على النظام الطبقي وتبرره. وكلما كان المجتمع خاضعاً للعنف الثقافي، كلما صعب إدراك أفرادها للعنف الهيكلي والأسباب الجذرية الملموسة للخلاف ومعالجتها.

تقوم منظومة القيم بتكليف ليس فقط إدراك التناقض من قبل أطراف الخلاف ودرجة الوعي به، ولكن أيضاً طريقة التعبير عن هذا الوعي وصياغة المظالم<sup>6</sup> ذات الصلة وأسلوب ردّ الفعل عن التناقض (الأسباب الجذرية الملموسة). لذلك، مع وجود نفس الأسباب الجذرية للخلاف، قد يختلف الوعي والإدراك والتعبير (إنتاج السرديات)، وردّ فعل الأفراد والجماعات باختلاف منظومات القيم أو التفسيرات المختلفة داخل نفس منظومة القيم. كما أنّ منظومة القيم ضرورية أيضاً لبناء إطار يعرّز التغيير في الموقف<sup>7</sup> (التعبير عن التغيير وتبريره وعقلنته). وقد يؤدي التغيير في الموقف أو لا يؤدي إلى تغيير سلوكي، وذلك مكثف أيضاً بمنظومة القيم. وعندما يحدث التغيير السلوكي، تُستعمل منظومة القيم أيضاً لإضفاء الشرعية عليه وتبريره.

### 3.4. عملية التفسير داخل منظومة القيم

تخضع منظومة القيم، التي قد تكون دينية أو علمانية، للتفسير من قبل الأفراد والجماعات في مواقف عملية محدّدة. وكما تؤثر منظومات القيم المتباينة بشكل مختلف على عملية تغيير المواقف والسلوكات، يختلف هذا التأثير داخل منظومة القيم الواحدة بوجود تفسيرات عملية مختلفة لنصوصها التأسيسية.<sup>8</sup>

كما يوضّح الشكل البياني الآتي، تتمثل عملية التفسير في البحث عن كيفية الاستعمال العملي لمنظومة القيم التي تحدّد الاتجاه السلوكي والسلوك الذي يوصل إلى الغاية، بالنظر إلى السياق الزماني والمكاني بكلّ أبعاده السياسية والأمنية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية، إلخ. ويُسمى إسقاط منظومة القيم على السياق في التقاليد



وكأمثلة على أهمية عملية التفسير أو إعادة التفسير في تحديد السلوك، يمكن اعتبار تيارين دينيين راديكاليين هما التيار السلفي الإسلامي وتيار تجديدية العماد المسيحي، فنجد أنه حسب تفسير أو إعادة تفسير النصوص الدينية قد يفرز

كلا التيارين حركات وسطية أو حركات مغالية متطرّفة.

فقد أفرز التيار السلفي في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا حركات تؤمن بالمشاركة السياسية في سياقات تعددية، وتطالب بدور في الوساطة وإصلاح ذات البين، إذ عبّرت عن إرادتها واستعدادها للمساهمة في بناء السلام من خلال عملها الدعوي وشبكات الخيرية.<sup>9</sup> ويستند هذا الموقف على تفسير وسطي للنصوص الدينية الإسلامية، مع التركيز على السلام.

كما أفرز التيار السلفي، لأسباب متنوّعة تطرّق إليها الفصل الرابع عشر المخصّص لـ "عملية التطرّف وسبل إزالته"، تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام الذي استولى على مدينة الموصل العراقية بالقوة في عام 2014 وأسس فيها أبو بكر البغدادي "خلافة إسلامية" لإقامة "حكم الله"، ثمّ تمّ تحرير المدينة في عام 2017 من قبل تحالف دولي. استند تنظيم الدولة في ممارسته على تفسير مغالٍ لمفهوم الجهاد، مع التركيز على العنف.

وإذا اعتبرنا تيار تجديدية العمد (Anabaptism)، وهو تيار مسيحي راديكالي، فقد أفرز هذا التيار حركة بقيادة يان ماتيس (Jan Matthys)، برنارد روثمان (Bernhard Rothmann)، برنارد كنيبردولينج (Bernhard Knipperdolling)، وجون من ليدن (John of Leiden)، استولت في فبراير 1534 على مدينة مونستر الألمانية، لتأسيس "مملكة الله" بالسيف في ما اعتبروه "القدس الجديدة". وبعد حصار المدينة، تمّ القضاء على تمرد مونستر في يونيو 1535. وقد تصرّف قادة تمرد مونستر بناءً على تفسيرهم المتطرّف للنصوص الدينية المسيحية، مع التركيز على العنف.

كما أفرز تيار تجديدية العماد أيضًا جماعة المينوناتيين (Mennonites)، التي أُشير إليها في الفصل الأول عن "تطور دراسات الخلاف والسلم في الغرب"، والتي تُعدّ مساهمتها في مجال بناء السلم معتبرة. ويستند هذا الموقف على تفسير وسطي للنصوص الدينية المسيحية، مع التركيز على السلم.

## 5. الخلافات المرتبطة بالقيّم

### 1.5. مدخل

يعتبر الخلاف الناجم عن تعارض القيّم الأشدّ استعصاء للمعالجة، لصعوبة التنازل في مجال القيّم، ولأنّ هذا الصنف يتطلّب جهدًا فكريًا أكبر لتجاوز التناقض ومن ثمّ ترشيد الخلاف.

والأمثلة عديدة عن الخلافات التي يفرزها التضارب في القيّم، والتي نجد لها أشكالًا في شتى المجتمعات. فمثلاً التعارض بين قيمة التنمية البشرية والنمو الاقتصادي على وجه الخصوص، من جهة، وقيمة حماية البيئة، من جهة أخرى، إشكالية قائمة على الصعيد الدولي. وكذا التعارض الذي قد يقع بين قيّم الحريات من جهة والحقوق من جهة أخرى كحرية التدخين للفرد وحق المدخنين في العلاج من طرف الدولة، والذي عادة ما يكون مكلفًا للخزينة العامة، عند المرض الناجم عن التدخين. كما يمكننا الحديث عن تعارض بعض القيّم الوضعية مع بعض القيّم الإسلامية كتعارض المفهوم العقائدي للديمقراطية (وليس مفهومها العملي الممارس) القائم على مبدأ الحاكمية للشعب مع مبدأ الحاكمية لله في الإسلام، إلخ. وأيضًا التعارض بين الحقوق، ونركّز هنا على مثالين من تعارض الحقوق يخضّان الإسلام في أوروبا<sup>1</sup> - وفي الغرب عمومًا - وهما:

---

<sup>1</sup> إنّ التواجد الإسلامي في أوروبا الذي يتسبّب في إشكاليات قد تبدو شائكة، من شأنه أيضًا أن يثير النقاش حولها وأن يساهم في طرح رؤى لمعالجتها. فمثلاً إذا اعتبرنا النظرية الإسلامية للحقوق نجد أنّ المقاربة الإسلامية لمفهوم الحق تتميز عن غيرها بما يلي:



## ألف) التعارض بين الحق في حرية الرأي والتعبير، والحق في احترام المقدس

ظهر ذلك جلياً في أزمة الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول عليه الصلاة والسلام التي أشير إليها في فصول سابقة، وفي أزمة فلم "فتنة" الذي أنتجه السياسي الهولندي غيرت فيلدرز وأصدره على الانترنت في 27 مارس 2008.

## باء) التعارض بين الحقوق الديمقراطية وحقوق الإنسان

ظهر التعارض بين الحقوق الديمقراطية وحقوق الإنسان، أو بين الإرادة الشعبية من جهة، والتزامات الدولة القانونية على الصعيد الدولي من جهة أخرى، جلياً في حظر الحجاب في المدارس الفرنسية وحظر النقاب في القضاء العمومي في عدد من الدول الأوروبية، وفي حظر المآذن في سويسرا في 2009.

ففي الفاتح من مايو 2007 أُطلقت في سويسرا مبادرة شعبية تهدف إلى إضافة بند إلى المادة 72 من الدستور الفدرالي يحظر بناء المآذن في البلد، وذلك من طرف عدد من الشخصيات السياسية معظمها من اتحاد الوسط الديمقراطي وهو يصنّف كحزب من أقصى اليمين. وبعد حملة لجمع التوقيعات دامت سنة كاملة، تمكّن المبادرون من الحصول على النصاب المطلوب (100 ألف توقيع) وقدموا في 8 يوليو 2008 إلى أمانة المجلس الاتحادي 114137 توقيعاً، أقر 113540 منها. وابتداءً من ربيع 2009

---

1— الحق عند المسلمين مصطلح ذو وجهين، فهو يشمل في نفس الوقت مفهوم الحق ومفهوم الواجب المتعارف عليها في الغرب، وهنا تكمن صعوبة ترجمة مصطلح الحق للغات أخرى. فليس هناك حق لك إلا وهو حق عليك. فمثلاً إذا كان لك الحق في التعبير فعليك في نفس الوقت، من جهة، واجب ضمانه للغير، ومن جهة أخرى، واجب ضمان أن ما تتلقظ به لا يمس حقاً من حقوق الغير.

2— لا ينظر المسلمون إلى الحقوق نظرة شطوية أو نووية بل نظرة كلية شاملة فهي لا تُعتبر عندهم منفصلة بل مترابطة بعضها ببعض، تكون جسماً متماسكاً متوازناً لا يطغى فيه أحد الحقوق على حق آخر. ولنا فإن الحق في حرية التعبير والحق في حماية المقدس، على سبيل المثال، قد يبدوان متعارضين إذا نُظر إليهما كحقيقتين منفصلتين، لكن يزول التعارض الظاهر إذا اعتُبرا مترابطين متكاملتين.

## علاقة الدين بالخلاف وبناء السلم

كان هناك نقاش حادّ في البرلمان الاتحادي حول المبادرة الشعبية التي اعتمدت في نهاية المطاف بأغلبية واسعة. وقد ناشد البرلمان الاتحادي وكذا المجلس الاتحادي الشعب السويسري برفض نص المبادرة عندما تُطرح للتصويت.

وبعد اعتماد البرلمان الاتحادي المبادرة الشعبية للتصويت، وحين حُدّد تاريخ ذلك، انطلقت حملة تحسيس وتحميس وحشد للناخبين دامت عدة شهور. وأثناء هذه الحملة، كما كان الحال طوال حملة جمع التوقيعات، كان هناك موقفان يتواجهان: الأول يرى في المآذن "رموزاً للهيمنة السياسية" وأنّ حظرها لا يمسّ بحقّ المسلمين في حرية الاعتقاد والتدين، بينما يعتبر الموقف الثاني أنّ مثل هذا الإجراء من شأنه أن ينتهك حقاً أساسياً للإنسان ألا وهو حرية التعبير عن المعتقد، وأنّ الإجراء لا يمكن تطبيقه لأنه يتعارض مع المواثيق التي سويسرا هي طرف فيها. وقد ضخ المبادرون في حملتهم إمكانيات معتبرة ومتعدّدة الأشكال: الحضور الدائم في وسائل الإعلام، المساهمة المتكررة في النقاشات العمومية، الاستعمال المكثف للملصقات، إلخ. وفي مقابل ذلك كان الحضور الإسلامي في هذه الحملة خجولاً قريب الانعدام. فكان بذلك النقاش حول مسألة المآذن غير متوازن ولا متماثل، يتميّز غالباً بغياب مناقضين ذوي مصداقية في وجه أنصار المبادرة.

في 29 نوفمبر 2009 تمّ قبول نص المبادرة عن طريق الاقتراع الشعبي بنسبة 57.5% من المصوّتين وبمشاركة نسبتها 53.4%، وبأغلبية الولايات إذ رفض نص المبادرة من قبل أربع ولايات فقط من أصل 26 وهي جنيف وفو ونوشاتيل وبازل-المدينة. وقد أثارت هذه النتيجة دهشة، بل صدمة الجميع، حتى في معسكر المبادرين الذين لم يكونوا يتوقعونها. وما زاد في الدهشة هو أنّ استطلاعات الرأي التي نُشرت عشية الاقتراع توقّعت رفض نصّ المبادرة. وبعد التصويت طُرح السؤال الآتي في كلّ الأوساط السويسرية من حكومة ونخبة وقوى سياسية، بما في ذلك الأوساط المبادرة: ما هي كيفية التعامل مع "ما بعد 29 نوفمبر" في داخل سويسرا من أجل الحفاظ على اللحمة الوطنية، وفي الخارج حيث قد يبدو الواقع السياسي في سويسرا مثيراً

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

للاستغراب فافداً للشرعية والمصادقية.

لا شك أنّ الغياب الملحوظ للأصوات الإسلامية في النقاش الذي رافق حملات جمع التوقيعات وحشد المنتخبين، وكذا الخطاب "الملائكي" لمن كانوا يعارضون المبادرة، كانا من أهم العوامل التي تفسر نتيجة اقتراع 29 نوفمبر 2009 غير المرتقبة.

ويمكن ردّ نقص التمثيل الإسلامي في النقاش العمومي إلى ضعف التنظيم وقلة المشاركة في الساحة العمومية. كما يمكن تفسير ضعف التنظيم بعدة عوامل منها: (1) انعدام مؤسسة دينية في الديانة الإسلامية على غرار الفاتيكان بالنسبة للكاثوليك؛ (2) تنوع المدارس الفكرية والفقهية الإسلامية المتواجدة في سويسرا؛ (3) رغبة السلطات السويسرية في عدم التدخل في شؤون المسلمين الداخلية؛ (4) تدخل الدول والتنظيمات الأجنبية.

كما أنّ قلة المشاركة الإسلامية في الساحة العمومية وخاصة في العمل الجمعي والسياسي والإعلامي يحرم السويسريين ذوي الديانة الإسلامية من مسموعية ومرئية ومن تفاعل في المجتمع ويحكم عليهم بالعزلة الرمزية. وتشارك النخب السويسرية (الإعلام، القوى السياسية والجمعية، النقابات، إلخ.) من مسلمين وغيرهم في المسؤولية عن هذا الوضع.

### 2.5. "حرية التعبير" في مقابل "الرموز الدينية"

أيّ خلاف هو تناقض في الأهداف. وفي هذا السياق، ثمة هدفان متعارضان: حماية حرية التعبير واحترام الرموز الدينية، أو حماية الحق في عدم التعرض للإهانة في المعتقد. ويُقال أنّ العالم الإسلامي والغرب يقفان في موقع للدفاع عن واحدة فقط من هذه القيم، لكن هذه ليست صورة واقعية. يجب عدم تصوير التناقض على أنه بين "قيمة غربية" و "قيمة إسلامية"، بل يجب اعتباره صراعاً بين قيمتين عالميتين تختلف أهميتها النسبية في سياقين ثقافيين مختلفين كما هو موضح في الجدول الآتي.

## علاقة الدين بالخلاف وبناء السلم

الثقافة الإسلامية	الثقافة الغربية	
أهمية منخفضة بالنسبة للأغلبية التاريخ السياسي: ديكتاتوريات طويلة الأمد، اضطهاد، قمع	أهمية عالية بالنسبة للأغلبية تقاليد ديمقراطية عريقة، قوانين لحقوق الإنسان	حرية التعبير
أهمية عالية بالنسبة للأغلبية تأثير الدين في جميع مناحي الحياة، لا اضطهاد من قبل مؤسسة دينية	أهمية منخفضة بالنسبة للأغلبية التاريخ الديني: صدامات بين الكنيسة والدولة وظهور العلمانية	الرموز الدينية

### ألف) حرية التعبير في الثقافة الإسلامية

إن الحريات، وخاصة حرية العقيدة وحرية التعبير، متجذرة في التقاليد الإسلامية وقد وضع عدد من علماء المسلمين قاعدة أساسية انطلاقاً من النصوص التأسيسية للإسلام: "لا واجب ديني بدون حرية". وفي معظم البلدان الإسلامية/العربية، تُعتبر قضية الحريات أساسية وتنازل شرائح نشطة من هذه المجتمعات من أجل الحريات، خاصة حرية التعبير. لكن بالنسبة لقطاعات كبيرة من المجتمعات، كانت سيطرة السلطة التنفيذية على وسائل الإعلام هي القاعدة لفترة طويلة بحيث لم يكن لديهم المقياس الصحيح لأهمية استقلال الصحافة في الغرب. ومن ثمّ طالبوا الحكومة الدنماركية بالاعتذار عما ارتكبه جريدة بيلاندس بوستن، وهو مطلب لم يُفهم في الدنمارك.

### باء) احترام الرموز الدينية في الثقافة الإسلامية

لا يمكن تفسير كثافة وحجم الاحتجاج في العالم الإسلامي بعد نشر رسوم بيلاندس بوستن الكارتونية بشكل حصري من خلال استخدام الحدث من طرف بعض الجهات الفاعلة الحكومية. يجب مراعاة عوامل أخرى للإجابة على أسئلة مثل: لماذا كان هناك

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

هذا المستوى من الإجماع واتحاد الجهود للتعامل مع أزمة الرسوم المسيئة؟ لماذا لم تستهدف المقاطعة حليب آرلا فحسب، بل أيضًا بيرة كارلسبرغ، مع توحيد المسلمين المتديّنين وغير المتديّنين على حد سواء؟ ما الذي وحد العمل المشترك بين الشيعة والسنة والسلفيين والصوفيين والإخوان المسلمين من تركيا وبلاد فارس واندونيسيا وباكستان والعالم العربي؟

السبب الرئيسي هو أنّ المسلمين شعروا بجرح عميق في عقيدتهم، علمًا أنّ حماية العقيدة تحتل المرتبة الأولى في ترتيب المتطلبات الأساسية للشريعة الإسلامية. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ العامل العاطفي المتعلق بالوضع الخاص للرسول صلى الله عليه وسلّم في الوعي الجماعي الإسلامي لا يقلّ أهمية. إنه الرمز الديني الأكثر تيجيلًا بعد الله سبحانه وتعالى، كما هو الحال بالنسبة للمسيح عند المسيحيين والمسلمين على حدّ سواء. فمعظم الأسر المسلمة تسمّي أحد أفرادها "محمد" أو أحد أشكاله ومشتقاته. وحتى لو كان تمثيل الرسول (ص) وتصويره غير مسموح به في الثقافة الإسلامية، فهو قريبٌ من المسلم، حاضرٌ في حياته اليومية، ويعتقد المسلم أنّ مدح النبي والصلاة عليه هو أحد مفاتيح الجنة.

## 6. الخلافات السياسية المعبر عنها بلغة دينية

### 1.6 الأهداف في مقابل المواقف

إنّ المواقف التي يتبناها أطراف الخلاف لا تعكس بالضرورة بشكل صريح الأهداف المتناقضة، ويمكن التعبير عنها بلغة تتعلق إما بالمجال الديني أو الروحي. وإذا اقتصرنا في التحليل على بُعدين: ألف) الديني (المرتبط بالنظام الروحي)، و باء) السياسي، بالمعنى الأوسع للمصطلح (المرتبط بالنظام الديني)، فإنّنا نكون أمام الاحتمالات النظرية الأربعة الموضحة في الشكل الآتي.

## علاقة الدين بالخلاف وبناء السلم

دال	جيم	سياسية المواقف المتعارضة
باء	ألف	

سياسية                      دينية

### الأهداف المتناقضة

من المفيد التمييز بين ثلاث فئات من "الخلافات ذات الأبعاد الدينية":

ألف) خلاف ينطوي على تناقض في الأهداف الدينية يتجلى في تعارض في المواقف الدينية.

باء) خلاف ينطوي على تناقض في الأهداف السياسية يتجلى في تعارض في المواقف الدينية.

جيم) خلاف ينطوي على تناقض في الأهداف الدينية يتجلى في تعارض في المواقف السياسية.

من الممكن أيضاً أن تتضمن حالات مختلطة أخرى أهدافاً متناقضة ذات طابع روحاني ودينيي تظهر كتعارض في المواقف الدينية أو السياسية (مركز الشكل التوضيحي).

وانطلاقاً من التجربة العملية مع عدد من الخلافات في العالم العربي (الجزائر، مصر، اليمن، المغرب، الصومال، السنة/الشيعة، القاعدة/الإدارة الأمريكية) ومن دراسة ما يسمى بـ "الإسلام السياسي"، يبدو أن معظم الخلافات التي تخص العالم العربي تنتمي إلى الفئة بـ)، ويمكن تفسير ذلك بـ:

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

— عدم إتقان اللغة السياسية بسبب الجمود السياسي وإفقار الثقافة السياسية في العالم العربي بعد عقود من الاحتلال والاستبداد؛

— صياغة المظالم والاستياء والتعبير عن المطالب بلغة دينية متقنة غنية بالمفردات المتعلقة بمسألة العدل، والتي يُنظر إليها على أنها رابط اجتماعي، ومصدر للشرعية، ووسيلة لإضفاء الشرعية على الخطاب؛

— الشعور المشترك إلى حدّ كبير بين الشعوب العربية والإسلامية بأنّ النظام الدولي بقوانينه الوضعية يفشل باستمرار في معالجة محهم.

وغالبا ما يُنظر إلى هذه الخلافات خطأً على أنها تنتمي إلى الفئة ألف) (تناقض أهداف دينية معبر عنها كتعارض مواقف دينية)، ويمكن تفسير هذا التصور الخاطئ بـ:

— عدم وجود جهد حقيقي لتحليل هذا النوع من الخلافات واستكشاف التناقضات الحقيقية الكامنة؛

— رغبة أحد الأطراف في غرس مثل هذا التصوّر لعزل الطرف الآخر وحرمانه من التأييد أو التعاطف لدى الرأي العام؛

— رغبة طرف ثالث في نقل مثل هذا التصوّر لأسباب (مشروعة أو غير مشروعة) في كثير من الأحيان خارج سياق الخلاف.

وكمثال توضيحي، لو أخذنا الحرب التي شهدتها الجزائر في تسعينيات القرن الماضي، للاحظنا أنها عُرضت على الرأي العام لأكثر من عقد من خلال وسائل الإعلام وأيضاً من قبل "خبراء" في شؤون العالم العربي والإسلامي، و"أخصائيين" في مجالات الخلاف والتطرّف والإرهاب، كحرب دينية يقودها متعصّبون من العصور الوسطى ضد الجمهورية الحديثة. لكن مع مرور الوقت، ثبت أنّ هذا التصوّر غير دقيق للأسباب الآتية:

## علاقة الدين بالخلاف وبناء السلم

— على الرغم من أنّ أحد أطراف الخلاف استخدم الخطاب الديني، فقد ثبت أنّ الخلاف سياسيّ في جوهره. حيث تتعلّق أهداف أطراف الخلاف بأمور دنيوية مرتبطة بشكل أساسي بالحقوق والحريات الأساسية مثل احترام الهوية والمشاركة السياسية والتوزيع العادل للثروة، إلخ.

— يتواجد "الإسلاميون" و "العلمانيون" ضمن كلا طرفي الخلاف (النظام مقابل المعارضة)، مما يُثبت أنّ الانقسام في الجزائر سياسيّ وليس دينيًّا.

### 2.6. التبعات المنهجية

استنادًا إلى الملاحظات السابقة بشأن تصنيف الخلافات الخاصة بالعالم العربي، فإنّ المنهجية العملية التي ينبغي اتباعها لمعالجة هذا النوع من الخلافات تشبه الأساليب التحويلية المستخدمة في الرياضيات والعلوم الفيزيائية لتسهيل حلّ أنظمة المعادلات المعقدة. تعتمد هذه الأساليب على تحويل المعادلات وإعادة صياغتها في فضاء يكون فيه حلّها أسهل، ثم إعادة تحويل الحلّ وإعادة صياغته في الفضاء الأصلي. وفي سياق حلّ الخلافات، تتبّع هذه الطريقة الخطوات الآتية:

(1) الإصغاء المباشر إلى أطراف الخلاف، بشكلٍ ثنائي منفصل، وتجنّب الوسطاء والوسائط التي قد تغيّر خطابهم وتحدث تحيزًا؛

(2) فكّ شفرة اللغة المستخدمة من قبل أطراف الخلاف، وترجمتها من حيث الأهداف (التحوّل الذي يسمح بالانتقال من الفضاء الديني إلى الفضاء السياسي)؛

(3) تحليل أهداف أطراف الخلاف وتحديد المسائل الخلافية بينهم؛

(4) الشروع في إضفاء الشرعية على أهداف أطراف الخلاف في إطار نظمهم القانونية؛

(5) إيجاد طريقة لتجاوز التناقضات (هذه هي أصعب مهمّة وتتطلب الخبرة والقدرة على التفكير بشكل مُبدع)؛



## مدخل إلى ترشيده الخلاف

6) صياغة الحلّ باللغة التي تستخدمها أطراف الخلاف لتسهيل قبوله (التحوّل العكسي من الفضاء السياسي إلى الفضاء الديني).

لا شك أنّ عملية فكّ التشفير وإعادة الترميز معقّدة، لأنها تتطلّب إتقانًا كافيًا للأنظمة الاجتماعية والقانونية والدينية والثقافية المعنية، فضلًا عن الإلمام الكافي بالمفردات المستخدمة. لكنها مجزية أيضًا، لأنها توفر طريقة فعّالة للتوصّل إلى حلّ مستديم للخلاف.

### 7. خلاصة

الخلاف دائمًا متعدّد الأوجه والأسباب، ينجم عن تفاعل عوامل متنوّعة في نظام معيّن. ويدخل الدين في كثير من الأحيان في نشوء الخلافات وتشكيلها كما يساهم أيضًا في حلّها.

يتفاعل الدين مع الخلاف كعلامة هوية أو كروية كونية أو كمورد هامّ لترشيده الخلاف. كما تكمن أهمية الدين أيضًا في تأثيره كمنظومة قيم على مواقف وسلوكات أطراف الخلاف ومقاربتهم لشكل التعامل معه.

ينبغي التمييز بين الخلافات القائمة على تضارب في القيم والرؤى الكونية، مثل التعارض بين الحق في حرية الرأي والتعبير، والحق في احترام المقدّس، وبين الخلافات القائمة على تضارب في الأهداف السياسية والمعبر عنها بلغة دينية. لأنّ مقاربات ترشيده هذين النوعين من الخلاف مختلفة.

---

---

## مراجع مختارة

---

---

### **In English**

- Abdi, Dekha Ibrahim and Mason, Simon. Mediation and Governance in Fragile Contexts: Small Steps to Peace. Boulder CO: Lynne Rienner Publishers (2019).
- Abou El Fadl, Khaled. Rebellion and Violence in Islamic Law. Cambridge University Press (2001).
- Abu-Nimer, Mohammed. Nonviolence and Peace Building in Islam: Theory and Practice. University Press of Florida (2003).
- Abu-Nimer, Mohammed and David Augsburg (editors). Peacebuilding By, Between and Beyond Muslims and Evangelical Christians. Rowan & Littlefield (2009).
- AbuSulayman, AbdulHamid. Towards an Islamic Theory of International Relations: New Directions for Islamic Methodology and Thought. International Institute of Islamic Thought (1993).
- Al-Dawoody, Ahmed. The Islamic Law of War: Justifications and Regulations. Palgrave Macmillan (2011).
- Anderson, Mary B. Do No Harm: How Aid Can Support Peace-Or War. Lynne Rienner Publishers (1999).
- Anstey, M. Practical Peace Making. Juta & Co. Ltd. (1993).
- Appleby, R. Scott. The Ambivalence of the Sacred: Religion, Violence, and Reconciliation. Rowman & Littlefield Publishers (2000).
- Arai, Tatsushi. Creativity and Conflict Resolution: Alternative

Pathways to Peace. Foreword by Prof. Johan Galtung. Routledge (2009).

— Aroua, Abbas. The Quest of Peace in the Islamic Tradition. Foreword by Prof. Johan Galtung. Kolofon, Oslo (2013). Available online at: <http://www.cpi-geneva.org/images/pdf/Books/Q4P.pdf>

— Augsburg, David. Conflict Mediation Across Cultures: Pathways and Patterns. John Knox Press (1995).

— Austin, Beatrix; Fischer, Martina and Giessmann, Hans J. (editors). Advancing Conflict Transformation: The Berghof Handbook. Barbara Budrich Publishers (2011).

— Avruch, Kevin; Black, Peter W. and Scimecca, Joseph A. (editors). Conflict Resolution: Cross-Cultural Perspectives. Greenwood Press (1991).

— Avruch, Kevin. Culture and Conflict Resolution. United States Institute of Peace Press (1998).

— Ayindo, Babu; Gbaydee Doe, Sam and Jenner, Janice. When You Are the Peacebuilder: Stories and Reflections on Peacebuilding from Africa. Conflict Transformation Program. Eastern Mennonite University (2001).

— Bainton, Roland H. Christian Attitudes Toward War and Peace: A Historical Survey and Critical Re-Evaluation. Abingdon Press (1979).

— Bajaj, Monisha (editor). Encyclopedia of Peace Education. Information Age Publishing (2008).

— Baker, Pauline H. An analytical model of internal conflict and state collapse: Manual for practioners. The Fund for Peace (1998).

— Beer, Jennifer E. and Stief, Eileen. The Mediator's Handbook. New

Society Publishers (1998).

— Bercovitch, Jacob and Rubin, Jeffrey Z. (editors). *Mediation in International Relations: Multiple Approaches to Conflict Management*. Palgrave Macmillan (1992).

— Bermant, Gordon; Kelman, Herbert C. and Warwick, Donald P. *The Ethics of social intervention*. Hemisphere Pub. Corp. (1978).

— Bitter, Jean-Nicolas. *Les Dieux embusqués : une approche pragmatique de la dimension religieuse des conflits*. Librairie Droz (2003).

— Bondurant, Joan V. *Conquest of Violence: The Gandhian Philosophy of Conflict*. Princeton University Press (1988).

— Boulding, Kenneth Ewart. *Conflict and Defense: A General Theory*. Harper and Row (1962).

— Boulding, Kenneth Ewart. *Three Faces of Power*. Sage Publications (1989).

— Boulding, Elise. *Building a Global Civic Culture: Education for an Interdependent World*. Syracuse University Press (1990).

— Boulding, Elise and Boulding, Kenneth E. *The Future: Images and Processes*. Sage Publications (1994).

— Burton, John W. *Conflict and Communication: The Use of Controlled Communication in International Relations*. Macmillan (1969).

— Burton, John W. *Global Conflict: The Domestic Sources of International Crisis*. Wheatsheaf Books (1986).

— Burton, John W. *Resolving Deep-Rooted Conflict: A Handbook*. Rowman & Littlefield (1987).

— Burton, John W. The Conflict Series. Book 1. Conflict: Resolution and Provention. Book 2. Conflict: Human Needs Theory. Book 3. Conflict: Readings in Management and Resolution with Frank Dukes. Book 4. Conflict: Practices in Management, Settlement and Resolution with Frank Dukes. St. Martin's Press (1990).

— Busch, Dominic; Mayer, Claude-Hélène and Boness, Christian (editors). International and Regional Perspectives on Cross-Cultural Mediation. Peter Lang (2010).

— Button, John. The Radicalism Handbook. Cassel, London (1995).

— Byrne, Sean and Senehi, Jessica. Violence: Analysis, Intervention and Prevention. Ohio University Press (2012).

— Camp and Saferworld. Transforming Conflict and Building Peace: Training of Trainers Manual (2014).

— Cobb, Sara. Speaking of Violence: The Politics and Poetics of Narrative in Conflict Resolution. Oxford University Press (2013).

— Committee for Children. Second Step: A Violence-Prevention Curriculum. Preschool-Kindergarten (Ages 4-6) Teacher's Guide. CFChildren (1991).

— Conseil National des Organisations de la Société Civile Guinéenne. Guide d'utilisation des Cahiers Thématiques pour la prévention et gestion des conflits (2012).

— Cornelius, Helena and Faire, Shoshana. Everyone Can Win: How to Resolve Conflict. Simon and Schuster (1994).

— Coward, Harold and Gordon S. Smith. Religion and Peacebuilding. State University Press (2004).

— Cox, Brian. Faith-Based Diplomacy: The Work of the Prophets.

Xlibris (2015).

— Crocker, Chester A; Hampson, Fen Osler and Aall, Pamela R. (editors). *Managing Global Chaos: Sources of and Responses to International Conflict*. United States Institute of Peace Press (1996).

— Crow, Ralph; Grant, P. and Ibrahim, S. (editors). *Arab Nonviolent Political Struggle in the Middle East*. Lynne Rienner Publishers (1990).

— Curle, Adam. *Making Peace*. Tavistock Publications (1971).

— Curle, Adam. *In the Middle: Non-Official Mediation in Violent Situations*. Berg Publications (1987).

— Curle, Adam. *Tools for Transformation (A Personal Study)*. Hawthorn Press (1990).

— Curle, Adam. *Another Way: Positive Response to Contemporary Violence*. Jon Carpenter Publishing (1996).

— Curle, Adam. *True Justice. Quaker Peace Makers and Peace Making*. Quaker Books (2007).

— Deutsch, Morton. *The Resolution of Conflict: Constructive and Destructive Processes*. Yale University Press (1977).

— Diamond, Louise and McDonald, John N. *Multi-Track Diplomacy: A Systems Approach to Peace*. Kumarian Press (1996).

— Dudouet, Véronique (editor). *Civil Resistance and Conflict Transformation: Transitions from armed to nonviolent struggle*. Routledge (2014).

— Duncan, Ronald (editor). *Gandhi: Selected Writings*. Harper & Row Publishers (1972).

- Easwaran, Eknath. *Nonviolent Soldier of Islam: Badshah Khan: A Man to Match His Mountains*. Nilgiri Press (1999).
- Eilberg, Amy. *From Enemy to Friend: Jewish Wisdom and the Pursuit of Peace*. Orbis Books (2014).
- Engel, Antonia and Korf, Benedikt. *Negotiation and Mediation Techniques for Natural Resource Management*. Food and Agriculture Organization of the United Nations (2005).
- European Centre for Conflict Prevention. *People Building Peace: 35 Inspiring Stories from Around the World*. International Books (1999).
- European External Action Service. *Peace Mediation Guidelines* (2020).
- Ferguson, John. *War and Peace in the World's Religions*. Oxford University Press (1978).
- Fisher, Roger and Ury, William. Patton, Bruce (editor). *Getting to Yes: Negotiating Agreement Without Giving In*. Random House Business Books (1991).
- Fisher, Roger and Shapiro, Daniel. *Beyond Reason: Using Emotions as You Negotiate*. Penguin Books (2006).
- Fisher, Ronald J. *The Social Psychology of Intergroup and International Conflict Resolution*. Springer (1990).
- Fisher, Ronald J. *Interactive Conflict Resolution*. Syracuse University Press (1996).
- Fisher, Simon; Ludin, Jawed; Richard, Smith; Williams, Sue; Williams, Steven; Ibrahim Abdi, Dekha. *Working with Conflict: Skills and Strategies for Action*. Zed Books & Responding to Conflict.

London & Birmingham (2000).

— Fitzduff, Mari and Williams, Sue. Dialogue in divided societies: Skills for working with groups in conflict. Independently published (2019).

— Folger, Joseph and Jones, Tricia (editors). New Directions in Mediation. Sage Publications (1994).

— Frazer, Owen and Owen, Mark. Maassarani, Tarek; Miller, Martine and Hayward, Susan (editors). Religion in Conflict and Peacebuilding: Analysis Guide. United States Institute of Peace Press (2018).

— Fry, Douglas P. and Bjorkqvist, Kaj (editors). Cultural Variation in Conflict Resolution: Alternatives to Violence. Psychology Press (1996).

— Funk, Nathan C. and Said, Abdul Aziz. Islam and Peacemaking in the Middle East. Lynne Rienner Publishers (2009).

— Furlong, Gary. Conflict Resolution Toolbox: Models and Maps for Analyzing, Diagnosing, and Resolving Conflict. Jossey-Bass Publishers (2005).

— Galtung, Johan. There are alternatives! Four Roads to Peace and Security. Spokesman Books (1984).

— Galtung, Johan. Solving Conflicts: A Peace Research Perspective. University of Hawaii Press (1989).

— Galtung, Johan. The Way is the Goal: Gandhi Today. Gujarat Vidyapith (1992).

— Galtung, Johan. Peace by Peaceful Means: Peace and Conflict, Development and Civilization. Sage Publications (1996).



- Galtung, Johan. Conflict Transformation by Peaceful Means: The Transcend Method. United Nations Disaster Management Training Programme (2000).
- Galtung, Johan and Jacobsen, Carl G. Searching for Peace: The Road to Transcend. Pluto Press (2002).
- Galtung, Johan. Transcend and Transform: An Introduction to Conflict Work. Pluto Press. London (2004).
- Galtung, Johan. Pax Pacifica: Terrorism, the Pacific Hemisphere, Globalisation and Peace Studies. Pluto Press. London (2005).
- Galtung, Johan and MacQueen, Graeme. Globalizing God: Religion, Spirituality and Peace. Transcend University Press & Kolofon Forlag (2008).
- Galtung, Johan. 50 Years – 100 Peace & Conflict Perspectives. Transcend University Press & Kolofon Forlag (2008).
- Galtung, Johan. Peace Business: Humans and Nature Above Markets and Capital. Transcend University Press & Kolofon Forlag (2009).
- Galtung, Johan. A Theory of Conflict: Overcoming Direct Violence. Transcend University Press & Kolofon Forlag (2010).
- Galtung, Johan. A Theory of Development: Overcoming Structural Violence. Transcend University Press & Kolofon Forlag (2010).
- Galtung, Johan and Fischer, Dietrich. Peace Mathematics: Mathematics of, by, and for Peace. Transcend University Press & Kolofon Forlag (2012).
- Galtung, Johan. Peace Economics: From a Killing to a Living Economy. Transcend University Press & Kolofon Forlag (2012).

- Galtung, Johan. *A Theory of Peace: Building Direct-Structural-Cultural Peace*. Transcend University Press & Kolofon Forlag (2012).
- Galtung, Johan and Fischer, Dietrich. *Johan Galtung: Pioneer of Peace Research*. Springer (2013).
- Galtung, Johan. *Deep Culture, Deep Structure, Deep Nature: Three Pillars of Peace Theory and Peace Practice*. Transcend University Press & Kolofon Forlag (2017).
- Galtung, Johan. *The Art of Peace: Global Peace Studies 101 – Theory and Practice*. Transcend University Press & Kolofon Forlag (2017).
- Gandhi, Mohandas K. *Nonviolence in Peace and War*. Navajivan Publishing House (1948).
- Gandhi, Mohandas K. *Nonviolent Resistance (Satyagraha)*. Bharatan Kumarappa (editor). Shoken Books (1961).
- Gandhi, Mohandas K. *An Autobiography: The Story of My Experiments with Truth*. Beacon Press (1993).
- Ghosananda, Maha. *Step by Step: Meditations on Wisdom and Compassion*. Parallax Press (1992).
- Glasl, Friedrich. *Confronting Conflict: A First-Aid Kit for Handling Conflict*. Hawthorn Press (1999).
- Gopin, Marc. *Between Eden and Armageddon: The Future of World Religions, Violence, and Peacemaking*. Oxford University Press (2000).
- Gopin, Marc. *Holy War, Holy Peace: How Religion Can Bring Peace to the Middle East*. Oxford University Press (2002).
- Gottlieb, Roger S. (editor). *Liberating Faith: Religious Voices for*

Justice, Peace, and Ecological Wisdom. Rowman & Littlefield Publishers (2003).

— Guha, Amalendu. Philosophy, Science and culture of peace. Mahatma M.K. Gandhi Foundation for Non-violent Peace (2002).

— Gurr, Ted Robert and Harff, Barbara. Ethnic Conflict in World Politics. Westview Press (1994).

— Hall, Lavinia (editor). Negotiation: Strategies for Mutual Gain. Sage Publications (1993).

— Heft, James L. (editor). Beyond Violence: Religious Sources of Social Transformation in Judaism, Christianity, and Islam. Fordham University Press (2004).

— Helmick, Raymond G. and Petersen, Rodney (Editors). Forgiveness & Reconciliation: Public Policy & Conflict Transformation. Templeton Foundation Press (2002).

— Henderson, Michael. No Enemy to Conquer: Forgiveness in an Unforgiving World. Baylor University Press (2009).

— Hertog, Katrien. The Complex Reality of Religious Peacebuilding: Conceptual Contributions and Critical Analysis. Lexington Books (2010).

— Hocker, Joyce L. and Wilmot, William W. Interpersonal Conflict. Brown and Benchmark (1995).

— Holmes, Robert L. and Gan, Barry L. Nonviolence in Theory and Practice. Waveland Pr Inc. (2011).

— Horowitz, Donald L. Ethnic Groups in Conflict. University of California Press (2001).

— Huda, Qamar-ul. Crescent and Dove: Peace and Conflict

- Resolution in Islam. United States Institute of Peace (2010).
- Johansen, Jørgen and Jones, John Y. Experiments with Peace: Celebrating Peace on Johan Galtung's 80th Birthday. Pambazuka Press (2010).
- Johnston, Douglas and Cynthia Sampson (editors). Religion: The Missing Dimension of Statecraft. Oxford University Press (1994).
- Johnston, Douglas (Editor). Faith-Based Diplomacy Trumping Realpolitik. Oxford University Press (2008).
- Jones, Peter. Track Two Diplomacy in Theory and Practice. Stanford University Press (2015).
- Kadayifci-Orellana, S; Abu-Nimer, Mohammed and Mohammed-Saleem, Amjad. Understanding an Islamic Framework for Peacebuilding. Islamic Relief Worldwide (2013).
- Kemp, Graham and Fry, Douglas P. (editors). Keeping the Peace: Conflict Resolution and Peaceful Societies Around the World. Routledge (2003).
- Kheel, Theodore W. The Keys to Conflict Resolution. Four Walls Eight Windows (1999).
- King, Martin Luther, Jr. A Testament of Hope: The Essential Writings and Speeches of Martin Luther King, Jr. James M. Washington (editor). HarperOne (1986).
- Kleiboer, Marieke Anita. International Mediation: The Multiple Realities of Third-party Intervention. Ridderprint (1996).
- Koehler, Daniel. Understanding Deradicalization: Methods, Tools and Programs for Countering Violent Extremism. Routledge (2016).
- Kriesberg, Louis and Dayton, Bruce W. Constructive Conflicts:

From Escalation to Resolution. Rowman & Littlefield Publishers (2016).

— Kurtz, Lester (editor). Encyclopedia of Violence, Peace, and Conflict. Academic Press (2008).

— Lawler, Peter. A Question of Values: Johan Galtung's Peace Research. Lynne Rienner Publishers (1994).

— Leatherman, Janie; DeMars, William; Gaffney, Patrick and Vayrynen, Raimo. Breaking Cycles of Violence: Conflict Prevention in Intrastate Crises. Kumarian Press (1999).

— LeBaron, Michelle. Bridging Troubled Waters: Conflict Resolution from the Heart. Jossey-Bass Publishers (2002).

— LeBaron, Michelle and Pillay, Venashri. Conflict Across Cultures: A Unique Experience of Bridging Differences. Intercultural Press (2006).

— Lederach, Paul M. The Third Way. Herald Press (1980).

— Lederach, John Paul. Preparing for Peace: Conflict Transformation Across Cultures. Syracuse University Press (1996).

— Lederach, John Paul. Building Peace: Sustainable Reconciliation in Divided Societies. United States Institute of Peace Press (1998).

— Lederach, John Paul. The Journey Toward Reconciliation. Herald Press (1999).

— Lederach, John Paul. The Little Book of Conflict Transformation. Good Books (2003).

— Lederach, John Paul. The Moral Imagination: The Art and Soul of Building Peace. Oxford University Press (2005).

- Leiner, Martin and Schliesser, Christine (editors). *Alternative Approaches in Conflict Resolution. Rethinking Peace and Conflict Studies Series*. Palgrave Macmillan, Cham (2018).
- Lin, Jing; Brantmeier, Edward J. and Bruhn, Christa (editors). *Transforming Education for Peace*. Information Age Publishing (2008).
- Little, David (editor). *Peacemakers in Action: Profiles of Religion in Conflict Resolution*. Tanenbaum Center for Interreligious Understanding. Cambridge University Press (2007).
- Lopez-Reyes, Ramon. *Archetypes of War and Peace*. Transcend University Press & Kolofon Forlag (2011).
- Lund, Michael. *Preventing Violent Conflicts: A Strategy for Preventive Diplomacy*. United States Institute of Peace Press (1996).
- Lynch, Jake and Galtung, Johan. *Reporting Conflict: New Directions in Peace Journalism*. University of Queensland Press (2010).
- Mastenbroek, Willem. *Negotiate*. Blackwell Publisher (1989).
- Matyók, Thomas; Senehi, Jessica and Byrne, Sean. *Critical issues in peace and conflict studies: theory, practice, and pedagogy*. Lexington Books (2011).
- Matyók, Thomas; Flaherty, Maureen; Tuso, Hamdesa; Senehi, Jessica and Byrne, Sean (Editors). Creamer, David; Hrynkow, Christopher; Klostermaier, Klaus; Perry, John; Lundquist, Kristen; Seiple, Chris; Vu, Hien; Lerner, Michael; Funk, Nathan; Cormier, Paul Nicolas; Thiessen, Chuck; Davis, Vernie; Mitchell Armand, Margaret; Anastasiou, Harry; Bitzker, Katharina; Keethaponcalan,

- S. I.; Wang, Min; Lee, Yueh-Ting; Yang, Honggang; Egerton, Charles; Moore, S. K.; Muvungi, Ismael; Abu-Nimer, Mohammed; Edmund, Lois; Armbruster, Deanna (Contributors). *Peace on Earth: The Role of Religion in Peace and Conflict Studies*. Lexington Books (2015).
- Mayer, Bernard S. *Beyond Neutrality: Confronting the Crisis in Conflict Resolution*. Jossey-Bass (2007).
- McConnell, John A. *Mindful Mediation: Handbook for Buddhist Peacemakers*. Buddhadhamma Foundation (1996).
- McDonald John W. and Bendahmane Diane B. (editors). *Conflict Resolution: Track Two Diplomacy*. Center for the Study of Foreign Affairs. Foreign Service Institute (1987).
- Merton, Thomas. *Passion for Peace: Reflections on War and Nonviolence*. Crossroad Publishing (2006).
- Miall, Hugh; Ramsbotham, Oliver and Woodhouse, Tom. *Contemporary Conflict Resolution: The Prevention, Management and Transformation of Deadly Conflicts*. Polity Press (2005).
- Mischnick, Ruth. *Nonviolent Conflict Transformation: Training Manual for a Training of Trainers Course*. Centre for Training and Networking in Nonviolent Action – KURVE Wustrow, Partners for Democratic Change Slovakia, Civilian Defence Research Centre, International Fellowship of Reconciliation, Peace Action Training and Research Institute of Romania (2007).
- Mitchell, Christopher R. *The Structure of International Conflict*. St. Martin's Press (1989).
- Mitchell, Christopher and Banks, Michael. *Handbook of Conflict Resolution: The Analytical Problem-Solving Approach*. Pinter

Publications (1996).

— Moore, Christopher W. *The Mediation Process: Practical Strategies for Resolving Conflict*. Jossey-Bass Publishers (2003).

— Moore, Lucy V., *Working in Conflict: A Faith Based Toolkit for Islamic Relief*, Islamic Relief Worldwide (2014).

— Muhaiyaddeen, M. R. Bawa; Schimmel, Annemarie and Barks, Coleman. *Islam & World Peace: Explanations of a Sufi*. Fellowship Press (2004).

— Nadine Bloch and Lisa Schirch. *Synergizing Nonviolent Action and Peacebuilding (SNAP): An Action Guide*. United States Institute of Peace Press (2018).

— Nan, Susan Allen; Mampilly, Zachariah Cherian and Bartoli, Andrea (editors). *Peacemaking from Practice to Theory*. Praeger (2012).

— Neufeldt, Reina; Fast, Larissa; Schreiter, Robert; Starcken, Brian; MacLaren, Duncan; Cilliers, Jaco and Lederach, John Paul (Authors). Cibambo, Pierre; Hajj, Jean Dib; Khouri, Georges G; Ton, Raymond; Morgan, Julie; Nduwamunguv, Thérèse; Seko Weke, Peter; Barja Miranda, Roberto; D'Souza, Gregory; Scaria, Maria; Theves, Caroline; Sagayam, Nithiya; Batarelo, Vincent; Henao, Hector Fabio; Koroma, Patrick; Headley, William; Abu-Nimer, Mohammed; Assefa, Hizkias; DeLorey, Mary; Hodem, Mary; Rasmussen, Lewis; Togo, Theodore; Quintus, A; McMahan, Justina; Shaftari, M. Assad; Gulick, Robin; Thomas, Tayib; Stern, Linda; Faras, Tito; Schennink, Ben; Byrne, Jack; Bobo Baldeh, Elizabeth; Schein, Alex (Contributors). *Peacebuilding: A Caritas Training Manual*. Caritas Internationalis



(2002).

— Nhat Hanh, Thich. Being Peace. Parallax Press (1987).

— Norenzayan, Ara. Big Gods: How Religion Transformed Cooperation and Conflict. Princeton University Press (2013).

— Odendaal, Andries. A Crucial Link: Local Peace Committees and National Peacebuilding. United States Institute of Peace Press (2013).

— Omer, Atalia; Appleby, R. Scott and Little, David. The Oxford Handbook of Religion, Conflict, and Peacebuilding. Oxford University Press (2015).

— OSCE Conflict Prevention Centre. Mediation and Dialogue Facilitation in the OSCE Reference Guide. OSCE (2014).

— Philpott, Daniel and Powers, Gerard F. (editors). Strategies of Peace: Transforming Conflict in a Violent World. Oxford University Press (2010).

— Polner, Murray and Goodman, Naomi (editors). The Challenge of Shalom. New Society Publishers (1994).

— Pruitt, Bettye and Thomas, Philip. Democratic Dialogue – A Handbook for Practitioners. General Secretariat of the Organization of American States, International Institute for Democracy and Electoral Assistance, United Nations Development Programme (2007).

— Raiffa, Howard. The Art and Science of Negotiation. Harvard University Press (1982).

— Ramadan, Tariq. Radical Reform: Islamic Ethics and Liberation. Oxford University Press (2009).

— Reardon, Betty A. Comprehensive Peace Education: Educating for

- Global Responsibility. Teachers College Press (1988).
- Reardon, Betty A. *Tolerance, the Threshold of Peace*. UNESCO (1998).
- Reychler, Luc and Paffenholz, Thania (editors). *Peacebuilding: A Field Guide*. Lynne Reiner Publishers, (2001).
- Rivera (de), Joseph (editor). *Handbook on Building Cultures of Peace*. Springer (2009).
- Rogers, Mark; Bamat, Tom and Ideh, Julie (editors). *Pursuing Just Peace: An Overview of Case Studies for Faith-Based Peacebuilders*. Catholic Relief Services (2008).
- Ross, Marc Howard. *The Culture of Conflict: Interpretations and Interests in Comparative Perspective*. Yale University Press (1993).
- Rothman, Jay. *Resolving Identity-Based Conflict in Nations, Organizations, and Communities*. John Wiley & Sons (1997).
- Rupesinghe, Kumar (editor). *Conflict Transformation*. Palgrave Macmillan (1995).
- Rummel, Rudolph J. *Understanding Conflict and War*. Sage Publications. Volume 1: *The Dynamic Psychological Field* (1975); Volume 2: *The Conflict Helix* (1976); Volume 3: *Conflict in Perspective* (1977); Volume 4: *War, Power, Peace* (1979); Volume 5: *The Just Peace* (1981).
- Sacks, Jonathan. *The Dignity of Difference: How to Avoid the Clash of Civilizations*. Continuum (2003).
- Said, Abdul Aziz; Funk, Nathan C; Kadayifci, Ayse S. (editors). *Peace and Conflict Resolution in Islam: Precept and Practice*. University Press of America (2001).

- Salmi, Ralph H.; Majul, Cesar Adib; Tanham, George K. *Islam and Conflict Resolution* (University Press of America (1998).
- Salomon, Gavriel and Nevo, Baruch (editors). *Peace Education: The Concept, Principles, and Practices Around the World*. Laurence Erlbaum Associates (2002).
- Sampson, Cynthia and Lederach, John Paul (editors). *From the Ground Up: Mennonite Contributions to International Peacebuilding*. Oxford University Press (2000).
- Sampson, Cynthia; Abu-Nimer, Mohammed; Liebler, Claudia and Whitney, Diana (editors). *Positive Approaches to Peacebuilding: A Resource for Innovators*. Taos Institute Publications (2003).
- Sandole, Dennis J.D. and Van Der Merwe, Hugo (editors). Kelman, Herbert C. (Foreword). *Conflict Resolution Theory and Practice: Integration and Application*. Manchester University Press (1993).
- Sandole, Dennis; Byrne, Sean; Sandole-Starosta, Ingrid and Senehi, Jessica (editors). *Handbook of Conflict Analysis and Resolution*. Routledge (2009).
- Santa Barbara, Joanna; Galtung, Johan and Perlman, Diane. *Reconciliation: Clearing the Past, Building a Future*. Transcend University Press (2012).
- Sachedina, Abdulaziz. *The Islamic Roots of Democratic Pluralism*. Oxford University Press (2007).
- Satha-Anand, Chaiwat; Paige, Glenn D. and Gilliat, Sarah (editors). *Islam and Nonviolence*. Matsunaga Institute for Peace (1993).

- Saunders, Harold H. *A Public Peace Process: Sustained Dialogue to Transform Racial and Ethnic Conflicts*. Palgrave Macmillan (2001).
- Schirch, Lisa. *Ritual and Symbol in Peacebuilding*. Kumarian Press (2005).
- Schmid, Muriel; Abu-Nimer, Mohammed; Derezotes, David; Carlson, John D; Enns, Elaine; Myers, Ched; Mallat, Chibli; Kern, Kathleen; Nafziger, Tim; Heft, James L; Aroua, Abbas; Lederach, John Paul; Bennett-Murphy, Laura M. (Muriel Schmid, editor). *Religion, Conflict, and Peacemaking: An Interdisciplinary Conversation*. The University of Utah Press (2017).
- Schrock-Shenk, Carolyn (editor). *Mediation and Facilitation Training Manual: Foundations and Skills for Constructive Conflict Transformation*. Mennonite Conciliation Service (2000).
- Seiple, Chris and Hoover, Dennis R. (editors). *The Routledge Handbook of Religious Literacy, Pluralism, and Global Engagement*. Routledge, London (2021).
- Sharp, Gene. *The Politics of Nonviolent Action*. Part 1: Power and Struggle; Part 2: The Methods of Nonviolent Action; Part 3: Dynamics of Nonviolent Action. Porter Sargent Publishers (1973).
- Sharp, Gene; Paulson, Joshua; Miller, Christopher A. and Merriman, Hardy. *Waging Nonviolent Struggle: 20th Century Practice And 21st Century Potential*. Extending Horizons Books (2005).
- Sisk, Timothy D. (editor). *Between Terror and Tolerance: Religious Leaders, Conflict, and Peacemaking*. Georgetown University Press (2011).

- Slaikeu, Karl A. *When Push Comes to Shove: A Practical Guide to Mediating Disputes*. John Wiley & Sons (1995).
- Smith-Christopher, Daniel L. (editor). *Subverting Hatred: The Challenge of Nonviolence in Religious Traditions*. Orbis Books (2007).
- Smock, David R. (editor). *Interfaith Dialogue and Peacebuilding*. United States Institute of Peace (2002).
- Stephan, Maria J. (editor). *Civilian Jihad: Nonviolent Struggle, Democratization, and Governance in the Middle East*. Palgrave Macmillan (2009).
- Summers, Craig and Markusen, Eric. *Collective Violence: Harmful Behavior in Groups and Governments*. Rowman & Littlefield (1999).
- Susskind, Lawrence E; McKearnen, Sarah and Thomas-Lamar, Jennifer (editors). *The Consensus Building Handbook: A Comprehensive Guide to Reaching Agreement*. Sage Publications Inc (1999).
- Svensson, Isak. *Ending Holy Wars: Religion and Conflict Resolution in Civil Wars*. University of Queensland Press (2012).
- Swiss Federal Department of Foreign Affairs (FDFA), the United Nations Office for the Coordination of Humanitarian Affairs (UNOCHA), and Conflict Dynamics International (CDI). *Humanitarian Access in Situations of Armed Conflict: Practitioners' Manual* (2014).
- Thistlethwaite, Susan Brooks (editor). *Interfaith Just Peacemaking: Jewish, Christian, and Muslim Perspectives on the New Paradigm of Peace and War*. Palgrave Macmillan (2012).

- Thompson, Henry O. *World Religions in War and Peace*. McFarland (1988).
- Thompson, W. Scott et al. (editors). *Approaches to Peace: An Intellectual Map*. United States Institute of Peace Press (1992).
- Thompson, Leigh L. *The Truth About Negotiations*. Pearson Education (2008).
- Turner Johnson, James and Kelsay, John (editors). *Cross, Crescent and Sword: The Justification of War in Western and Islamic Tradition*. Greenwood Press (1990).
- Tutu, Desmond, and Tutu, Mpho. *The Book of Forgiving: The Fourfold Path for Healing Ourselves and Our World*. HarperOne (2014).
- United Nations. *Conflict Negotiation Skills for Youth*. Economic and Social Commission for Asia and the Pacific (2003).
- Ury, William L; Brett, Jeanne M., and Goldberg, Stephen B. *Getting Disputes Resolved: Designing Systems to Cut the Costs of Conflict*. Jossey-Bass Publishers (1988).
- Ury, William L. *Getting Past No: Negotiating in Difficult Situations*. Bantam Books (1991).
- Ury, William L. *Getting to Peace: Transforming Conflict at Home, at Work, & in the World*. Viking Books (1999).
- Van Tongeren, Paul; Brenk, Malin; Hellema, Marte; Verhoeven, Juliette (editors). *People Building Peace II: Successful Stories of Civil Society*. Lynne Rienner Publisher (2005).
- Vayrynen, Raimo (editor). *New Directions in Conflict Theory: Conflict Resolution and Conflict Transformation*. Sage (1991).

- Von Lipsey, Roderick. *Breaking the Cycle: A Framework for Conflict Intervention*. Palgrave Macmillan (1997).
- Wallensteen, Peter (editor). *Peace Research: Achievements and Challenges*. Westview Press (1988).
- Watson Forsberg, Randall Caroline. *Toward a Theory of Peace: The Role of Moral Beliefs*. Edited by Evangelista, Matthew and Crawford, Neta C. Cornell University Press (2019).
- Weatherbed, Simon and Lewer, Nick. *Transforming Conflict and Building Peace: Training of Trainers Manual*. Community Appraisal and Motivation Programme (CAMP) and Saferworld (2014).
- Webel, Charles and Galtung, Johan (editors). *Handbook of Peace and Conflict Studies*. Routledge (2009).
- Weeks, Dudley. *The Eight Essential Steps to Conflict Resolution: Preserving Relationships at Work, at Home, and in the Community*. TarcherPerigee (1994).
- Williams, Sue and Williams, Steve. *Being in the Middle by Being at the Edge: Quaker Experience on Non-Official Political Mediation*. William Sessions (1994).
- Wilson, Keith R. *The Road to Reconciliation: A Comprehensive Guide to Peace When Relationships Go Bad*. CreateSpace Independent Publishing Platform (2018).
- Wolfe, Alvin W. and Yang, Honggang (editors). *Anthropological Contributions to Conflict Resolution*. University of Georgia Press (1996).
- Woodhouse, Tom (editor). *Peacemaking in a Troubled World*. Berg Publications (1991).

## مراجع مختارة

- Woodhouse, Tom; Miall, Hugh; Ramsbotham, Oliver and Mitchell, Christopher (editors). The Contemporary Conflict Resolution Reader. Polity Press (2015).
- Worthington, Everett. Forgiveness and Reconciliation: Theory and Application. Routledge (2006).
- Wright, Quincy. A Study of War. University of Chicago Press (1942).
- Yarrow, C. H. Mike. Quaker Experiences in International Conciliation. Yale University Press (1978).
- Zartman, I. William. Peacemaking and International Conflict: Methods & Techniques. United States Institute of Peace Press (2007).
- Zartman, I. William and De Soto, Alvaro. Timing Mediation Initiatives. United States Institute of Peace Press (2012).
- Zinn, Howard. The Power of Nonviolence: Writings by Advocates of Peace. Beacon Press (2002).

## باللغة العربية

- أبو النمر، محمد. اللاعنف وصنع السلام في الإسلام. ترجمة لميس اليحيى. تحقيق عماد عمر. الأهلية للنشر والتوزيع، عمان (2007).
- الخزندار، سامي إبراهيم. إدارة الصراعات وفض المنازعات: إطار نظري. الدار العربية للعلوم ناشرون ومركز الجزيرة للدراسات (2014).
- الهسنياني، دحام إبراهيم محمد. منهج الإسلام في الإصلاح بين الناس. دار الأصاله (2021).
- سليكيو، كارل أ. عندما يحتدم الصراع: دليل عملي لاستخدام الوساطة في حل النزاعات. ترجمة علا عبد المنعم. مراجعة فائزة حكيم. الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة (1999).



## مدخل إلى ترشيده الخلاف

- الشورطي، يزيد عيسى. حلّ النزاعات في التربية العربية. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (2015).
- طه عابدين، طه محمد. الصلح في ضوء القرآن الكريم. مجلة الجامعة الإسلامية (2009).
- القرضاوي، يوسف. فقه الجهاد. مكتبة وهبة - القاهرة (2010).
- عبد الله، عمرو خيرى؛ عامر، فدوى؛ ياسين، عمّار؛ ماهر، باسم؛ زكريّا، آية. دليل المصطلحات العربية في دراسات السلام وحلّ النزاعات: المفاهيم الأساسية لحلّ النزاعات وبناء السلام في العالم العربي. جمعية الأمل العراقية (2018).
- عروة، عباس. عمل الخير: مقارنة شاملة للأمن البشري. معهد قرطبة للسلام بجنيف (2012).
- عريقات، صائب. الحياة ومفاوضات. جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين (2008).
- عريقات، صائب. عناصر التفاوض بين علي وروجر فيشر. المعهد الدبلوماسي، وزارة الخارجية القطرية (2013).
- لينش، جاك وغالتونغ، يوهان. التغطية الإعلامية للنزاعات: التوجهات الجديدة لإعلام السلام. ترجمة رشيد زيانى-شريف. معهد قرطبة للسلام بجنيف (2010).
- مور، كريستوفر و. عمليّة الوساطة: استراتيجيات عملية لحلّ النزاعات. ترجمة فؤاد سروجي. مراجعة وتدقيق عماد عمر. الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان (2007).
- وجيه، حسن محمد. مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي و السياسي. عالم المعرفة، العدد 190 (1994).
- نادين بلوك وليزا شيرش. تحقيق التضافر بين التحرك غير العنيف وبناء السلام: دليل عمل. مطبعة معهد الولايات المتحدة للسلام (2018).

# الإحالات

## المقدّمة

<sup>1</sup> Abbas Aroua. *The Quest of Peace in the Islamic Tradition*. Foreword by Prof. Johan Galtung. Kolofon, Oslo 2013. ISBN: 978-82-300-0726-6. Available online at: <http://www.cpi-geneva.org/images/pdf/Books/Q4P.pdf>

<sup>2</sup> عباس عروة. عمل الخير: مقارنة شاملة للأمن البشري. مؤسسة قرطبة بجنيف ومعهد الهوفار. جنيف 2011. ردمك 0-28-940130-2. متوفّر على الرابط: <https://bit.ly/2ymx2Wp>

<sup>3</sup> (1) A propos des « Visages de Mahomet ». Abbas Aroua. *Le Temps* du 3 février 2006. (2) *The Clash of Civilizations: A Conflictology Perspective*. Abbas Aroua. First Forum of Aljazeera Center for Studies on Islam and the West: For a Better World. Doha, 26-28 May 2006. (3) *Le minaret en Suisse : générateur de tension ou source de lumière ?* Abbas Aroua. Fondation Cordoue de Genève. 7 mai 2007. (4) *Das Minarett in der Schweiz : Konflikterzeuger oder Lichtquelle ? – Le minaret en Suisse : générateur de tension ou source de lumière ?* Abbas Aroua. In *Débats autour des Minarets : Entre provocation et confusion – Minarett-Initiative : Von der Provokation zum Irrtum*, ouvrage collectif sous la direction d'Andreas Gross, Fredi Krebs et Martin Stohler. Edition le Doubs. Novembre 2009. (5) *Conflicts in/involving the Arab World: Does religion matter?* Abbas Aroua. Workshop on Transforming Conflicts with Religious Dimensions: Methodologies and Practical Experiences. Zurich. 27-28 April 2009. (6) *Spannungen um den Islam in Dänemark, den Niederlanden und der Schweiz: konstruktiver Umgang dank mediativer Ansätze?* Simon J. A. Mason, Abbas Aroua, Annika Åberg. Bulletin 2010 zur schweizerischen Sicherheitspolitik. Herausgeber: Andreas Wenger, Victor Mauer und Daniel Trachsler. Center for Security Studies, ETH Zürich (2010). (7) *Mediating*

Tensions over Islam in Denmark, Holland, and Switzerland. Simon J A Mason, Abbas Aroua, Annika Åberg. Center for Security Studies, ETH Zurich and Cordoba Foundation, Geneva (2010). (8) Transforming Conflicts with Religious Dimensions: Methodologies and Practical Experiences. Abbas Aroua, Hagen Berndt, Jean-Nicolas Bitter, Marc Gopin, Azhar Hussain, Moncef Kartas, Michelle LeBaron, Simon J. A. Mason, and David Smock. Zurich 27-28 April 2009. Editors: Simon J. A. Mason and Moncef Kartas. Center on Conflict, Development and Peacebuilding (CCDP) at the Graduate Institute of International and Development Studies in Geneva; Center for Security Studies (CSS) at the Swiss Federal Institute of Technology (ETH) in Zurich; and the Swiss Federal Department of Foreign Affairs (FDFA). (9) From Conflict to Peace. Abbas Aroua. Contribution to the Workshop on "Peaceful Conflict Transformation and Democratic Transition". Doha 29 May – 3 June 2010. (10) Islamic theory of peace and conflict transformation. Abbas Aroua. MAS course. World Peace Academy / Basel University (2010-2012). (11) The work of goodness: a comprehensive approach to human security (in Arabic). Abbas Aroua. Cordoba Foundation of Geneva / Hoggar Institute 2011, ISBN 2-940130-28-0. (12) The meaning of work in the Islamic tradition. Abbas Aroua. Contribution to the Interreligious Seminar on Decent Work, International Labour Office, Geneva, 27-29 April 2011. (13) Muslim presence in Europe and the challenges it poses to the concept of "European identity": Switzerland as a case study (in Arabic). Abbas Aroua. Tawasul Journal No. 20. Rabat 2011. (14) Transforming Religious-Political Conflicts: Decoding-Recoding Positions and Goals. Abbas Aroua. In *Politorbis – Journal of Foreign Policy*. No. 52, 2/11, Religion in Conflict Transformation. Edited by Simon J. A. Mason and Damiano A. Sguaitamatti. Swiss Federal Department of Foreign Affairs, Bern, 2011. (15) The Arab Revolutions: Causes, Challenges and Hopes. Abbas Aroua. Wednesday Seminar, World Peace Academy. Basel, 13 April 2011. (16) Non-Violence is the Response to Hate Cartoons. Abbas Aroua. Cordoba Foundation

of Geneva. 24 September 2012. (17) The Muslim Diaspora in Europe and the USA. Johan Galtung with contributions from Abbas Aroua, Erika Degortes, Dietrich Fischer, Naakow Grant Hayford and Karoline. Transcend / Cordoba Foundation of Geneva. September 2012. (18) Proposal for a national body in charge of reconciliation in Libya. Abbas Aroua. Cordoba Foundation of Geneva. Tripoli 29, February 2012 & Benghazi, 10-11 June 2012. (19) The “Arab Spring” after a few seasons. Abbas Aroua. Wednesday Seminar. World Peace Academy. Basel, 16 May 2012. (20) La révolte d'octobre 1988 : un “automne” arabe prématuré ? Abbas Aroua. Bruxelles, 5 octobre 2012. (21) Charter of the Work of Goodness. Abbas Aroua. Cordoba Foundation of Geneva. July 2015. (22) The Salafiscape in the wake of the ‘Arab spring’. Cordoba Foundation of Geneva. October 2017. (23) Sufism, Politics and Violence. Abbas Aroua. Abbas Aroua. Cordoba Foundation of Geneva. September 2017. (24) Addressing Extremism and Violence: The Importance of Terminology. Abbas Aroua. Cordoba Foundation of Geneva. January 2018. (25) Observations on National Dialogue in Algeria. Cordoba Foundation of Geneva. July 2019. (26) After more than seven months, the harak in Algeria holds firm. Abbas Aroua. Cordoba Foundation of Geneva. September 2019. (27) Four Criteria for Differentiating Religious Entities. Abbas Aroua. Cordoba Peace Institute – Geneva. January 2020. (28) Importance of the “Practice-Research-Training” nexus in Peacebuilding. Abbas Aroua. Cordoba Peace Institute – Geneva. June 2020. (29) The Muslim Religious Community and the Global War on COVID-19. Abbas Aroua. Cordoba Peace Institute – Geneva. March 2020. (30) Dépolarisation idéologique en Afrique du Nord. Abbas Aroua. Cordoba Peace Institute – Geneva. Janvier 2021. (31) The Role of Value Systems in Conflict Resolution. Abbas Aroua, Jean-Nicolas Bitter, Simon J. A. Mason. CSS Policy Perspectives, Vol. 9/9, November 2021. Center for Security Studies (CSS), ETH Zürich.

## الفصل الأول

<sup>1</sup> المائدة، 28.

<sup>2</sup> Peace Mathematics: Mathematics of, by, and for Peace. Johan Galtung and Dietrich Fischer. Transcend University Press (2012).

<sup>3</sup> Matsuura, Koichiro. (2008) 'Foreword'. In: J.S. Page Peace Education: Exploring Ethical and Philosophical Foundations. Charlotte: Information Age Publishing. p.xix.

<sup>4</sup> [https://en.wikipedia.org/wiki/UNESCO\\_Prize\\_for\\_Peace\\_Education](https://en.wikipedia.org/wiki/UNESCO_Prize_for_Peace_Education)

<sup>5</sup> SABONA: Searching for the Good Solutions - Learning Solving Conflicts by. by Åse Marie Faldalen, Synøve Faldalen, Vigdis R. Faldalen Thyholdt, Lars Thyholdt, Preface by Johan Galtung, Illustrations by Melvaer & Lien Idea Entrepreneurs. Transcend University Press (2011).

<sup>6</sup> Ekaterina Trunova. Learning conflict resolution at school: the Sabona approach. Master's thesis in Peace and Conflict transformation. Faculty of Humanities, Social sciences and Education. University of Tromsø. November 2011. Available online at: [www.transcend.org/tms/wp-content/uploads/2015/10/sabona-I-see-you.pdf](http://www.transcend.org/tms/wp-content/uploads/2015/10/sabona-I-see-you.pdf)

<sup>7</sup> [www.transcend.org/](http://www.transcend.org/)

<sup>8</sup> <https://arigatouinternational.org/en/what-we-do/ethics-education>

<sup>9</sup> [www.grainesdepaix.org](http://www.grainesdepaix.org)

<sup>10</sup> [www.peace-education.org.uk](http://www.peace-education.org.uk)

<sup>11</sup> [www.peace-ed-campaign.org](http://www.peace-ed-campaign.org)

## الإحالات

<sup>12</sup> الشورطي، يزيد عيسى. حلّ النزاعات في التربية العربية. مركز دراسات الوحدة العربية (2015).

<sup>13</sup> عبد الله، عمرو خيرى؛ عامر، فدوى؛ ياسين، عمّار؛ ماهر، باسم؛ زكريّا، آية. دليل المصطلحات العربية في دراسات السلام وحلّ النزاعات: المفاهيم الأساسية لحلّ النزاعات وبناء السلام في العالم العربي. جمعية الأمل العراقية (2018).

<sup>14</sup> المصدر السابق.

<sup>15</sup> <http://ncpo.org.uk>

<sup>16</sup> <https://kroc.nd.edu/ph-d/theology-peace-studies>

<sup>17</sup> <https://www.ambs.edu/academics/ma-peace-studies>

<sup>18</sup> <https://www.ukdw.ac.id/en/academic/faculty-of-theology/master-of-conflict-and-peace-studies>

<sup>19</sup> <http://www.teol.uu.se/admissions/rpc>

<sup>20</sup> <https://masters.vu.nl/en/programmes/theology-religious-studies-peace-trauma-religion/index.aspx>

<sup>21</sup> <http://www.tcd.ie/courses/postgraduate/research/schools/religions-theology-ecumenics%20old.php>

## الفصل الثاني

<sup>1</sup> سورة البقرة: 208.

<sup>2</sup> سورة الحشر: 23.

<sup>3</sup> سورة يونس: 25.

## مدخل إلى ترشييد الخلاف

<sup>4</sup> عمر بن عيسى، اتصال شخصي، مارس 2013.

<sup>5</sup> Sheherazade Jafari and Abdul Aziz Said. *Islam and Peacemaking*. In *Peacemaking from Practice to Theory*. Susan Allen Nan, Zachariah Cherman Mampilly, and Andrea Bartoli (editors). Praeger 2012.

<sup>6</sup> سورة البلد: 17.

<sup>7</sup> سورة النحل: 90.

<sup>8</sup> سورة البقرة: 42.

<sup>9</sup> سورة الإسراء: 70.

<sup>10</sup> سورة قريش: 3-4.

<sup>11</sup> <https://www.ohchr.org/ar/ProfessionalInterest/Pages/RightOfPeoplesToPeace.aspx>

<sup>12</sup> رواه مسلم.

<sup>13</sup> رواه مسلم.

<sup>14</sup> سورة الفرقان: 63.

<sup>15</sup> سورة الأحزاب: 44.

<sup>16</sup> سورة يس: 58.

<sup>17</sup> سورة الأنعام: 127.

<sup>18</sup> سورة الرعد: 23-24.

<sup>19</sup> سورة مريم: 61-62.

<sup>20</sup> سورة الواقعة: 25-26.

## الإحالات

- <sup>21</sup> رواه البخاري ومسلم.
- <sup>22</sup> رواه ابن ماجة.
- <sup>23</sup> سورة البقرة: 216.
- <sup>24</sup> سورة البقرة: 256.
- <sup>25</sup> سورة الكهف: 29.
- <sup>26</sup> سورة الحج: 39-40.
- <sup>27</sup> سورة البقرة: 190-194.
- <sup>28</sup> سورة النساء: 56 و 89؛ سورة الأنفال: 39 و 60؛ سورة محمد: 4.
- <sup>29</sup> سورة الأنفال: 61-62.
- <sup>30</sup> سورة البقرة: 224.
- <sup>31</sup> سورة النساء: 114.
- <sup>32</sup> سورة النساء: 128.
- <sup>33</sup> سورة الحجرات: 9.
- <sup>34</sup> سورة الأنفال: 1.
- <sup>35</sup> أنظر د. دحام إبراهيم محمد الهسنياني، "منهج الإسلام في الإصلاح بين الناس" (دار الأصاله، 2021)، مبحث "تولي النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لأمر الصلح بنفسه".
- <sup>36</sup> رواه البخاري.
- <sup>37</sup> رواه أحمد والترمذي وابن حبان.
- <sup>38</sup> رواه البخاري ومسلم.



## مدخل إلى ترشيده الخلاف

<sup>39</sup> رواه البيهقي.

<sup>40</sup> رواه البيهقي.

<sup>41</sup> رواه البيهقي.

<sup>42</sup> رواه البزار.

<sup>43</sup> رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والبيهقي.

<sup>44</sup> رواه البيهقي وعبد الرزاق. أنظر أيضاً الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

<sup>45</sup> رواه الكليبي في أصول الكافي.

<sup>46</sup> الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.

<sup>47</sup> الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.

<sup>48</sup> الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.

<sup>49</sup> Multi-Track Diplomacy: A Systems Approach to Peace. By Louise Diamond and John N. McDonald. Kumarian Press (1996).

<sup>50</sup> Bettye Pruitt and Philip Thomas. Democratic Dialogue – A Handbook for Practitioners. General Secretariat of the Organization of American States, International Institute for Democracy and Electoral Assistance, United Nations Development Programme (2007). Available online at: <https://bit.ly/3Bcn2KW>

<sup>51</sup> سورة التوبة: 60.

<sup>52</sup> رواه مسلم.

### الفصل الثالث

<sup>1</sup> سورة الحجرات: 9.

<sup>2</sup> سورة البقرة: 191.

<sup>3</sup> رواه البخاري ومسلم.

<sup>4</sup> Abu-Nimer. Conflict Resolution in an Islamic Context (1996).

<sup>5</sup> سورة الأنفال: 46.

<sup>6</sup> سورة البقرة: 251.

<sup>7</sup> سورة الحج: 39-40.

<sup>8</sup> سورة المؤمنون: 96.

<sup>9</sup> سورة فضلت: 34.

<sup>10</sup> World Health Organization. Global Consultation on Violence and Health. Violence: a public health priority. Geneva, WHO, document WHO/EHA/SPI.POA.2 (1996).

<sup>11</sup> World Health Organization. World report on violence and health. Edited by Etienne G. Krug, Linda L. Dahlberg, James A. Mercy, Anthony B. Zwi and Rafael Lozano. Geneva, WHO (2002).

<sup>12</sup> <http://www.who.int/violenceprevention/approach/definition/en/>

<sup>13</sup> Simon Fisher, Jawed Ludin, Smith Richard, Sue Williams, Steven Williams, Dekha Ibrahim Abdi. Working with Conflict: Skills and Strategies for Action. Zed Books & Responding to Conflict. London & Birmingham (2000).

<sup>14</sup> Johan Galtung. Violence, Peace and Peace Research. Journal of Peace

Research. vol. 6, no. 3, pp. 167-191 (1969).

<sup>15</sup> Johan Galtung. Cultural Violence. Journal of Peace Research. vol. 27, no. 3, pp. 291-305 (1990).

<sup>16</sup> United Nations. Resolution 3070 (XXVIII) adopted by the General Assembly. Importance of the universal realization of the right of peoples to self-determination and of the speedy granting of independence to colonial countries and peoples for the effective guarantee and observance of human rights. 28th Session of the UNGA. 2185th plenary meeting. New York 30 November 1973.

<sup>17</sup> Johan Galtung. *Theory of Conflict* (2010) and *Theory of Peace* (2012). Transcend University Press.

## الفصل الرابع

<sup>1</sup> Simon Fisher, Dekha Ibrahim Abdi, Jawed Ludin, Richard Smith, Steve Williams, Sue Williams. Working with conflict: Skills and Strategies for Action. Zed Books and Responding to Conflict. 2000.

<sup>2</sup> Simon Mason and Sandra Rychard. Conflict Analysis Tools. Swiss Agency for Development and Cooperation & Conflict Prevention and Transformation Division 2005. Available online at: [https://css.ethz.ch/en/center/people/mason-simon-all-publications/details.html?id=/c/o/n/f/conflict\\_analysis\\_tools\\_](https://css.ethz.ch/en/center/people/mason-simon-all-publications/details.html?id=/c/o/n/f/conflict_analysis_tools_)

<sup>3</sup> Åse Marie Faldalen, Synøve Faldalen, Vigdis R. Faldalen Thyholdt, Lars Thyholdt. Sabona: Searching for the Good Solutions – Learning Solving Conflictsby. Preface by Johan Galtung, Illustrations by Melvaer & Lien Idea Entrepreneurs. Transcend University Press (2011).

<sup>4</sup> Johan Galtung. Theories of Conflict by Johan Galtung, Columbia University

## الإحالات

(1958). Available online at: <https://bit.ly/3FMFWJU>

<sup>5</sup> Ekaterina Trunova. Learning conflict resolution at school: the Sabona approach. Master's thesis in Peace and Conflict transformation. Faculty of Humanities, Social sciences and Education. University of Tromsø. November 2011. Available online at: [www.transcend.org/tms/wp-content/uploads/2015/10/sabona-I-see-you.pdf](http://www.transcend.org/tms/wp-content/uploads/2015/10/sabona-I-see-you.pdf)

<sup>6</sup> Synøve Faldalen. *From Conflict to Dignity – Sabona*. In Experiments with Peace: Celebrating Peace on Johan Galtung's 80th Birthday, by Jorgen Johansen and John Y. Jones (Editors). Pambazuka Press (2011).

## الفصل الخامس

<sup>1</sup> Anna Matveeva. Early Warning and Early Response: Conceptual and Empirical Dilemmas. The Global Partnership for the Prevention of Armed Conflict – European Centre for Conflict Prevention (2006). Available online at: <https://bit.ly/3z2L60I>

<sup>2</sup> Oliver Walton. Early Warning Indicators of violent conflict. Governance and Social Revelopment Resource Centre. (2011). Available online at: <https://bit.ly/36F7MYL>

<sup>3</sup> Kumar Rupesinghe. FCE Citizen-based Early Warning and Early Response System: A New Tool for Civil Society to Prevent Violent Conflict. Foundation for Co-Existence, Colombo (2009). Available online at: <https://bit.ly/2USUVj8>

<sup>4</sup> Steven Leach. Preventing Violence: Community-based Approaches to Early Warning and Early Response. CSS Mediation Resources. Center for Security Studies (CSS), ETH Zurich (2016). Available online at: <https://bit.ly/3wKjLPt>

## الفصل السادس

<sup>1</sup> Simon Fisher, Dekha Ibrahim Abdi, Jawed Ludin, Richard Smith, Steve Williams, Sue Williams. Working with conflict: Skills and Strategies for Action. Zed Books and Responding to Conflict. 2000.

<sup>2</sup> Johan Galtung. Transcend and Transform: An Introduction to Conflict Work. Pluto Press. London 2004.

<sup>3</sup> Christopher W. Moore. *The Mediation Process*, Jossey-Bass (2003).

<sup>4</sup> رواه البيهقي وعبد الرزاق. أنظر أيضًا الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

<sup>5</sup> سورة الحجرات: 9.

## الفصل السابع

<sup>1</sup> Roger Fisher and William Ury. Bruce Patton (editor). Getting to Yes: Negotiating Agreement Without Giving In. Random House Business Books (1991). Available online at: [https://www.fd.unl.pt/docentes\\_docs/ma/AGON\\_MA\\_25849.pdf](https://www.fd.unl.pt/docentes_docs/ma/AGON_MA_25849.pdf)

<sup>2</sup> Thomas Henschel (Academy of Mediation in Berlin). 'The Harvard Approach' and how to get a Yes in every negotiation. Erich Pommer Institut. Available online at: <https://www.youtube.com/watch?v=RfTAlFEeKKE>

<sup>3</sup> سورة النساء: 35.

<sup>4</sup> Lakhdar Brahimi and Salman Ahmed. In Pursuit of Sustainable Peace: The Seven Deadly Sins of Mediation. Center on International Cooperation. New

York University. New York (2008). Available online at:

[https://peacemaker.un.org/sites/peacemaker.un.org/files/SevenDeadlySinsofMediation\\_BrahimiAhmed2008.pdf](https://peacemaker.un.org/sites/peacemaker.un.org/files/SevenDeadlySinsofMediation_BrahimiAhmed2008.pdf)

<sup>5</sup> Clem McCartney, Dilemmas of third-party involvement in peace processes. Conciliation Resources (2006). Available online at: <https://www.c-r.org/resource/dilemmas-third-party-involvement-peace-processes-reflections-practice-and-policy-colombia>

Simon J A Mason. Insider Mediators: Exploring Their Key Role in Informal Peace Processes. Berghof Foundation for Peace Support, Swiss Peace Foundation, Center for Security Studies - ETH Zurich (2009). Available online at: [https://www.berghof-foundation.org/fileadmin/redaktion/Publications/Other\\_Resources/MED\\_Insider\\_Mediators.pdf](https://www.berghof-foundation.org/fileadmin/redaktion/Publications/Other_Resources/MED_Insider_Mediators.pdf)

باللغة العربية:

[https://www.berghof-foundation.org/fileadmin/redaktion/Publications/Other\\_Resources/Insider\\_Mediators\\_Arabic.pdf](https://www.berghof-foundation.org/fileadmin/redaktion/Publications/Other_Resources/Insider_Mediators_Arabic.pdf)

<sup>6</sup> Religion and Mediation Course Guide. Owen Frazer (ed.) CSS Mediation Resources. Program on Culture and Religion in Mediation (CARIM), Center for Security Studies (CSS). Swiss Federal Institute of Technology, ETH Zurich (2021).

<sup>7</sup> Leon Hartwell. Conflict Resolution: Lessons from the Dayton Peace Process. Negotiation Journal, October 2019. <https://onlinelibrary.wiley.com/doi/full/10.1111/nej.12300>

<sup>8</sup> Gregory Elich. How the Nobel Peace Prize Was Won. Counterpunch. 14 October 2008. <https://www.counterpunch.org/2008/10/14/how-the-nobel-peace-prize-was-won/>

<sup>9</sup> سورة النساء: 35.

<sup>10</sup> Simon J. A. Mason and Sabrin Kassam. Bridging Worlds: Culturally Balanced Co-Mediation. In Religion in Conflict Transformation. Simon J A Mason and Damiano A. Sguaitamatti (eds). Revue de politique étrangère, Politorbis 52. Swiss FDFA and Center for Security Studies, ETH Zurich (2011). Available online at:

[https://www.eda.admin.ch/content/dam/eda/mehrsprachig/documents/publications/Politorbis/politorbis-52\\_EN.pdf](https://www.eda.admin.ch/content/dam/eda/mehrsprachig/documents/publications/Politorbis/politorbis-52_EN.pdf)

<sup>11</sup> John Paul Lederach, Building Peace: Sustainable Reconciliation in Divided Societies (Washington, DC: United States Institute of Peace Press, 1998).

Bitter, Jean-Nicolas. "Mediation Space and Diapraxis." In Conflict Transformation in Practice, edited by Owen Frazer and Lakhdar Ghattas. Switzerland: Cordoba Now Forum, 2013.

[http://www.css.ethz.ch/content/dam/ethz/special-interest/gess/cis/center-for-security-studies/pdfs/Conflict\\_Transformation\\_in\\_Practice\\_2013.pdf](http://www.css.ethz.ch/content/dam/ethz/special-interest/gess/cis/center-for-security-studies/pdfs/Conflict_Transformation_in_Practice_2013.pdf).

Bitter, Jean-Nicolas. "Diapraxis in Different Contexts. A Brief Discussion with Rasmussen," 2011.

<http://www.css.ethz.ch/content/dam/ethz/special-interest/gess/cis/center-for-security-studies/pdfs/Politorbis-52.pdf>.

Mediation Space: Addressing Obstacles Stemming from Worldview Differences to Regain Negotiation Flexibility. Jean-Nicolas Bitter, Simon J.A. Mason,

Emanuel Schaeublin, Angela Ullman. CSS Mediation Resources. Center for Security Studies (CSS). Swiss Federal Institute of Technology, ETH Zurich (2022). Available online at: <https://bit.ly/3fRs89D>

<sup>12</sup> Jean-Nicolas Bitter, Transforming Conflicts with Religious Dimensions: Using the Cultural-Linguistic Model. In Religion in Conflict Transformation. Simon J A Mason and Damiano A. Sguaitamatti (eds). Revue de politique étrangère, Politorbis 52. Swiss FDFA and Center for Security Studies, ETH Zurich (2011). Available online at:

[https://www.eda.admin.ch/content/dam/eda/mehrsprachig/documents/publications/Politorbis/politorbis-52\\_EN.pdf](https://www.eda.admin.ch/content/dam/eda/mehrsprachig/documents/publications/Politorbis/politorbis-52_EN.pdf)

<sup>13</sup> Owen Frazer and Lakhdar Ghetta. Approaches to Conflict Transformation. The Cordoba Now Forum. Cordoba Foundation of Geneva and Centre for Security Studies (2013).

<sup>14</sup> Religion and Mediation Course Guide. Owen Frazer (ed.) CSS Mediation Resources. Program on Culture and Religion in Mediation (CARIM), Center for Security Studies (CSS). Swiss Federal Institute of Technology, ETH Zurich (2021).

<sup>15</sup> جون نيكولا بيتر. اتصال خاص. 23 ديسمبر 2020.

<sup>16</sup> <https://www.chathamhouse.org/about-us/chatham-house-rule>

<sup>17</sup> Anaël Jambers. Mediating the Space: Women and Religion in Morocco. Cordoba Research Papers Series. Cordoba Peace Institute – Geneva (2020). Available online at:

<https://www.cpi-geneva.org/en/publications-mega/research-papers/891-mediating-the-space-women-and-religion-in-morocco>



## مدخل إلى ترشيده الخلاف

<sup>18</sup> خلاصة نقاشات الخبراء: نحو فضاء للتواصل والعمل المشترك: تفاعل الدين والسياسة في الشأن العام – تعزيز التعايش السلمي بين الفاعلين السياسيين ذوي الرؤى الكونية المختلفة. مؤسسة قرطبة بجنيف (2019).

<http://www.cpi-geneva.org/en/activities-mega/ongoing-programmes/north-africa/regional/621-experts-conclusions-memorandum-towards-a-common-action-space-ar>

<sup>19</sup> <http://www.cpi-geneva.org/en/activities-mega/ongoing-programmes/north-africa/regional/620-towards-a-common-space-for-interaction-and-joint-action-ar>

## الفصل الثامن

<sup>1</sup> Santa Barbara, Joanna; Galtung, Johan and Perlman, Diane. Reconciliation: Clearing the Past, Building a Future. Transcend University Press (2012).

<sup>2</sup> Johan Galtung. An Editorial. *Journal of Peace Research* 1(1):1-4 (1964).

<sup>3</sup> سورة البقرة: 42.

<sup>4</sup> سورة آل عمران: 71.

<sup>5</sup> سورة الذاريات: 55.

<sup>6</sup> سورة الأعلى: 9.

<sup>7</sup> سورة الزمر: 9 وسورة الرعد: 19. أنظر أيضًا سورة البقرة: 269 وسورة آل عمران: 7، وسورة إبراهيم: 52، وسورة ص: 29.

<sup>8</sup> سورة يوسف: 111.

<sup>9</sup> سورة الكهف: 13.

<sup>10</sup> سورة النساء: 135.

## الإحالات

- <sup>11</sup> سورة المائدة: 8.
- <sup>12</sup> سورة الحجرات: 9.
- <sup>13</sup> إنجيل لوقا: 34:23.
- <sup>14</sup> سورة البقرة: 109.
- <sup>15</sup> سورة آل عمران: 133-134.
- <sup>16</sup> سورة النور: 22.
- <sup>17</sup> سورة التغاين: 14.
- <sup>18</sup> سورة النساء: 149.
- <sup>19</sup> سورة الشورى: 40.
- <sup>20</sup> سورة المائدة: 45.
- <sup>21</sup> سورة الإسراء: 133.
- <sup>22</sup> سورة البقرة: 178.
- <sup>23</sup> إقامة العدل وتأمين حقوق الإنسان للمحتجزين: مسألة إفلات مرتكبي انتهاكات حقوق الإنسان (المدنية والسياسية) من العقاب. تقرير أعدّه ل. جوانيه. لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة (مجلس حقوق الإنسان حالياً)، جنيف 1996. متوقّف على الرابط: <https://bit.ly/3riYA6a>

<sup>24</sup> Dealing with the Past in Peace Mediation. Peace Mediation Essentials. Mediation Support Project. swisspeace / Center for Security Studies ETH Zurich (2009). Available online at: <https://bit.ly/3ksMndA>

## الفصل التاسع

<sup>1</sup> عبد الفتاح ماضي. عمليات الحوار بعد انتخابات 2011 العربية. معهد قرطبة للسلام – جنيف (2016).  
متوقّر على الرابط: <https://bit.ly/3B9u2bh>

<sup>2</sup> Thania Paffenholz, Anne Zachariassen, and Cindy Helfer. What Makes or Breaks National Dialogues? Inclusive Peace & Transition Initiative. The Graduate Institute of International and Development Studies. Geneva, October 2017. Available online at: <https://bit.ly/2UR0zT6>

## الفصل العاشر

<sup>1</sup> عباس عروة. تجاوز التجاذبات الأيديولوجية في الجزائر: ضرورة ملحة لبناء دولة القانون. الهفار. جنيف،  
يناير 2021.

[https://hoggar.org/wp-content/uploads/2021/01/Depolarisation\\_Ar.pdf](https://hoggar.org/wp-content/uploads/2021/01/Depolarisation_Ar.pdf)

<sup>2</sup> مدونة حركة كفاية (<https://bit.ly/3fooEqk>).

<sup>3</sup> المعطي منجب والأخضر غطاس. تقرير ورشة عمل حول المساهمة في التخفيف من العنف في الأوساط  
الجامعية المغربية. إسطنبول، 18-19 مارس 2017. معهد قرطبة للسلام بجنيف.  
(<https://bit.ly/2L245oM>).

<sup>4</sup> Arrestation du Professeur Maati Monjib. Maghreb Online. 30 décembre 2020.

<http://moroccomail.fr/2020/12/30/maroc-arrestation-du-professeur-maati-monjib/>

Maroc : Trois ans de harcèlement à l'encontre de Maâti Monjib et de six défenseurs des droits humains. Fédération internationale pour les droits humains. 3 avril 2018.

## الإحالات

<https://www.fidh.org/fr/themes/defenseurs-des-droits-humains/maroc-trois-ans-de-harcelement-a-l-encontre-de-maati-monjib-et-de-six>

<sup>5</sup> مواجّهات وحوارات بين الإسلاميين والعلانيين بالمغرب. إشراف وإعداد المعطي منجب. دفاتر وحمّة نظر. مركز ابن رشد للدراسات والتواصل – إيكفي IKV. الرباط – أمستردام 2008.

<sup>6</sup> وثائق هيئة 18 أكتوبر للحقوق والحريات بتونس (<https://bit.ly/36NndOy>)

<sup>7</sup> جون نيكولا بيتر. اتصال خاص. 23 ديسمبر 2020.

<sup>8</sup> نفس المصدر.

<sup>9</sup> Jacques Bidet. Islamisme et laïcisme. *Mediapart*. 30 octobre 2020. <https://bit.ly/38QVFud>

<sup>10</sup> أنظر جون نيكولا بيتر. العلمانية واللائكية في السياسة الدولية. منشورات معهد قرطبة للسلام بجنيف. أبريل 2015 (<https://bit.ly/39s9cc3>).

<sup>11</sup> تفاعل الدين والسياسة في الشأن العام. تعزيز التعايش السلمي بين الفاعلين السياسيين ذوي الرؤى الكونية المختلفة. اسطنبول، 17 مارس 2017. مؤسسة قرطبة بجنيف. (<https://bit.ly/34VkJ0d>).

<sup>12</sup> John Rawls. *A Theory of Justice*. Harvard University Press (1971) and *Political Liberalism*. Columbia University Press (1993).

<sup>13</sup> W. Christopher Stewart, Chris Seiple, Dennis R. Hoover. Covenantal pluralism: Toward a world of peaceable neighborhoods. In *The Routledge Handbook of Religious Literacy, Pluralism, and Global Engagement*. Routledge, London (2021).

<sup>14</sup> سورة الأحزاب: 13.

<sup>15</sup> سورة التوبة: 120.

<sup>16</sup> Muhammad Hamidullah. *The First Written Constitution in the World: An*

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

Important Document of the Time of the Holy Prophet. Lahore, Pakistan: Ashraf Printing Press (1975).

Kassim Ahmad. A Short Note on the Medina Charter. (Undated)

Yetkin Yildirim. Peace and Conflict Resolution in the Medina Charter. Peace Review: A Journal of Social Justice, 18:109–117 (2006).

Haza Hanurhaza Md Jani, Nor Zalina Harun, Mazlina Mansor, Ismawi Zen A Review on the Medina Charter in Response to the Heterogeneous Society in Malaysia. Procedia Environmental Sciences. Volume 28, Pages 92-99 (2015).

حاكم المطيري. صحيفة المدينة بين الاتصال والإرسال. دراسة حديثة (2011).

أحمد قائد الشعبي. وثيقة المدينة المضمون والدلالة. كتاب الأمة الإصدار (العدد 110). تاريخ النشر: ذو القعدة 1426 هـ - كانون أول (ديسمبر) 2005 - كانون ثاني (يناير) 2006 م.

<sup>17</sup> محمود شريف بسيوني، الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان، المجلد الثاني، دار الشروق، القاهرة، 2003.

<http://hrlibrary.umn.edu/arab/IS-1.html>

## الفصل الحادي عشر

<sup>1</sup> من تصدير كتاب "السعي إلى السلام في الإسلام" باللغة الإنجليزية، من تأليف عباس عروة (Abbas Aroua). The Quest for Peace in the Islamic Tradition. Kolofon. Oslo 2013.

<sup>2</sup> The Politics of Nonviolent Action. Porter Sargent (1973). From Dictatorship to Democracy: A conceptual framework for liberation. The Albert Einstein Institution (1994). Social Power and Political Freedom. Porter Sargent (1980). Waging Nonviolent Struggle: 20th Century Practice and 21st Century Potential, avec Joshua Paulson. Extending Horizons Books (2005). Self-Liberation: A Guide to Strategic Planning for Action to End a Dictatorship or Other

## الإحالات

Oppression, avec l'assistance de Jamila Raqib. The Albert Einstein Institution (2009). Sharp's Dictionary of Power and Struggle. Oxford University Press (2011).

<sup>3</sup> سورة الأنفال: 46.

<sup>4</sup> سورة البقرة: 251.

<sup>5</sup> سورة الحج: 39-40.

<sup>6</sup> سورة المؤمنون: 96.

<sup>7</sup> سورة فصلت: 34.

<sup>8</sup> سورة الرعد: 11.

<sup>9</sup> منقول عن مصطفى براهمي، محادثة خاصة 1995.

<sup>10</sup> منقول عن نور الدين بوكروح، أنظر:

Noureddine Boukrouh. « Pensée de Malek Bennabi : 5) L'Afro-Asiatisme ». *Le Soir d'Algérie* du 8 novembre 2015.

<sup>11</sup> Malek Bennabi. Hommage à l'Apôtre de la non-violence. *Le Jeune Musulman* du 30 janvier 1953.

<sup>12</sup> Malek Bennabi. Romain Rolland et le Message de l'Inde. En deux parties, dans *Le Jeune Musulman* du 26 juin 1953 et du 22 janvier 1954.

<sup>13</sup> Malek Bennabi. Universalité de la non-violence. *La République Algérienne* du 18 décembre 1953.

<sup>14</sup> In *Tribune Libre* No. 39. Un changement d'espérance : A la rencontre du réarmement moral. Des témoignages, des faits, réunis sous la direction de Gabriel Marcel, de l'Institut. Plon, Paris 1958.

## مدخل إلى ترشيده الخلاف

<sup>15</sup> نفس المصدر.

<sup>16</sup> منقول عن أنور هدام، محادثة خاصة 2013.

<sup>17</sup> Mahmoud Bouzouzou. La Journée de Tunisie. *Almanar*. Première année, No. 15. 1er février 1952.

<sup>18</sup> رواه مسلم والبخاري.

<sup>19</sup> رواه مسلم وابن ماجه.

<sup>20</sup> رواه مسلم وأحمد وابن ماجه.

<sup>21</sup> رواه مسلم.

<sup>22</sup> رواه مسلم.

<sup>23</sup> سورة طه: 43-44.

<sup>24</sup> سورة آل عمران: 159.

<sup>25</sup> سورة المائدة: 27-28.

<sup>26</sup> رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان.

<sup>27</sup> <https://www.youtube.com/watch?v=0QQQxXRR060>

<sup>28</sup> David Cortright. *Peace: A History of Movements and Ideas*. Cambridge University Press (2008).

<sup>29</sup> <https://khudaikhidmatgar.wordpress.com/oath-of-a-khudai-khidmatgar/>

<sup>30</sup> أنظر مثلاً المساهمات الآتية: "مذهب ابن آدم الأول: مشكلة العنف في العمل الإسلامي"، جودت سعيد (1966)؛ "إلى حكم الإسلام"، محمد الحسيني الشيرازي (1984)؛ "الوصول إلى حكومة واحدة إسلامية"، محمد الحسيني الشيرازي (1995)؛ "كن كإبن آدم"، جودت سعيد (1997)؛ "نحو اللاعنفة: المقاومة المدنية

## الإحالات

عبر التاريخ" خالد القشطيني (1998)؛ "سيكولوجية العنف واستراتيجية الحل السلمي"، خالص جلبي (1998)؛ "بناء ثقافة السلم"، خالص جلبي (1999)؛ "العنف والديمقراطية"، عبد الإله بلقزيز (2000)؛ "فقه العنف المسلح في الإسلام"، محمد محمدي شمس الدين (2001)؛ "ألف-باء اللاعنف: رؤية إسلامية أولية في ثقافة التسامح"، صالح الحسن (2001)؛ "الإسلام واللاعنف"، تحرير جلين بايج، شايوات سانا-آنند (قادر محي الدين) وسارة جيليات (2001)؛ "العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي: بين المبدأ والخيار"، عبد الحميد أحمد أبو سليمان (2002)؛ "اللاعنف في الإسلام"، محمد الحسيني الشيرازي (2002)؛ "اللاعنف وإحلال السلم في الإسلام"، محمد أبو النمر (2003)؛ "نظرية اللاعنف عند الإمام الشيرازي: دراسة مقارنة"، أسعد الإمارة (2003)؛ "السياسة النبوية ودولة اللاعنف"، حسن موسى الصفار (2004)؛ "العنف واللاعنف في الحركات الإسلامية المعاصرة"، بشار حمبض (2005)؛ "الإسلام والعنف"، أحمد أبو مطر بالاشتراك مع خالص جلبي وزهير المخ (2005)؛ "اللاعنف في نهضة الإمام الحسين"، محمود مراد الحائري (2006)؛ "اللاعنف في التاريخ العربي الإسلامي"، عدنان اسمندر (2006)؛ "حرب اللاعنف: الخيار الثالث"، أحمد عبد الحكيم، هشام مرسي ووائل عادل (2007)؛ "اللاعنف في الإسلام: مفهومه، مجالاته، آلياته، أدواته"، علي حاشوش الزيدي (2008)؛ "اللاعنف: قراءة تحليلية في أنواعه وآفاقه"، محمد ملا حسن آل باقر (2016).

<sup>31</sup> Stephen Zunes, Sarah Beth Asher, and Lester Kurtz (editors). *Nonviolent Social Movements: A Geographical Perspective*. Wiley-Blackwell (1999).

<sup>32</sup> <https://bit.ly/3fftIuU>

<sup>33</sup> نفس المصدر.

<sup>34</sup> <https://rachad.org/fr/?p=506>.

<sup>35</sup> نفس المصدر.

<sup>36</sup> <https://bit.ly/38KSQIS>

<sup>37</sup> عباس عروة، بعد أكثر من سبعة أشهر، يظل الحراك في الجزائر نابضًا بالحياة. 1 أكتوبر 2019. متوفر على الرابط: <https://bit.ly/32kkoDN>

<sup>38</sup> [https://en.wikipedia.org/wiki/Impact\\_of\\_the\\_Arab\\_Spring](https://en.wikipedia.org/wiki/Impact_of_the_Arab_Spring)



## الفصل الثاني عشر

<sup>1</sup> أُلْفَة للموم من مؤسسة International Alert. مساهمة في اللجنة المعنية بموضوع "كيف نقي من التطرف العنيف؟" خلال المؤتمر السنوي لإدارة الأمن الإنساني التابع لوزارة الخارجية السويسرية حول "الاستيعاب السياسي: مفتاح الوقاية من العنف المتطرف". بيرن، 2017/4/6.

<sup>2</sup> الأمم المتحدة. تقرير تبناه مجلس الأمن في اجتماعه رقم 7272.

UN Document S/RES/2178. New York. 24 September 2014.

<sup>3</sup> الأمم المتحدة. خطة العمل لمنع التطرف العنيف. تقرير الأمين العام للجلسة السابعة للجمعية العامة.

UN Document A/70/674. New York. 24 December 2015.

<sup>4</sup> المصدر نفسه.

<sup>5</sup> Peter R. Neumann, Prisons and Terrorism Radicalisation and De-radicalisation in 15 Countries.

تقرير حول السياسة نشره "المركز الدولي لدراسة الراديكالية والعنف السياسي" (ICSR). لندن 2010.

<sup>6</sup> Peter Kagwanja. Growing Christian radicalism: From alms to arms. The East African. 24 March 2014. Available online at: <http://www.theeastafrican.co.ke/news/Growing-Christianradicalism/-/2558/2255884/-/15fxbal/-/index.html>

<sup>7</sup> المصدر السابق.

<sup>8</sup> John Button. The Radicalism Handbook. p. 7. Cassel, London 1995.

<sup>9</sup> Roger Scruton. A Dictionary of Political Thought. Pan Reference & The Macmillan Press. London (1982).

## الإحالات

<sup>10</sup> إدريس الجزائري. استخلاص الدروس من اجتماع الخبراء. في مداولات اجتماع الخبراء حول مكافحة الراديكالية أو تقليص التطرف العنيف. سلسلة رقم 4. مركز جنيف لحقوق الانسان والحوار العالمي. جنيف، 2016/6/23.

<sup>11</sup> Ched Myers. Binding the Strong Man: A Political Reading of Mark's Story of Jesus. Orbis Books, New York (1988).

<sup>12</sup> [www.westarinstitute.org/blog/radicalism-christianity](http://www.westarinstitute.org/blog/radicalism-christianity)

<sup>13</sup> John Button. Op. Cit.

<sup>14</sup> Martin Luther King Jr. Letter from Birmingham City Jail. 16 April 1963. Available online at: [https://www.africa.upenn.edu/Articles\\_Gen/Letter\\_Birmingham.html](https://www.africa.upenn.edu/Articles_Gen/Letter_Birmingham.html)

<sup>15</sup> سورة النساء: 171. سورة المائدة: 77.

<sup>16</sup> أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه.

<sup>17</sup> سورة البقرة: 143.

<sup>18</sup> أنظر تفسير الطبري للآية.

<sup>19</sup> [https://www.facebook.com/pg/RadicalMiddleWay/about/?ref=page\\_internal](https://www.facebook.com/pg/RadicalMiddleWay/about/?ref=page_internal)

<sup>20</sup> Christiane Timmerman, Dirk Hutsebaut, Sara Mels, Walter Nonneman, Walter Van Herck (eds.) Faith-based Radicalism: Christianity, Islam and Judaism between Constructive Activism and Destructive Fanaticism. Peter Lang Press. Brussels (2007).

<sup>21</sup> منهم: أمية عبد اللطيف، سمير أمغار، لورنت بوفوي، هراير ديكجيان، برنارد هيكل، توماس هيغهامر، ستيفن لأكروا، رويل مير، أحمد موصللي، بشير نافع، زولتان بال، باري روبن، دين وحيد، كوينتان فيكتور وويك، وغيرهم.

## مدخل إلى ترشييد الخلاف

<sup>22</sup> للاطلاع على دراسة أكثر تفصيلاً لظاهرة السلفية المعقّدة وتصنيف دقيق للسلفيين، أنظر:

Abbas Aroua. The Salafiscape in the wake of the 'Arab spring'. Cordoba Foundation of Geneva (2014). Available online at:

<https://www.cordoue.ch/publicationsmega/research-papers/463-the-salafiscape-in-the-wake-of-the-arab-spring>

<sup>23</sup> <https://en.oxforddictionaries.com/definition/terrorism>

<sup>24</sup> <https://www.merriam-webster.com/dictionary/terrorism>

<sup>25</sup> <https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/terrorisme/77478>

<sup>26</sup> سورة البقرة: 190.

<sup>27</sup> سورة النساء: 29-30.

<sup>28</sup> سورة المائدة: 2.

<sup>29</sup> سورة الأعراف: 33.

<sup>30</sup> سورة النحل: 90.

<sup>31</sup> سورة الأنفال: 60.

<sup>32</sup> د. إبراهيم مهنا، "الإرهاب المشروع والإرهاب الممنوع". بصائر فكرية ودعوية. مقالات مختارة حول الفكر الوسطي. سلسلة الأمة الوسط (30).

## الفصل الثالث عشر

<sup>1</sup> Abbas Aroua. Sufism, Politics and Violence: Reading Notes. Cordoba Peace Institute – Geneva. September 2017. Available online at:

<https://bit.ly/2K8EyGU>

<sup>2</sup> Abbas Aroua. The Salafiscope in the wake of the 'Arab spring'. Cordoba Peace Institute – Geneva. Second Edition. October 2017. Available online at: <https://bit.ly/33ANdd5>

<sup>3</sup> Sophie Louet and Sudip Kar-Gupta. France needs 'society of vigilance' against Islamist 'Hydra': Macron. Reuters. 8 October 2019. Available online at: <https://reut.rs/2PYAqwS>

<sup>4</sup> François-Xavier Bourmaud. Préfecture de Paris : Macron veut une « société de vigilance » face à l'Islam radical. French Daily Newspaper Le Figaro. 8 October 2019. Available online at: <https://bit.ly/32rFlch>

<sup>5</sup> Radicalisation : Castaner évoque les « signes qui doivent être relevés ». LCP Channel. 8 October 2019. Available online at: <https://bit.ly/34Q2veh>

<sup>6</sup> Abbas Aroua. Addressing Violence and Extremism: The Importance of Terminology. Cordoba Peace Institute – Geneva. January 2018. Available online at: <https://bit.ly/2qD7HmU>

<sup>7</sup> Abbas Aroua. Soyons vigilants face aux dérives d'une « société de vigilance » ! Mediapart. 11 October 2019. Available online at: <https://bit.ly/2NvsRMv>

## الفصل الرابع عشر

<sup>1</sup> الأمم المتحدة. خطة العمل لمنع التطرف العنيف. تقرير الأمين العام للجلسة السابعة للجمعية العامة.

UN Document A/70/674. New York. 24 December 2015.

<sup>2</sup> [https://www.un.org/counterterrorism/ctitf/sites/www.un.org.counterterrorism.ctitf/files/UNOCT\\_PVE\\_Reference\\_Guide\\_Arabic.pdf](https://www.un.org/counterterrorism/ctitf/sites/www.un.org.counterterrorism.ctitf/files/UNOCT_PVE_Reference_Guide_Arabic.pdf)

<sup>3</sup> Frédéric Lebaron, Fanny Jedlicki et Laurent Willemez. « La sociologie, ce n'est pas la culture de l'excuse ! » *Le Monde*. 14 December 2015. Available at: [http://lemonde.fr/idees/article/2015/12/14/lasociologie-ce-n-est-pas-la-culture-de-l-excuse\\_4831649\\_3232.html](http://lemonde.fr/idees/article/2015/12/14/lasociologie-ce-n-est-pas-la-culture-de-l-excuse_4831649_3232.html)

<sup>4</sup> The full speech in French is available at: <http://www.elysee.fr/declarations/article/discoursdu-president-de-la-republique-devant-le-parlement-reuni-en-congres-3/>

<sup>5</sup> Michel Deléan. Le juge Marc Trévidic : « Il faut travailler sur les causes ». Mediapart. 15 novembre 2015. Available online at: <https://www.mediapart.fr/journal/france/151115/le-juge-marctrevidic-il-faut-travailler-sur-les-causes>

<sup>6</sup> <https://www.facebook.com/franceinter/videos/913274135374374/>

<sup>7</sup> Manuel Valls. *L'Exigence*. Grasset, Paris 2016.

<sup>8</sup> <http://www.bilan.ch/economie/appels-a-lunite-apres-attentats-de-bruxelles-ont-vise-leurope>

<sup>9</sup> Florian Bardou. Daech nous attaque-t-il vraiment « pour ce que nous sommes »? Slate France. 21 novembre 2015. Available online at: <http://www.slate.fr/story/110283/daech-nos-valeurs>

<sup>10</sup> Dahlia Wasfi. No Justice No Peace. Speech available at: <youtube.com/watch?v=SLolNj48IP8>

<sup>11</sup> Gilles Kepel. « Radicalisations » et « islamophobie » : le roi est nu. *Liberation*, 14 mars 2016. Available online at: [http://www.liberation.fr/debats/2016/03/14/radicalisations-etislamophobie-le-roi-estnu\\_1439535](http://www.liberation.fr/debats/2016/03/14/radicalisations-etislamophobie-le-roi-estnu_1439535)

<sup>12</sup> Olivier Roy, The Islamization of radicalism. Mada. January 11, 2016. Available online at: <http://www.madamasr.com/en/2016/01/11/opinion/u/the-islamization-of-radicalism/>

<sup>13</sup> François Burgat. Djihadisme : Kepel et Roy oublient l'essentiel. Une troisième voie est nécessaire. L'Obs. 7 juillet 2016. Available online at: <http://leplus.nouvelobs.com/contribution/1536258-djihadisme-kepel-et-roy-oublent-l-essentielunetroisieme-voie-est-necessaire.html>

<sup>14</sup> [https://www.unaoc.org/docs/AoC\\_HLG\\_REPORT\\_EN.pdf](https://www.unaoc.org/docs/AoC_HLG_REPORT_EN.pdf)

<sup>15</sup> الأمم المتحدة. خطة العمل لمنع العنف المتطرف. مصدر سابق.

<sup>16</sup> المصدر نفسه.

<sup>17</sup> <https://bit.ly/2ZwHc1G>

<sup>18</sup> Cécile Rousseau, Ghayda Hassan, Vanessa Lecompte, Youssef Oulhote, Habib El Hage, Abdelwahed Mekki-Berrada and Aude Rousseau-Rizzi. Le défi du vivre ensemble : Les déterminants individuels et sociaux du soutien à la radicalisation violente des collégiens et collégiennes au Québec. SHERPA, Institut universitaire au regard des communautés culturelles du CIUSSS Centre-Ouest-de-l'Île-de-Montréal. Octobre 2016. Available online at:

[http://www.sherpa-recherche.com/wpcontent/uploads/2016/10/Rapport-de-recherche-CEGEP-FINAL\\_24.10.2016.pdf](http://www.sherpa-recherche.com/wpcontent/uploads/2016/10/Rapport-de-recherche-CEGEP-FINAL_24.10.2016.pdf)

<sup>19</sup> ملاحظات قُدمت في ورشات العمل حول التطرف والعنف نظمتها مؤسسة قرطبة في نواكشوط عام 2016.

<sup>20</sup> Randy Borum. Radicalization into Violent Extremism: A Review of Social Science Theories. Journal of Strategic Security 4(4):7-36 (2011).

<sup>21</sup> Georgia Holmer. Countering Violent Extremism: A Peacebuilding Perspective. United States Institute of Peace. Special Report 336. Washington DC September 2013. Available online at:

<https://www.usip.org/sites/default/files/SR336Countering%20Violent%20ExtremismA%20Peacebuilding%20Perspective.pdf>

<sup>22</sup> Hervé Gonsolin. State Responsibility is Key to Countering Violent Extremism. In Proceedings of the Panel Meeting on De-radicalization or the Roll-back of Violent Extremism. Panel Meeting Series No. 4. Geneva Centre for Human Rights Advancement and Global Dialogue. Geneva 23 June 2016.

<sup>23</sup> Naureen Chowdhury Fink, Sara Zeiger and Rafia Bhulai (Edit.) A Man's World? Exploring the Roles of Women in Counter Terrorism and Violent Extremism. Hedayah and The Global Center on Cooperative Security. Abu Dhabi 2016. Available online at:

[http://www.globalcenter.org/wpcontent/uploads/2016/07/AMansWorld\\_FULL.pdf](http://www.globalcenter.org/wpcontent/uploads/2016/07/AMansWorld_FULL.pdf)

<sup>24</sup> Swiss Security Network. Measures to prevent radicalisation: The current situation in Switzerland. Bern July 2016. Available online at:

[https://staedteverband.ch/cmsfiles/ssn\\_report\\_prevention\\_radicalisation\\_july\\_2016.pdf](https://staedteverband.ch/cmsfiles/ssn_report_prevention_radicalisation_july_2016.pdf)

<sup>25</sup> اجتماع لجنة الخبراء حول مكافحة الراديكالية أو تقليص التطرف العنيف. سلسلة رقم 4. مركز جنيف لحقوق الانسان والحوار العالمي. جنيف، 2016/6/23.

<sup>26</sup> Abbas Barzegar, Shawn Powers and Nagham El Karhili. Civic Approaches to Confronting Violent Extremism: Sector Recommendations and Best Practices. Georgia State University. September 2016. Available online at: <http://tcv.gsu.edu/files/2016/09/Civic-Approaches-Sept-8-2016-Digital-Release.pdf>

<sup>27</sup> Fadi Daou. *Fostering Social Resilience Against Extremism: Leaders for Interreligious Understanding and Counter Extremism Toolkit*. Danish-Arab Partnership Programme. 2015. Available online at: <http://liuprogram.net/Voices/Resources/Fostering-Social-Resilience-Against-Extremism-Tool.aspx>

<sup>28</sup> Arun Kundnani. *A Decade Lost: Rethinking Radicalisation and Extremism*. Claystone. London. January 2015. Available online at: <http://www.claystone.org.uk/wpcontent/uploads/2015/01/Claystone-rethinking-radicalisation.pdf>

<sup>29</sup> Georgia Holmer. Op. Cit.

<sup>30</sup> Arun Kundnani. Op. Cit.

انظر أيضًا:

Mehdi Hasan, *Woolwich Attack: Overreacting to Extremism 'Could Bring Back Al Qaeda'* Ex CIA Officer Warns. *Huffington Post*, 28 May 2013. Available online at: [http://www.huffingtonpost.co.uk/2013/05/27/sageman-interview\\_n\\_3342206.html](http://www.huffingtonpost.co.uk/2013/05/27/sageman-interview_n_3342206.html)

Rosa Brooks. *U.S. Counterterrorism Strategy Is the Definition of Insanity*. *Foreign Policy*, 24 June 2015. Available online at: <http://foreignpolicy.com/2015/06/24/u-s-counterterrorism-strategy-is-the-definition-of-insanity/>

Kam C. Wong. *The USA Patriot Act: A Policy of Alienation*. *Michigan Journal of Race and Law* Vol.12 pp.161-202 (2006). Louise Boon-Kuo, Ben Hayes, Vicki Sentas and Gavin Sullivan. *Building Peace in Permanent War: Terrorist Listing & Conflict Transformation*. London; Amsterdam: International State Crime



## مدخل إلى ترشيده الخلاف

Initiative; Transnational Institute (2015).

<sup>31</sup> دحان ولد أحمد محمود، مدير المعهد الموريتاني للدراسات الاستراتيجية (اتصال شخصي، ديسمبر 2015).

Ahmed Mahmoud Dahane, director of the Mauritanian Institute of Strategic Studies (private communication, December 2015).

<sup>32</sup> Alistair Davison. Engaging Credible Religious Leaders in the Prevention of Violence and Extremism – our Methodology. Cordoba Peace Institute – Geneva. June 2018. Available online at: <http://www.cpi-geneva.org/en/activities-mega/ongoing-programmes/preventing-extremism-and-violence/764>

## الفصل الخامس عشر

<sup>1</sup> Samuel P. Huntington. The Clash of Civilizations? Foreign Affairs 72(3):22-49 (1993).

<sup>2</sup> Samuel P. Huntington. The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order. Simon & Schuster. New York (1996).

<sup>3</sup> Jack F. Matlock JR. Can Civilizations Clash? Proceedings of the American Philosophical Society 143(3):428-439 (1999).

<sup>4</sup> Edward W. Said. The Clash of Ignorance. *The Nation*, October Issue (2001).

<sup>5</sup> Muhammad Braou. Islam and the West: Clash or Dialogue. Critique of of the “Clash of Civilizations” Model. March 2002. Availavle at: [www.islamonline.net/Arabic/politics/2002/03/article16.shtml](http://www.islamonline.net/Arabic/politics/2002/03/article16.shtml)

<sup>6</sup> Erik Gartzke and Kristian Skrede Gleditsch. Identity and Conflict: Ties that Bind and Differences that Divide. European Journal of International Relations

12(1):53-87 (2006). Andrej Tuscisny. Civilizational Conflicts: More Frequent, Longer, and Bloodier? *Journal of Peace Research* 41(4):485-498 (2004). Giacomo Chiozza. Is There a Clash of Civilizations? Evidence from Patterns of International Conflict Involvement, 1946-97. *Journal of Peace Research* 39(6):711-734 (2002). E. A. Henderson and R. Tucker. Clear and Present Strangers: The Clash of Civilizations and International Conflict. *International Studies Quarterly* 45(2):317-338 (2001). Jonathan Fox. Two Civilizations and Ethnic Conflict: Islam and the West. *Journal of Peace Research* 38(4):459-472 (2001). Bruce M. Russett, John R. Oneal and Michaelene Cox. Clash of Civilizations, or Realism and Liberalism Déjà Vu? Some Evidence. *Journal of Peace Research* 37(5):583-608 (2000).

<sup>7</sup> Produced by Saudi blogger Raed Al-Saeed. See <http://blaise.blog.mongenie.com/index.php?idblogp=619477>

<sup>8</sup> Produced by Iranian NGO "Islam & Christianity". See <http://www.ngoic.com>

<sup>9</sup> Video clip at: <http://blaise.blog.mongenie.com/index.php?idblogp=619477>

<sup>10</sup> Younes Bounab, L'Inquisition libérale, 7 février 2006 on <http://www.tunisitri.net>

<sup>11</sup> *The Nation*, 27 February 2006, p. 4. Quoted by Johan Galtung, in *50 Years, 100 Peace & Conflict Perspectives*, Kolofon forlag, Bergen 2008, pp. 234-5.

<sup>12</sup> Johan Galtung, Op. Cit.

<sup>13</sup> Younes Bounab, Op. Cit.

<sup>14</sup> *Livre blanc sur la répression en Algérie (1991-1994)*, Comité algérien des Militants libres de la Dignité humaine et des Droits de l'Homme, Hoggar, Genève 1995. Available online at: <https://bit.ly/3cRU9IX>

<sup>15</sup> <https://bit.ly/3p4Hk3R>

<sup>16</sup> Johan Galtung, Op. Cit.

<sup>17</sup> Younes Bounab, Op. Cit.

## الفصل السادس عشر

<sup>1</sup> Jonas Baumann, Daniel Finnbogason, and Isak Svensson. Rethinking Mediation: Resolving Religious Conflicts Religion is a conflictual issue in most armed conflicts today. We need to better understand how to resolve these conflicts. Policy Perspectives, Vol. 6/1. Center for Security Studies (CSS) at ETH Zurich (2018). Available online at: <https://bit.ly/3kgRYDR>

<sup>2</sup> David Smock. Religion in World Affairs: Its Role in Conflict and Peace. United States Institute of Peace. Washington DC 2008. Available online at: <https://bit.ly/3chFFSX>

– Atalia Omer, R. Scott Appleby, and David Little (editors). The Oxford handbook of religion, conflict, and peacebuilding. Oxford University Press 2015.

– Owen Frazer and Mark Owen. Religion in Conflict and Peacebuilding: Action Guide. United States Institute of Peace. Washington DC 2018. Available online at: <https://bit.ly/3fRgska>

<sup>3</sup> Jean-Nicolas Bitter and Owen Frazer. The Instrumentalization of Religion in Conflict. Policy Perspectives Vol. 8/5. Center for Security Studies. ETH Zurich 2020. Available online at: <https://bit.ly/34OiDii>

<sup>4</sup> جون-نيكولا بيتز. العلمانية واللائيكية في السياسة الدولية. منشورات معهد قرطبة للسلام بجنيف. أبريل 2015. متوقّر على الرابط: <https://bit.ly/39s9cc3>

<sup>5</sup> Johan Galtung. Theories of Conflict by Johan Galtung, Columbia University (1958). Available online at: <https://bit.ly/3yWNHtb>

<sup>6</sup> Abbas Aroua. Transforming Religious-Political Conflicts: Decoding-Recoding Positions and Goals. In Politorbis – Journal of Foreign Policy. No. 52, 2/11, Religion in Conflict Transformation. Edited by Simon J A Mason and Damiano A Sguaitamatti. Swiss Federal Department of Foreign Affairs, Bern, 2011. Available online at: <https://bit.ly/3z23pnz>

<sup>7</sup> Abbas Aroua. Addressing Violence and Extremism: The Importance of Terminology. Cordoba Peace Institute – Geneva. 2018. Available online at: <https://bit.ly/3g8MQOr>

<sup>8</sup> Abbas Aroua, Jean-Nicolas Bitter, Simon J. A. Mason. The Role of Value Systems in Conflict Resolution. CSS Policy Perspectives, Vol. 9/9, November 2021. Center for Security Studies (CSS), ETH Zürich. Available online at: <https://bit.ly/3cIxJKf>

<sup>9</sup> Lakhdar Ghetta. Peace promotion for religiously inspired actors, Montreux, September 2013. Available online at: <https://bit.ly/3Fwe5xq>

Lakhdar Ghetta. Peace Promotion Workshop for Religious, Traditional and Civil Society Actors, Nouakchott, December 2014. Available online at: <https://bit.ly/3nvBY1R>

# السعي إلى السلام: مدخل إلى ترشيد الخلاف

تهدف هذه المساهمة إلى تزويد العاملين في مجال بناء السلم وطلبة الدراسات العليا المهتمين بهذا المجال، الناطقين باللغة العربية، ببعض الأدوات والمقاربات التي يمكن استخدامها عند معالجة الخلافات في السياقات العربية الإسلامية، مع الحرص قدر الإمكان على التعبير عن المفاهيم التي تمّ تطويرها في النظرية الحديثة للخلاف والسلم بلغة مفهومة في تلك السياقات مع استخدام موارد من داخل الثقافة الإسلامية، وذلك لتكون أكثر فعالية في عملية ترشيد الخلافات.

د. عباس عروة بروفييسور حرّ في كلية الطب بمدينة لوزان السويسرية، خبير في الفيزياء الطبية وفيزياء الصحة والوقاية من الإشعاع، وهو أيضًا المدير المؤسس لمعهد قرطبة للسلام بجنيف المتخصّص في الوقاية من العنف وترشيد الخلاف وبناء السلم وتعزيز التماسك المجتمعي.



فكرة الغلاف: إقتباس من طابع بريد السلام  
Peace رقم UNG 133.34 الصادر عام  
1985 عن مكتب الأمم المتحدة في جنيف



الكتاب متوفّر على الموقع: [www.cpi-geneva.org](http://www.cpi-geneva.org)

